رئيس التحرير
والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

الآداب
مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص. ب ٤١٢٣ – تلفون ٣٢٨٣٢ – ٢٦٩٩٦

AL-ADAB *REVUE MENSUELLE CULTURELLE*
BEYROUTH - LIBAN B.P. 4123
Tél - 32832 - 26996

العدد الرابع
نيسان (ابريل) ١٩٥٦
السنة الرابعة

No. 4 - Avril 1956
4ème Année

معركتنا المقبلة

تتحدث الصحف والاوساط على اختلافها، منذ اشهر، عن معركة منتظرة تشنها اسرائيل للخروج من ازمة التوتر الى حرب او سلم في هذه المنطقة من العالم.

ولا شك في ان معركتنا مع اسرائيل هي، في هذه الفترة من تاريخنا، اهم ما ينبغي ان نجند له قوانا ونحشد امكانياتنا. ولكننا نعتقد ان هذه المعركة ستنتهي بالخسران إذا اجتزأنا بشنها على ميدان اسرائيل، ولم نرفدها بسلسلة من المعارك الاخرى في كثير من الميادين الداخلية.

ان المعركة العسكرية هي، في آخر المطاف، تكريس لعدد من المعارك الاخرى التي تمهد لها وتفضي اليها بالضرورة. ولو ان هذه المعارك كانت قد استهلكت قبل حرب فلسطين عام ١٩٤٧، لما خسرنا تلك الحرب، ولما اتيح لاسرائيل ان تقوم دولة تهددنا وترعبنا وتنذرنا كل يوم بمعركة جديدة.

اننا مدعوون الى ان نخوض في وقت واحد عدة ثورات سياسية واقتصادية واجتماعية ونفسية، تيسر لنا سبيل هذه المعركة الكبرى التي لا نعرف الان باية عدة نواجهها.

ففي الميدان السياسي، ينبغي ان نحرص على استبعاد العناصر المحترفة عن تسلم مقدراتنا الحكومية، تلك العناصر التي لا تستطيع ان تتحسس مهمة قومية تستجيب فيها لاماني الشعب العربي وآماله. والمسؤولية الكبرى تقع في ذلك على الصحافة الحرة، التي غالباً ما نفتقدها في ظروفنا هذه فلا نجدها، من اجل إطلاع جمهور القراء على اوضاع تلك العناصر الحكومية.

وفي الميدان الاقتصادي، لا بد لنا من ان نخوض معركة الوحدة في مختلف البلاد العربية، هذه الوحدة التي تمهد الطريق للوحدة السياسية الكبرى. ونحن محتاجون الى ان نحارب تلك الفئات الكثيرة التي تناهض الوحدة لما قد يصيبها في تحققها من اضرار شخصية وخسائر ذاتية. ولا بد بعد ذلك من محاربة الاقطاعية التي تشل امكانيات الفلاحين والعمال، والافضاء من ذلك الى سياسة اشتراكية تضمن فيها العدالة الاجتماعية.

واما في الميدان الاجتماعي، فان امامنا صراعات طويلة ومعارك عنيفة ضد الرجعية والتقاليد البالية والنفاق والاستغلال وما الى ذلك من الآفات الاجتماعية التي يزخر بها شرقنا العربي. ولا بد من ان نخوض كذلك معركة عنيفة من اجل تحرير المرأة العربية من هذه القيود الخانقة التي تحول بينها وبين ان تكون في مجتمعنا شريكة الرجل العربي ورفيقته في طريق النضال.

ان هذه الالوان من الصراع هي معاركنا الرئيسية التي تمكن لنا من أن تكون معركتنا المقبلة مع اسرائيل، ومع كل قوة من قوى الاستعمار، معركة منتصرة ساحقة.

س. ا.

ماذا أعددنا للمعركة ؟

بقلم : الدكتور احمد السمان

لا شك في ان الدولة اليهودية تقوم اول ما تقوم على الاقتصاد اليهودي ، وهذه الدولة هي ذات هدف معين اعربت عنه كل وقت ، وجعلته شعاراً لبرلمانها ، هو التوسع من النيل الى الفرات ، وجعلت الوسيلة لبلوغ غايتها : القوة المسلحة ، ومن اجل ذلك عبأت امكانياتها وامكانيات الصهيونية العالمية لاقامة جهاز عسكري قادر على بلوغ غايتها. اما ظاهر وضعها الاقتصادي من ميزان تجاري عاجز، وميزان مدفوعات يسدد بالديون وتضخم نقدي منقطع النظير ، فينبغي ان يلتمس تفسيره الحقيقي في التعبئة الموجهة لاغراض غير الاستقرار السياسي ، سياسة تبتغي الاستعداد للحرب ، وتعد الناس لها اعداداً كاملا ، ولولاها لما كان هناك خلل اقتصادي ، فماذا اعددنا لها نحن العرب ؟

ليرجع كل منا الى ميزانية بلده ، ولينظر اهي ميزانية ثأر وحرب ام ميزانية تواكل وسلم ، وليرجع كل منا الى ضميره ، هل اعد نفسه واهله لليوم الاسود؟ وليرجع كل منا الى سياسة بلاده الاقتصادية ، اهي سياسة اعداد لحرب ودفاع ام سياسة ترف وجباية؟ وليرجع كل منا الى سياسة بلده التربوية ، هل جندت الشبيبة للموت، وحببت لها الاستشهاد واخذتها بالتقشف والاستعداد الخلقي والجسمي ؟

ما احسب سياستنا جميعاً تغيرت منذ وجدت اسرائيل او حسبت لهذه الدولة حساباً ، وانما اعلم المصير القاتم الذي ينتظر قدر الفخار ، حين يصطدم بقدر الحديد ، كما اعلم المصير الذي ينتظر اقتصاد الترف وحياة الترف، حين يصطدم باقتصاد الحرب ، وحياة الحرب . الويل يومئذ للمغلوب !

ما الذي فعلنا حتى الآن ؟ ان قصارى ما فعلناه، المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل ، وعقدنا ميثاق الضمان الجماعي ، ولا شك ان المقاطعة سلاح قوي ، ولكنها ليست القاضي، فقد حرمت الاقتصاد الصهيوني من الاسواق القريبة واضطرته للتصدير الى الاسواق البعيدة ، كما كلفته استيراد الاغذية والمواد الاولية من بلاد لا يصدر اليها شيئاً مما ارهق ميزانه الحسابي .

ثم انها كانت تدبيراً حمى الانتاج العربي من مزاحمة الاقتصاد الاسرائيلي، الذي كان مستعداً لاغراق البلاد العربية مهما كلفه الامر من خسائر ، على ان المقاطعة وحدها لن تؤدي الى انهيار اسرائيل فيجب البحث عنه في نطاق آخر ، نطاق النضال العربي .

واما ميثاق الضمان الجماعي ، فقد لمس مكان الداء فقرن بين الدفاع المشترك وبين التعاون الاقتصادي، ولكنه حين وزع مسؤوليات الاستعداد الدفاعي نص على ان تعمل كل دولة عربية على تهيئة مواردها الدفاعية حسب حاجاتها الخاصة والعامة ، ففتح بذلك ثغرة في الجهاز الدفاعي اذ قد لا تتناسب حاجات البلد الدفاعية ومسؤولياته وقدرته على الانفاق .

على انه لم يفت الاوان ليقظة تنظيم العرب في سياساتهم الاقتصادية والداخلية والخارجية ، وفي رأيي ان لا سبيل للظفر في معركة الثأر الا اذا وضعت السياسة الاقتصادية التي تهيء ليوم الثأر ، وهذه السياسة تبنى ، خارجاً ، على توحيد الاقتصاد العربي وحشد امكانياته البشرية والمادية، على اساس التعاون الدفاعي ، وتبنى داخلياً على تجربة يقوم العدو بمثلها وهو يدافع عن باطله ، هي الايمان بأن الحرب في ايامنا ليست حرب جيوش فحسب بل هي حرب الشعوب بكامل طاقتها وحياتها العامة ، وان الفاصل فيها هو الشعب بمجموعه ومعنوياته العالية : وما دام هذا النضال نضال حياة او موت فيجب علينا ان نجند كافة مواردنا في سبيله .

وليس بدعاً ان اربط بين الوحدة الاقتصادية وبين التعاون العسكري ، فهما شرطان متلازمان، ولا معنى لاحدهما ان كان منفصلاً عن الاخر ، وقد كان مشروع مارشال مقدمة لعقد اتفاقات البنلوكس ، كما ان ميثاق الاطلسي لا يمكن ان تفصل فيه الناحية الاقتصادية عن الناحية السياسية .

بمثل هذه السياسة الجريئة ، المتقشفة ، المبنية على وحدة واقعية للعرب ، وعلى تجاوب مع ضمائرهم ، وعلى تحقيق ذاتيتهم ، يستطيع العرب جميعاً ان يقضوا على رأس الجسر الذي نصبه الاستعمار في بلادنا ليقضي على حرياتنا ، وان يضعوا نظاماً اقتصادياً يشيع فيهم الخير وحب الخير، ويشعر كل مواطن فيه انه جزء من الكيان ، وشريك في التراث القومي .

احمد السمان

كفن حمود

قصة بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي

١

حين بلغ اعضاء اللجنة الدار وجدن الباب مفتوحاً، ووجدن عمتي نجمة قائمة تنتظرهن وفي يدها الطابة.

عمتي نجمة فاتت السبعين من عمرها، تميل في كل خطوة تخطوها الى الجانب المخالف للساق التي تدفعها الى الامام، وعيناها مغرورقتان دوماً بالدمع. في هذه المرة كانت اكثر امتلاء بالدمع من كل مرة، حتى لقد سالت منه قطرات على خديها. ليس معنى ذلك ان عمتي نجمة كانت تبكي، فلعل ذلك مصدره برد الصباح او جهد الوقوف، فعمتي نجمة قليلة التأثر بما يؤسي الناس، جلدة صبورة. قالت وهي تمد يدها بالطابة الملفوفة بورق ازرق الى عضو من اعضاء اللجنة:

— هذه الطابة اتيت بها من الحجاز، من جانب بيت الله، احاسبكن يوم الله ان لم تصل اليهم سالمة ..

٢

قد تسألون اية طابة كانت تحمل عمتي نجمة في بلدنا يسمّون الكرة التي يلهو بها الاولاد طابة. ويطلقون اسم الطابة على صفائح المرمر المستطيلة الصقيلة التي يغطون بها حفرة القبر قبل ردمه بالتراب، ومن هذا ما سمعت عنه خادم بيتنا يقول لعجوز من جاراتنا ارهقته بالسخرة: متى يسعدني الله يا خالتي فأصف الطابات على قبرك المبارك! ثم اننا، في بلدنا، نسمي قطعة القماش غير المخيطة والتي يدعوها التجار ثوباً، نسميها طابة.

بالطبع لم تكن عمتي نجمة تحمل في يدها كرة لعب لتقدمها للجنة، فقد تجاوزت السن التي تبيح لها ذلك منذ زمن بعيد. ولم تكن تحمل صخرة من صخور القبور، فقد كانت اعجز من ان تفعل ذاك، ولو قدرت عليه، فما الذي تفيده اللجنة من مثل هذه الصخرة؟ انما كانت عمتي نجمة تحمل طابة قماش، ثوباً كاملًا من الحرير الابيض الشعري، الحرير الصيني ذي الغزالين، افخر صنف من نوعه.

قالت عمتي نجمة لاعضاء اللجنة: حفظت هذه الطابة لحمود. احاسبكن يوم الله اذا لم تصل اليهم!

٣

اللجنة التي كانت عمتي نجمه تخاطب اعضاءها هي لجنة السيدات لاسبوع التسلح. اما حمود فقد كان، رحمه الله، ابنها.

حجّت عمتي نجمة في العام الفائت، لم تنقض بعد اربعة شهور على عودتها من ارض الحجاز. اما حمود فقد تقضت سبعة اعوام وثمانية اشهر على فراقه هذه الدنيا. فكيف تقول عمتي نجمة انها حفظت هذه الطابة التي جاءت بها من الحجاز لحمود؟ هل خرفت عمتي نجمة، ام هل حيّ حمود بعد موته؟

عمتي نجمة لم تخرف. وحمود، حمود ذو الوجه المجدور والعضل المفتول والخد المصعر لم يحي من موتة ماتها. واذا كانت عمتي نجمة قد قالت لسيدات لجنة التسلح انها حفظت الثوب الحريري الناصع البياض لحمود فهي قد عنت عظام حمود، ولا حمود الحي بل حمود الذي فارق الحياة منذ سبعة اعوام وثمانية اشهر ..

٤

منذ سبعة اعوام وثمانية اشهر، منذ جاء خبر حمود، غدت عظام حمود الشغل الشاغل لعمتي نجمة.

كلما لقيت عمتي نجمة واحداً من أصحاب حمود سألته ماذا حل بعظام حمود. وكلما شكت ألم عضو من جسدها تأوهت وقالت، اتراني اموت قبل ان الم عظام حمود؟. وكلما دار حديث عن النكبة والارض المغصوبة، تساءلت اترى فتح الطريق لازور عظام حمود؟!

لم تعرف عمتي نجمة الارض التي صرع فيها حمود، ولم تر مصرعه، ولكنها كانت ترى دوماً تلك الارض بعين تصوراتها وترى جسده ملقى على اديمها. كان اشد ما يؤسيها ان حموداً ظل على ذلك الاديم مطروحاً لا يحويه قبر ولا يلف جثمانه كفن، حتى بلي وتبعثرت عظامه. فآه لو ان يدها، يدها المرتعشة، استطاعت ان تلم تلك العظام بعضها على بعض، ولا شيء غير ذلك ..

٥

تلك الارض التي تناثرت عليها عظام حمود، اين تقع؟

لا تسألوا عمتي نجمة، فانها لا تدري. ولا تسألوها عن مصرع حمود كيف حدث، فانها كذلك لا تدري.

كل الذي تدريه عمتي نجمة ان حمود قد ذهب في ذات يوم متطوعاً، كما ذهب ابناء عمه وابناء قومه متطوعين، الى فلسطين. ثم عادوا ولم يعد حمود. فلما سألت عنه قيل لها انه لم يعد لانه استشهد. قالوا لها انه سقط في معركة

الشجرة شهيداً. فبكت عمتي نجمة اياما قليلة .. ثم سكتت.

لم تبك عمتي نجمة طويلاً. لقد ذهب حمود مع ابناء عمه، فهل يعقل ان يعودوا جميعاً سالمين؟ لو كان القتيل ابراهيم او عبد الباقي او خليل او محمد لما كان حزنها على اي منهم دون حزنها على حمود. فلتطو جوانحها على اساها، فلن يرجع الدمع حمود.

٦

ولكن حمود، كما قيل لها، حين قتل ظل ملقى في العراء لان رفاقه طردوا بعد ان صرع، من الارض التي كانوا احتلوها.

تلك الصورة لحمود، بوجهه المجدور متطلعاً الى السماء، وجسده الطريح ملقى على ظهره، وذراعيه الممددتين الى جانبي جسده كأنها تحتضنان الفضاء، هي كل ما بقي من وصف رفاقه الذين شهدوا مصرعه، وهي كل ما استقر في تصور عمتي نجمة عن مصرعه في تلك الارض العجيبة ... ارض فلسطين.

حمود، ابنها حمود، ملقى في العراء. مات ولم يدفن، لا ولم يكفن. وعظامه التي غسلها المطر وجففها الريح ظلت هناك في الارض القفر بلا قبر ولا كفن!

٧

كلما دار حديث النكبة وسمعت عمتي نجمة لفظة فلسطين، سألت في لهفة: أترى فتحت الطريق لألم عظام ذلك الصبي؟

قضية فلسطين كلها بالنسبة الى عمتي نجمة هي قضية طريق مسدودة لا بد، لا بـــد من ان تفتح. ان لم تفتح اليوم فستفتح غداً.

فشل القادة، وبئس الساسة، وتآمر الزعماء، وثبطت همم المتحمسين، ونفض كثير من النـــاس ايديهم من الارض المسلوبة. ولكن عمتي نجمة لم تفقد ايماناً ولا اضاعت ثقة. فهي ترتقب اليوم الذي تزور فيه مصرع ابنها ارتقاب المؤمن وعد ربه في هدوء واطمئنان.

وعلى ايمانها ذلك وعلى ثقتها تلك اشترت عمتي نجمة حين حجت في الموسم الفائت طابة الحرير الشعري هذه، من ارض الحجاز، من تاجر في جوار بيت الله.

٨

لم اشترت عمتي نجمة هذا الثوب الحريري الناصع البياض من ذلك التاجر في جوار بيت الله؟ ألتلبسه، وهي التي اتخذت الشعار سواداً حتى قبل ان يفارقها حمود؟ ام لتهديه وهي التي عصرت في نفقات الحج كل ما حوته يدها الفقيرة من مال؟

لا هذا ولا ذاك. ولكن عمتي نجمة اشترت الثوب الابيض الطاهر من تلك الديار المقدسة وفي نيتها شيء واحد، هو ان تجعله كفناً تلف به عظام حمود حين تجمعها من اديم تلك الارض التي شربت دمه في معركة الشجرة، ارض فلسطين.

٩

حين فشل القادة وبئس الساسة وتآمر الزعماء وثبطت همم المتحمسين، لم تفقد عمتي نجمة الايمان ولا اضاعت الثقة في ان طريق فلسطين ستفتح. ولكن شيئاً في نفسها، في جسدها، في اضطراب ركبتيها اذا قامت، وفي تهاوي جسدها اذا قعدت، وفي ارتجاف يديها اذا مدتها لحاجة، شيئاً في كل هذا يدعوها الى ان تتساءل: هل ستكون هي، عمتي نجمة حين تفتح تلك الطريق؟ هل سيمتد بها العمر الى ذلك اليوم؟

ماذا يكون اذا فارقت عمتي نجمة هذه الدنيا قبل ان تفتح تلك الطريق؟ ما الذي يحدث لعظام حمود المنثورة في العراء ولطابة الحرير المودعة في الدولاب العتيق؟

١٠

في تلك الاثناء تحدث الناس، واكثروا عن اسبوع التسلح.

قالوا لعمتي نجمة انهم سيجمعون في ذلك الاسبوع مالاً، وسيشترون بذلك المال سلاحاً. فسألتهم عمتي نجمة: ماالذي ستفعلونه بهذا السلاح؟

قال بعضهم: نحمي به انفسنا.

وقال آخرون: بل نستعيد به فلسطين.

فهتفت عمتي نجمة: هل تستعيدون موقع الشجرة، حيث عظام ذلك الصبي مبعثرة؟

فضحك السامعون وقالوا: بعون الله يا عجوز!

فسكتت عمتي نجمة. سكتت لتفكر بثوب الحرير الناصع البياض وبعظام ابنها حمود ملفوفة فيها...

١١

حين فضّت واحدة من سيدات لجنة التسلح الورق الازرق عن طابة الحرير الصيني لتريها لرفيقاتها سقطت من الطابة ورقة كبيرة، ورقة مسطرة، منتزعة من دفتر من الدفاتر التي يكتب فيها التلاميذ وظائفهم المدرسية. في تلك الورقة كانت جملة مكتوبة بخط تلميذ، واحد من احفاد عمتي نجمة ولا شك، هي:

«من والدة الشهيد حمود الابراهيم العجيلي، الى لجنة التسلح»

وتحت هذه الجملة كانت كلمتان مكتوبتين بحروف اكبر: «ثوب لحمود».

١٢

منذ ان سلمت طابة الحرير الشعري، الحرير الصيني ذي الغزالين، افخر صنف من نوعه، الى سيدات لجنة التسلح، نامت عمتي نجمة ملء جفونها.

نامت ولم تعد تستفيق في انصاف الليالي لتمسح اجفانها الورهاء من حلم رأت فيه تلك العظام منثورة على الارض العراء. ولم تعد عينها كذلك، اذا استفاقت، تقذى بمرأى طابة حرير منبوذة في الدولاب العتيق، تنتظر ان تحمل الى تلك الارض البعيدة القريبة، لتلف العظام المبعثرة، عظام حمود. الم تسلم عمتي نجمة تلك الطابة يداً بيد الى سيدات اللجنة؟ الم تنذرهن بانها ستحاسبهن يوم الله اذا لم تصل تلك الطابة «اليهم» سالمة؟

١٣

«اليهم»؟! من هم؟ واين هم؟

لو سألتم عمتي نجمة «عنهم» للجلجت كثيراً، ولأعوزها الجواب الواضح. من هم؟ انها لا تعرفهم على وجه اليقين، ولكنها تدرك بقلبها من هم. اما قيل لها ان ما يجمع من السلاح فهو «لهم»، و «انهم» هم الذين سيفتحون تلك الطريق ويستعيدون تلك الارض ويأخذون ذلك الثأر؟

من هم؟ انها لتعرفهم. هم الذين سيبلغون موقع الشجرة ويلملمون عظام حمود. ولهذا ارسلت اليهم عن طريق سيدات لجنة التسلح ثوب حمود.

ارسلت اليهم كفن حمود، فقرت عينها، فنامت.

١٤

نامت عمتي نجمة وقد تركت امانة يجب ان تؤدى. ذلك الثوب. كفن حمود هو وديعة يجب ان تحمل الى صاحبها لذلك لا تعجبوا اذا علمتم ان اعيناً كثيرة لم تنم بعد ان نامت عين عمتي نجمة.

انه همّ عظيم ان يحمل ذلك الكفن الى صاحبه . ذلك يعني ان طريقاً يجب ان تفتح وارضاً يجب ان تسترد وثأراً يجب ان يبلغ ، قبل ان تلف بالطابة الحريرية تلك العظام التي غسلها المطر وجففتها الرياح وصقلتها الرمال .

فمنذا يحمل كفن حمود اليه ؟

١٥

ترى من هم ، اولئك الذين سيحملون كفن حمود اليه ؟

ايكونون ابراهيم وعبد الباقي وخليل وعبدالسلام ومحمد؟ انهم جيل عاد من المعركة تاركاً عظام حمود في العراء . في نفوسهم ذلة وعلى جباههم ميسم عار . كلما لقيت عمتي نجمة واحداً منهم سألته : اين خلفت عظام حمود ؟ وكأنها تقول له : انت الذي بعثرت تلك العظام على ذلك الاديم !

ام هم احمد وعبد الوهاب وعامر وعبد العظيم وحميد ؟ جيل يلي الاول ، ذاق الفشل ولم يفهم دواعيه ، فتخبط في الحماسة وما زال يجهل الدرب ؟

ام هم عبد الاله وسوسن وشوقي ومارية ؟ حين يحمل الفتيان والفتيات اقساطاً متماثلة من هم الامة وحق الحياة ؟

ام كل هذه الاجيال ، ام جيل غير كل هذه الاجيال ؟!

١٦

من ذا الذي سيحمل كفن حمود ؟

جيل آثم يريد ان يشتري خطيئته ويكفر عن عاره . وجيل يريد ان يلقي نفسه في النار ولا يدري انها تحترق . وجيل يتهيأ ليكون كفوءاً للهمّ الذي أعد له . واجيال لا تزال في باطن الغيب ..

من ذا الذي يحمل منهم كفن حمود اليه ؟ تساؤل ذاد المنام عن الاعين بعد ان هجعت عين عمتي نجمة .

ان عمتي نجمة لم تدر اية نار اضرمت حين القت طابة الحرير بين ايدي اعضاء اللجنة حين مررن بدارها ذلك الصباح .

١٧

لتنم عمتي نجمة هادئة البال . ان تلك الطابة ، ذلك الثوب ، كفن حمود ، لا بد ان يحمل الى حمود .

الرنة – سوريا **عبد السلام العجيلي**

جدار المعركة

«فلتهجم اسرائيل في الربيع ، ولتهجم اسرائيل في الصيف ، ولتهجم اسرائيل في الخريف ، ولتهجم اسرائيل في الشتاء .. ان كانت تحب الشتاء !»

جمال عبد الناصر

•

الموت عبر خطوطنا .. فليزحفوا
وليهجموا .. وليعتدوا .. وليعرفوا
ان الدماء ، دماءنا ، خلف الحدود
تغلي .. وتصنع من جديد
تاريخ شعب يهتف
فليزحفوا
وليعرفوا
انا سنرجع بالارادة بالحديد
ارض الجدود .

***

وليصرخوا .. وليكذبوا .. وليهرفوا
وليعتدوا .. وليقتلوا .. وليختفوا
وليأثموا
وليعلموا
انا الجدار المستعد الصامد
انا الصراع المستنير الخالد
ايماننا الخط المنيع الراصد
ارواحنا الفجر القريب الصاعد
فليفقدوا اعصابهم .. فليفقدوا
وليطلقوا نيرانهم .. وليعتدوا
فالموعد
في صدرنا لهب يثور ويزيد
في ارضنا ظمأ يئن ويحقد
ولنا الغد
والجولة الاخرى وركب الصامدين
ودبيب اقدام المشاة الظافرين
وهتاف آلاف الضحايا .. النازحين
.. القدس ، حيفا ، دربنا .. فليعرفوا
الموت عبر خطوطنا .. فليزحفوا

سمير صنبر

اغنية على النيل

[نظمت في القاهرة .. والقيت في حفلة من حفلات الشباب .]

منى .. طالما هدهدت محجري ومرت عذاباً على ناظري
وما كان نفح الهوى والشباب بأمتع منهن في خاطري
منى ، كنت اعصرها نغمة من الشعر في وتر ثائر
واغفي ... حنيني على جذوة واصحو .. على قيدي الآسر
اتدرين يا مصر .. اي الرؤى الحت على الشعر والشاعر ؟
بيوم .. كأن شباب الربيع تنفس في ثغره العاطر
اطل على النيل مستلهماً اضيع مع الزورق العابر
اغنيك تمتمة حلوة ومن لي بقيثارك الساحر !
احس الطلائع من امتي زماجر في الموكب الهادر
اضم بروحي شموخ النخيل ارى مصر .. في فجرها الظافر

والقيت يوماً على موجة شراعي وساق الهوى زورقي
وراح النهار بلم الخيوط بلبنان .. عن رفرف ازرق
الى مصر .. لا ترعشي يا ضلوع وان تقو يا قلب لا تخفق !
ويا موكباً من هدير الرفاق تنسم اريج الهوى وانشق
غداً نستفيق على دفقة من الطيب ، في افق مشرق
غداً تتهاوى حدود الزمان ، وتفنى المسافات اذ نلتقي
واسرق من وشوشات الضفاف اناشيد للحب لم تسرق
واستأذن النهر ان استظل شذى سوسن ، او ندى زنبق
غداً .. ايها الوافدون الظماء نراح من الظمأ المحرق !
هنا النبع .. اي الدنى لم تعب ، واي الحضارات لم تستق !

وفتحت جفني على شاطىء يسارقه الموج حلو القبل
وايقظني هاتف : اننا بمصر ، اكان الهوى من شعل !
هنا وطني يستبد الحنين على كل خطو ، ويحلو الغزل
هنا وطني .. تترامى النجوم لتغرق في النور منذ الازل
هنا وطني .. يستحث الخطى اجل معجز ما سيبني .. اجل !
وديع كهذي المروج العذاب يوشحها النيل ازهى الحلل
رهيب ، كاعصار هذي الرمال اذا الغيم في الساح يوماً نزل
هنا مصرُ .. تحطم نير العصور بكف ، وتحيي بأخرى الامل
هنا صيحة .. الف فجر جميل على ثغرها العربي اشتعل
احبك يا وطن الخالدين .. ويا صانع النور منذ الازل !

مسارح عمرو [1] وارض الجياد .. كأني اراهن في الملعب
مزجن ترابك منذ القديم ببغداد ، بالشام ، في يثرب
شددت العروبة يا قلبها جناحين ، في الشرق والمغرب
وحلقت ، فانفتحي يا سماء ، ويا ظلمات القرون اغربي
دم الشعب ، كم صبه مجرم نقوشاً على عرشه المذهب
ودمدمت فالعرش في متحف وطاغية العرش في سبسب
ونرنو بمصر الى شعبنا الى جيشنا الباسل الاغلب
الى موكب من عزيز الجباه .. يشق الصعاب الى الاصعب
الى امتي .. تتحدى الطغاة [2] على النيل كالمارد المغضب

ملاعب عمرو ، وأرض الجهاد ، سلامٌ هو اللهب المسعَرُ !
أتيناك .. لا لنعب الجمال ، وان كان من شفة يسكرُ
ولا لنعانق سحر الضفاف ، وهل فيك الا الذي يسحرُ ؟
ولا ليكحل اجفاننا بروعته مرجك الأخضرُ
أتيناكِ مصرُ .. نشدّ الزنود على أختها عاصفاً يزأر
أتيناك .. نحمل اكبادنا لنبني ما هدّ « مستعمرُ »
أتينا نقول لهذا التراب : شواطيء يافا متى تطهرُ ؟
ومغربنا الصامد المستباح إلى مَ بساحاته نجزرُ ؟
ومشرقنا .. تحت حز الحديد أيفنى وأجيالنا تنظرُ ؟
أتينا لنسمع زأر النفير ، بلى ، لتقولي : متى نثأر ؟

وأطوي نشيدي ، وأثني اللهيب على ثورة في دمي توقدُ
أيصمد رجع القوافي العذاب جراحاً اقومي ما تضمد ؟
ألا ليتني جمرة في العيون ، عيون على ضيمها ترقدُ
ألا ليتني شهقة في الصدور ، تدمدم بالثأر لا تخمد
الا ليتني في ضلوع الطغاة سنانٌ بآثامهم يغمد !
ألم يأن ان يستريح الكفاح ، وان ينقعَ الغلة المجهدُ ؟
ألم يأن ان تستفيق الحياة ، وليس على الارض مستعبد ؟
بلى ، نحن يا ركبُ واحُ الطريق ، ونحن الصباح الذي تنشد !
من الشرق رفّ عليك الضحى وما زال منا الضحى يولدُ
الى مطلع عربي الشعاع يحنّ جبين الثرى الأربدُ

وتهمس في اذني موجة من النيل كالخاطر الشارد
تلفتّ . شظايا الزجاج الرهيب تحطم عن وثبة المارد !
نهدنا .. فكم جبهة في النجوم تشيد الحياه .. وكم رائد !
وزند يشق رمال القفار لتخضر عن رفة الساعد
وكوخ يلملم اسماله ليشمخ في الموكب الصاعد
واسمر من اهلك الاقربين .. اطل على مجدنا الخالد
على الضاد .. تغفي على الف ارضٍ وتصحو ، على وطن واحد
خطى الجيل .. كم مثخن في الطريق تردى .. وكم مثخن صامد
وساهدة في دروب الكفاح تواكبها مقلتا ساهد !
خطى الموكب العربي الكبير تعانق .. في الوطن الواحد !

القاهرة

سليمان العيسى

١ الفاتح العربي عمرو بن العاص

٢ اشارة الى الاستعمار والمستعمرين

الأدبُ والتجربة

بقلم عبد المحسن طه بدر

نشعر في حالة جدّية الناقد ، واذا كانت كتابته لا تنبع من اندفاع زائف، ان كتابته هذه لا بد وان تكون استجابة لقضية معينة فكرية او ادبية في المجال الحيوي الذي يعيش فيه. فما هي القضية التي تدفعنا الى تأكيد مفهوم التجربة في الادب وترتبط بواقع الفكر العربي المعاصر ؟

ان ما يدفعنا الى ذلك هو شعورنا باختلاط القيم في مجتمعنا العربي من ناحية ، وبالحاجة الملحة الى تكوين قيم جديدة حقيقية نابعة من الوعي الصادق ، بوجودنا الحقيقي الحي .

ومما يدفعنا الى المطالبة بهذا الوعي والاصرار عليه اننا في اتصالنا بالحضارات الاخرى، قد وجدنا انفسنا وجها لوجه امام خضم وافر من القيم والمفاهيم نشأت في بيئاتها نتيجة لتطورات طبيعية للمجتمعات التي نشأت فيها، وهي مقدمة الينا للاختيار والمفاضلة بينها ...

وهذا ما يُحدث دائماً ازمة حرجة للمفكر العربي ، فهو في معرض الاختيار والمفاضلة لا ينتبه الى حقيقة خطيرة اشد الخطورة : هي واقع المجتمعات العربية نفسها، وفي اي مرحلة من المراحل الحضارية تعيش .

فبينما تحاول المجتمعات العربية جاهدة ان تتنفس لتخرج من المرحلة الاقطاعية بقيمها الخاصة من تقديس للقديم ، واحترام للمسلّمات والغيبيات، وطرح مشاكل الانسان على قوى غير منظورة تدبر له الحلول ، والنظرة الى المرأة كمال او متاع ينبغي الدفاع عنه والمحاماة دونه ... بينما تحاول المجتمعات العربية ان تخرج من هذه المرحلة، اذا بالمفكر العربي يواجه مفاهيم الاشتراكية والوجودية كحلول للخروج من ازمة الانسان فيعتنق هذا المبدأ او ذاك . وبذلك تحدث عملية الانفصال بينه وبين المجتمع من ناحية ، وبينه وبين ذاته من ناحية اخرى؛ فهو يطالب المجتمع بان يقدم له طرازاً من الحياة يتلاءم مع مفاهيمه الجديدة . والمجتمع ازاء مرحلته الحضارية التي يمر بها لا يستطيع ان يقدم له ما يريد ، وبذلك يحدث التمزق في ذاته نفسها . ففي حين نجده بلاوعية يقبع في مرحلة الطبقة البورجوازية واحلامها ، اذا به مقتنع عقلياً بان هذه الاحلام تمثل مرحلة انقضت ؛ ولا بد له ان يعيش من خلال قيم جديدة ، ويتبع ذلك ان يسيطر القلق واليأس والذاتية على نفوس مفكرينا .

وليس من حل فيما نرى الا التأمل الواعي لمجتمعاتنا ونفسيتنا تأملاً يستتبع الكشف الصادق المخلص عن واقع هذه المجتمعات ، وذلك في سبيل احداث انقلاب جذري في عادات هذا المجتمع ومثله حتى يمكن ان يتلاءم تلاؤماً طبيعياً سهلاً مع الواقع الحضاري الذي تمر به الانسانية .

ولما كنا نرى ان مفهوم الادب كتجربة انسانية يساهم مساهمة فعالة في الكشف عن مشكلاتنا وتحديدها ، لذا نرى لزاماً علينا ان نحلل هذا المفهوم بعض التحليل ، لنرى ما يمكن ان يساهم به في حل مشكلاتنا .

انّ اعترافنا بأن الادب تجربة انسانية ، يقود ببساطة الى الاساس الاول الذي نريد ان نقرره، وهو ان الادب رحب رحابة الحياة الانسانية نفسها بما تحفل به من صراع وتضارب من متناقضات تنشأ عن الصراع بين رغبة الذات وبين شعورها بالمسؤولية وما يستقر في اعماق هذه الذات من دروب ومنحنيات والتواء وتعقيد ، وبذلك يكون كل موضوع من مواضيع الحياة صالحاً لان يكون موضوعاً للادب.. ولكن ليس معنى هذا ان يسجل الفنان لوحات الحياة تسجيلاً واقعياً مباشراً ليصبح فناناً، محتجاً بأن هذه هي الصورة الواقعية للحياة بحيث يخرج تسجيله هذا وكأنه اشبه بالمناظر الدقيقة التي تسجلها آلة التصوير . فما من شك في ان هذا تسجيل مباشر صادق ولكنه يخلو من الروح .. ولكي يأخذ وضع من الاوضاع معنى التجربة ، فلا بد ان يكون منفرداً بدلالة خاصة او احساس خاص يعطى له لوناً خاصاً في نفس الاديب او الفنان بحيث يمكن انتزاعه من الحياة ليصير خبرة خاصة للفنان ، او تجربة .

ومن الضروري والحالة هذه أن تكون التفاصيل التي يختارها الفنان في تجربته هي التفاصيل التي تساعد على ابراز هذا اللون الخاص او هذا الشعور الخاص الذي احسه الفنان

تجاه هذا الموقف او ذاك من مواقف الحياة .. بحيث يكون هذا الشعور هو السلك الخفي الذي يربط كل اجزاء العمل الفني او الحركة الدينامية التي تبعث الروح في كل اجزائه .

وما دامت غاية الفن هي تصوير هذه التجربة ، فنحن والحالة هذه نرفض الادب الذي يقدم لنا خلاصة التجربة او نتيجتها دون ان يقدم لنا هذه التجربة نفسها . فنحن لا نشعر بحزن مع الشاعر العربي حين يرثي احد الناس ليقول انني حزين الى درجة خطيرة ، واني بكيت بدل الدموع دماً دون ان يكشف لنا عن حقيقة حزنه او يصور لنا واقع هذا الحزن وبواعثه . ولو صور لنا هذه الامور لما كان في حاجة الى ان يصر على تصديع رؤوسنا بتقرير انه بكى حتى نزف ماء دمعه ، فقد كنا نستطيع وحدنا ان نصل الى هذه النتيجة لو صور لنا الموقف تصويراً صادقاً ثم تركنا لنحكم بانفسنا على مقدار تأثره وحزنه .

ونحن في الوقت نفسه لا نريد ان يتحدث الشاعر عن تجربته وهي ما زالت في ضبابية الانفعال وشدته لم تتبلور بعد، ولم تأخذ شكل التجربة الواضح ، لان الصدمة الاولى للاحساس تسيطر على نفسية الاديب سيطرة كاملة ، بحيث لو عبر الشاعر عن التجربة وهو في مثل هذا الموقف ،فسيحدث بصورة طبيعية ان تغيم رؤياه لجوانب التجربة الاخرى ، ويطبع انفعاله الذاتي الخاص على كل اجزاء التجربة . وما دام ميدان الفن هو التجربة الانسانية ، فلا بد للفنان ان يلتصق بواقع التجربة نفسها ، ان يلتصق بالانسان ، وان يعطف عليه وان يفتح جوانب نفسيته لكل انفعالاته المرتعشة الذليلة ، الى جانب انفعالاته المتماسكة القوية . وليس من حقه ان يخنق جانباً من التجربة او ان يبترها في سبيل هدف من الاهداف او قيمة من القيم مهما تراءى له ان هذا الهدف بلغ منتهى السمو حتى ولو كان هذا الهدف - فيما يرى - خير الانسان نفسه .

وينشأ عن تمثلنا للادب على هذه الصورة ان تتحطم فكرة الابراج العاجية عن الفن والفنان . فالفنان ليس إلهاً ينظر من عليائه الى القطيع ، وانما هو فرد منه وان نبعث ميزته الخاصة كما قلنا في موضع آخر من شدة احساسه وتنبهه ، الامر الذي يجعله اشد احساساً بهذا القطيع واكثر تنبهاً لحاجاته . لا على اعتباره قيمة منفصلة عن المجتمع ولكن لان حاجات النفس الانسانية وضغطات المجتمع توقع على نفسه بصورة اشد مما يجعل اوتاره اشد توتراً وحساسية واكثر قدرة على الاندفاع بالنغم . وعلى ذلك لا يكون هناك داع لفكرة النبوة في الفن والالهام المطلق الذي يأتيه من مصدر لست ادريه ليرشد به الانسانية الى الخير والجمال والمثل العليا .

لم يعد هناك مبرر والحالة هذه لان يتنكر الانسان لذاته ويحتقر جوانب الضعف فيها ، هذه الفكرة التي اثرت على ادبنا، في الماضي والتي جعلت الاستاذ العقاد يقول في احدى مقالاته فيما اذكر ان الحديث عن جوانب الضعف في النفس الانسانية يعتبر ميوعة ومنافيا للرجولة التي تتمثل عنده في اخضاع الانفعال للارادة - هذه الارادة - تتمثل فيما يراه هو نفسه او ما يراه المجتمع من مثل عليا للفضيلة او الجمال ، وهذا ما جعل بعض ادبه رغم ثورته العقلية على القديم وجموده اشبه ما يكون بالاطر المنطقية الجامدة التي تجمد الحياة في نفوس الشخصيات التي يتناولها .

واذا لم يتنكر الاديب للحياة في نفسه فانه لن يتنكر لها في ابطاله ، ولن يكون هناك مجال لهذا الادب اليائس الذي يدمغ الحياة كلها بطابع مظلم والذي يجعل البشر جميعاً اغبياء لا يفهمون ولا يعقلون فيما عدا شخصية الاديب الفذة وحدها .

واذا لم يتنكر الاديب للحياة فلن يستطيع ان يحتقر ابطاله ، وحتى اذا صورهم في صورتهم السيئة ، فانه لن ينفصل عنهم وانما سيكون متعاطفاً معهم ، واضعاً اخطاءهم في وضعها الصحيح المبرر من خلال قسوة ظروفهم وضغط المجتمع عليهم ، مما يجعل ذواتهم تلتوي لتأخذ الاوضاع الغريبة والخاطئة .. ولعل هذا واحد من الاسباب التي لا تجعلنا نعجب بقصص الاستاذ إحسان عبد القدوس . فهو يصور المرأة في اوضاع جنسية شاذة كما تجدها مثلاً في قصة « النظارة السوداء » في تلك المرأة التي لا تجد لذتها الا اذا جلدت بالسياط دون تبرير انساني من ماضيها او حاضرها لهذه السادية .

والاديب من ناحية اخرى لن يستطيع ان يصور ابطاله في صورة بطولية يتجاوزون فيها واقعهم الانساني الى ان يكونوا مجرد آلهة متجمدة لمثالية لا انسانية .

ولعل مما يؤكد خطورة هذه المشكلة في نفسي ، انني كنت اقرأ منذ مدة قريبة قصة « المواطن توم بين » للكاتب الامريكي هوارد فاست . والقصة في حقيقتها وواقعيتها تبدو غريبة على مثاليتنا العربية ، فالكاتب يصور فيها النضال الثوري للشعب الامريكي ، فلم يصور الشعب الامريكي وقد خلقه الله منذ مولده ابطالا صناديد شرفاء ، ولكنه صور باخلاص الصور الاولى للنضال وحيرة الشعب وتفككه ومظهر اللامبالاة التي اتخذها ازاء الثورة والحركات الرجعية والمتخاذلة التي تسعى لتحطيم الحركة او استغلالها في كسب مادي ثم الهزائم المتكررة التي لقيها جيش واشنطن حتى اصبح الانتماء الى هذا الجيش جريمة تجعل الفلاحين الامريكيين انفسهم يلعنونك بل ربما اطلقوا عليك الرصاص اذا عرفوا انك واحد من افراده . ثم تحدد الهدف امام الشعب ووضوح ليكتسح بهدفه هذا القوى الرجعية التي تقف في طريقه ويكتسح معها الجيوش الانجليزية في الوقت نفسه . ثم يصور الكاتب من خلال هذه المراحل كلها بطل قصته وهو المواطن توم بين فتجده عاملا بسيطاً يشتغل في عديد من الصناعات ابرزها صناعة المشدات ، ويسافر الى امريكا سكيرا ضائعاً باحثاً عن حياة افضل ، فاقداً لمعنى وجوده ، حتى تبدأ الثورة فيحس ان وجوده يتحقق من خلال كفاح العمال والفلاحين هذا . فيبدأ يعبر بالكلمة المكتوبة عن اهداف الثورة ، وكلما اهتزت الثورة او ضعفت فقد ثقته بنفسه ، وفقد قدرته على التلاؤم مع زعمائها الذين نبعوا من بيئة غير بيئته ، فيشعر بالضياع ويغرق نفسه بالخمر ليعود من جديد متشبثاً بالثورة التي يحقق وجوده من خلالها حتى تنتصر الثورة . فيحاول محاولات ساذجة للتلاؤم مع الاوضاع الجديدة التي لم يخلق لها ، فيفشل ويذهب الى انجلترا محاولاً اشعال ثورة وقد اتضحت في نفسه قضية وجوده ، « فحيث توجد الثورة فهناك بلاده . كما يقول . ويستمر في نوبات كفاحه قلقاً متوجساً سكيراً لينتهي في النهاية بأن يتنكر له المجتمع الاميركي نفسه فيموت مرفوضاً من الجميع ، وحتى في قبره لا يستريح ، ولكن قبره ينبش ليمثل المجتمع الاميركي او افراد منه بجثته .

هنا لا توجد بطولات زائفة ، وانما توجد بطولة انسانية حقة تمس شغاف قلوبنا لانها تقدم الينا النموذج الانساني الحي الرائع في ضعفه اشد الروعة .

وانظر في ادبنا فلا اجد الا سخطاً عنيفاً غير مبرر على الاعداء والمستعمرين ، وتصويراً لبطولتنا بصورة ساذجة بحيث يخيل الى الانسان اننا ما ان نمد ايدينا حتى نقذف باعدائنا بكل بساطة وسهولة الى عرض البحر !

وابحث عن تصوير لزعمائنا وابطال نهضتنا ، ، ابحث عن تصوير حي نابض لجمال الدين الافغاني ، هذه الشخصية القلقة المتحمسة الثائرة المتعجلة للنتائج ، هذه الشخصية الطموحة المتمردة ، ابحث عن صورة لها ككل انساني متكامل نابض بالحركة والحياة ، فلا اجد الا نتفاً من كلامه وشذرات من اقواله . ويضيع جمال الدين كانسان في زمرة هذا الضجيج المثار حوله ..

واذا تعاطف الاديب مع ابطاله فلن يجعلهم اداة سهلة يضحى بها في سبيل ذاته ، فيفرض عليهم آراءه وافكاره بحيث يتركهم متخشبين ، ويتحدث وحده وكأن ابطاله صور متعددة لذاته هو لا يختلفون فيما بينهم الا في مظاهر شكلية خارجية بحيث تلتقي عند البطل فتاة الجامعة المثقفة بفتاة الشارع العادية ، لا تختلفان الا في ان هذه ترتدي زياً خاصاً

من (الآداب) الى قرائها

تواصل «الآداب» جهودها لتتفوق على نفسها عدداً إثر عدد. وسوف يلاحظ القراء انها ستقوم في الاعداد القادمة بوثبات جديدة، قد تكون صغيرة، ولكننا نرجو ان تسجل في النهاية ما يمكن اعتباره قفزة بالصحافة الادبية العربية الى الامام.

ستهتم «الآداب» اهتماماً اوفر بالمادة والشكل، اي بالتحرير والاخراج، وستدخل ابواباً جديدة وتستكتب عدداً من خيرة ممثلي الادب العربي الحديث الذين لم يتح لهم بعد ان تضمهم إلى إسرتها راجية بذلك ان تقدم للقاريء العربي كل ما يشعر انه بحاجة اليه في هذه الفترة العصيبة من تاريخ الوطن العربي!

قلم التحرير

او تقوم بحركات خاصة. اما موقف كل منهما ازاء الحياة ومواجهة مشكلاتها فهو موقف متشابه الى حد كبير، ويمثل مثل هذا الاتجاه احياناً القصاص المصري محمد عبد الحليم عبدالله.

ويتصل بهذا ايضاً ان يجمد الفنان ابطاله ليجعلهم رموزاً لافكار يناقش هذه الافكار من خلالهم، بحيث تختفي حقيقتهم الانسانية امام الرمز او الفكرة التي يمثلونها او تتعارض حقيقتهم الانسانية مع هذه الحقيقة الرمزية. وقد ناقش الدكتور عبد القادر القط مثل هذا النوع من الانتاج الفني في بحثه عن المسرح الذهني عند توفيق الحكيم وبيّن بوضوح الخطورة التي تنشأ عن مثل هذا النوع من الانتاج الفني.

واحب ان انبه الى اننا لا نعطي تقييما للاعمال الفنية التي نتحدث عنها، ونعرف ان ظهور هذه الاعمال كان مشروطاً بأوضاع اجتماعية معينة، فما كان توفيق الحكيم في مجتمعه بقادر على ان يناقش الافكار التي ناقشها في مسرحياته بصورتها الواضحة الصريحة، والا لتعرض لما لا تحمد عقباه. ولكنه اخفى افكاره وراء هذه الرموز، ولم يكن من الممكن ان يدرك حقيقة هذه الافكار المختفية خلف الستار الانساني المفتعل لشخصياته الا قلة قليلة من المفكرين لا يخشى من تأثيرها السيء على المفكر او على الاثر الادبي نفسه.

وكذلك لا نرى ايضاً ان ترسم بعض الشخصيات ليظهر من خلالها او خلفها مبدأ من مباديء علم النفس او غيره من العلوم، كما يحدث في بعض انتاج القصاص المصري الموهوب نجيب محفوظ حيث يمكن تدريس احدى قصصه كتطبيق مباشر لمذهب فرويد[1] وان كانت حيوية شخصيات هذا الكاتب لا تجعل لمثل هذا الاتجاه تأثيراً كبيراً عليها. وقد تخلص في النهاية من هذا الاتجاه كما حدث في قصة «بداية ونهاية» حيث اكتمل لشخصياته تحررها.

نحن لا ننكر على الكاتب ان يعبر عن آرائه من خلال شخصياته ولكننا لا نريد ان يفرض آراءه عليها فرضاً، وانما يعبر عن هذه الآراء من خلال الحركة الدينامية لقصته بحيث يختار من الشخصيات ويهيء من المواقف ما يجعل الحديث عن هذه

---

[1] يلاحظ ذلك بوضوح شديد في تحليله لشخصية كامل بطل قصة «السراب».

الاراء موقفاً طبيعياً متلائماً مع التطور الطبيعي لهـذه الشخصيات .. وما دام الاديب يعالج مواقف انسانية، فمن حقنا عليه ان نطالبه بان تكون الحلول التي يقدمها للمشاكل حلولا انسانية نابعة من التطور الطبيعي لابطال القصة او العمل الفني ، فلا يعتمد الكاتب في حل مشاكله او عقدته على القدر او على عنصر المصادفة بحيث يقف الشخص متحجراً صامداً لتحل له مشكلته بضربة من ضربات القدر . وقد حلل الدكتور عبد القادر القط ايضاً مظاهر هذه السلبية في انتاج بعض قصاصينا المعاصرين ، حيث نجد تصرفات الشخصيات ليست نابعة من التطور النفسي الممهد له تمهيداً كاملا ، وانما يتصرفون احياناً على نوع مفاجيء بدون التمهيد الكافي لهذه التصرفات .

ان القدر والمصادفة والحظ ليست الا وسائل خاطئة للهروب من تحليل مشكلة انسانية في مستواها الانساني الحق . فاذا تؤملت المشكلة بوعي اعمق ، وضح ما كان يبدو لنا مجرد عبث من الاقدار تطوراً طبيعياً لمشكلة جذرية عميقة ، وان غفلتنا عن هذا التطور هي التي تقطع الصلة بين المشكلة وبين اصولها، بحيث تبدو لنا وكأنها مجرد عبث لقوة لاهية خارجة عن نطاق الانسان نفسه .

فما من حادثة يتصرف فيها الانسان تصرفاً معيناً ، مهما بدا هذا التصرف غريباً وغير طبيعي ، الا وهي نتيجة لاسباب عديدة مرتبطة في وعيه او لاوعيه . وتبدو الحادثة مصادفة أوغريبة كلما واجهنا المشكلة على مستوى ساذج يقطع الصلة بينها وبين جذورها الانسانية .

وما دمنا قد قدمنا هذا المفهوم عن الفن ، فان هذا يدفعنا بالضرورة للاجابة على اسئلة ثلاثة كي تكمل لهذا المفهوم صورته الرئيسية :

السؤال الاول وهو : اذا كان ميدان الادب هو الحياة الانسانية ، فما الذي يعطي لعصر ما سمته الخاصة في الادب؟ ويتفرع عن هذا السؤال سؤال آخر ، وهو : ما الذي يعطي لاديب ما فرديته الخاصة في عصره ؟ والسؤال الاخير: ما هي الرسالة التي يمكن ان يقوم بها الفن ضمن هذا المفهوم ؟

والحل الطبيعي للسؤال الاول هو ان نحدد ما نقصده عن فهمنا للحياة الانسانية ..

وما نقصده بالحياة الانسانية ليس كتلة من العناصر المستقرة والقيم التي ثبتت ثبوتاً مطلقاً ، بل هذه الحركة الديناميه المستمرة المتفاعلة المتطورة التي يغير الانسان فيها قيمه ومثله بتغير ظروفه واطواره. وتاريخ الانسانية القريب اكبر شاهد على هذا التطور ، فقد كان الانسان يعيش اول الامر رافضاً للحياة في سبيل حياة اخرى ، منقسماً على ذاته وقد فصلها منطقتين ، منطقة جسدية محتقرة متصلة بالتراب ومنطقة روحية متصلة بالسماء . ثم تطور الانسان ليؤمن بالارض ، وليؤمن بأنه وحدة ، وان مطالب جسده ليست شيئاً محتقراً مرفوضاً ، وطالب بحقه ونصيبه في الحياة. وبعد ان كان هذا الحق مقصوراً على طبقة معينة محدودة ، اذا بالمطالبين بهذا الحق يكثرون ويتعاظمون ليصبح الهدف العام كل المجموع الانساني .

ولا شك ان ادب كل مرحلة من مراحل التطور الانساني لا بد اذا كان صادقاً من ان يعبر عنها ، فيعطي صورة حقيقية لها ، متحدثاً عن ما تهتم به وما تنزع اليه .

وبهذا كان ادب دستوفسكي ممثلاً للنزاع بين قوى الايمان وقوى الالحاد ، وتفزع الانسانية ممثلة كلها في صيحة ايفان احد ابطال «الاخوة كرمازوف » : «اذا لم يوجد الله فكل

شيء محلل .» ويستمر هذا الصراع بين صوفية دستوفسكي القديمة المتوارثة وبين الحاده .. ولكن هذه الثورة العميقة لا تترك الايمان الا وقد اهتزت جذوره في عمق .

ثم يتحدث تولوستوي عن طبقة النبلاء والطبقة البورجوازية واهتماماتها ،عاطفاً في الوقت نفسه على الطبقات العاملة ولكنه عطف المنفصل لا عطف المرتبط بالقضية ، حتى اذا اتى عصر جوركي اصبحت القضية ضرورة لا يكفي حلها مجرد العطف ، وارتبط بها جوركي ارتباطاً حقيقياً .

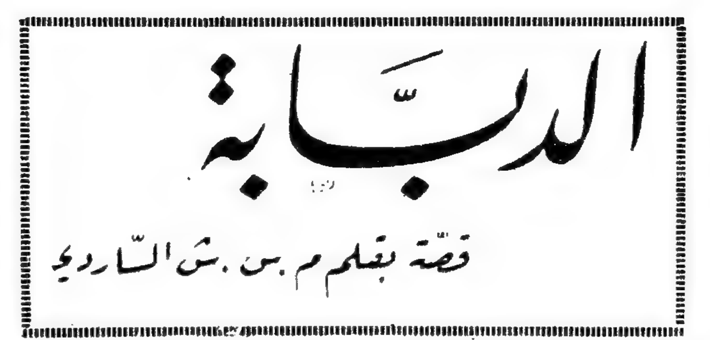
اما كيف يكسب الاديب فرديته الخاصة ، فان التطور في مجتمع معين لا يتم ايضاً في خطوط مستقيمة واضحة ، ولكنه يتطور ضمن حركة يشترك فيها كل طبقات المجتمع باهتماماتها المختلفة ونوازعها المتباينة . والاديب نظراً لظروفه الخاصة ونشأته في طبقة معينة ، قد يهتم باهتمامات طبقة معينة او غيرها . ومن هنا يكتسب لونه الخاص وفرديته الخاصة .

واخيراً ما هي رسالة الاديب في الحياة ؟ وهو السؤال الاهم والمرتبط بضرورة خاصة في مجتمعنا العربي في ظروف تطوراته الراهنة .

لعل ما يضع هذه القضية في وضعها الصحيح ، هو ما حدده الناقد «إليوت» من ان الاديب يجب ان يتأمل تجربته قبل التعبير عنها ... وبرغم موقف الناقد الخاص من الحياة ، فاننا نرى في قاعدته هذه المفتاح لقضيتنا . فما دام الاديب سيتأمل تجربته على ضوء مقارنتها بتجارب الآخرين ، فان ذلك سيعمق من تجربته ويفسح آمادها ويجعل نظرته الى الحياة غير محصورة في نطاق اهتماماته الخاصة ، وذلك مما يفسح له السبيل ليكون اكثر عدالة إزاء الآخرين واكثر تنبهاً للاهتمامات الصادقة والحقيقية في عصره ، وبذلك يساهم عن طريق الكشف عن هذه الاهتمامات والاستجابة الصحيحة لها في تمهيد الطريق لحياة انسانية افضل ، تتحقق العدالة في إطارها له وللآخرين على السواء .

وبالكشف الحقيقي عن واقعنا والاستجابة الحقيقية لاهتمامات مجتمعنا سيمهد ادباؤنا الطريق لعلاج صحيح لمجتمعاتنا ولدفعها في الطريق الصاعد حتى نعالج قضايانا بصورة موضوعية وبحلول صحيحة ليست مرتجلة من ناحية او مفروضة ومستجلبة من ناحية اخرى .

القاهرة — عبد المحسن طه بدر



كان سعيد عاملاً بسيطاً يملك سيارة لوري ضخمة هي كل رأس ماله. وهو لم يصب من العلم قليلاً ولا كثيراً بل لا يحسن الكتابة ولا يقرأ الا بصعوبة، وكل علمه من الحساب ارقام يكتبها في دفتر بسيط مثله، ملطخ بشحم السيارة مثله، يخط فيه عدد حمولات البرتقال التي ينقلها من يافا الى القدس. وكان يقيم في القدس في بيت بسيط مع زوجته وامه وابنته وولده، ويعولهم مما يحصله من عمل السيارة. وكان يحب سيارته ويرعاها كما ترعى الام الرؤوم طفلاً وحيداً، ويمعن في تنظيفها وتلميع ظاهرها ويفخر بقوتها بين اخوانه السواقين ويدعوها متحبباً « الدبابة » ويضرب بيده على جانبها كالفارس يربت على كفل فرسه، ويدعو لها بطول العمر كأنها حيوان حي ينبض الدم في عروقه.

وكان يقول لابنه كمال « لا اريدك ان تكون سواقاً مثلي عندما تكبر، لا، فهذه المهنة شاقة لا تصلح لك وانت ابن القدس، بل اريدك ان تتعلم وتذهب الى الجامعة، وتصبح استاذاً كبيراً او دكتوراً او تاجراً غنياً، فتعيش احسن مما عاش ابوك. ولا تخف على مصاريف تعليمك، فهذه « الدبابة» كفيلة بدفعها. » – نعم لقد عقد على السيارة آمالاً كباراً. ولكنها لم تتحقق. فقد جاءت سنة ١٩٣٧ واعلن الاضراب الكبير في فلسطين، فقعدت السيارة عن العمل وقعد سعيد حزيناً لا يدري ما يفعل. كان يكره ذلك الاضراب الذي قطع رزقه، ولكن لم يعترض على الذين امروا به لانه كان يحترمهم ويعقد عليهم آمالاً كباراً لم تتحقق هي الاخرى. لم يكن يفهم شيئاً من امور السياسة ولم يكن يدلي برأي، لانه لا رأي عنده، لا يفكر الا في سيارته وعمله واسرته، وينتظر انتهاء الاضراب. ولكن الاضراب لم ينته بل طال اسابيع عديدة وسعيد يرقب صابراً حتى نفد جميع ما ادخره من مال. وفكر في بيع السيارة لولا ان صدته زوجته فاطمة عن عزمه فكانت تصبره وتطيب خاطره وتقول: « ان السيارة رأس مالك فاذا بعتها كيف نعيش بعد نفاد ثمنها؟ ومن اين نأتي برأس مال جديد لشراء سيارة سواها؟» وصبر سعيد ينتظر انتهاء الاضراب، والاضراب مستمر، وازدادت ديونه، فصار يكتبها في الدفتر بدل ارقام شحنات البرتقال..

كان الثائرون من ابناء فلسطين يومئذ قد اشتد ساعدهم وتزايد عددهم فخرجوا الى الجبال جماعات جماعات يطلبون الموت للغاصبين وينشدون حريتهم بلغة الحديد ولسان النار بعد ان اعيتهم الاحتجاجات والمظاهرات. وكان لا بد للسلطات من اظهار بطشها لتأمين سلطانها وللوفاء بوعدها الاليم – وعد بلفور – الذي قطعته على نفسها غدراً باحلافها العرب، فوعدت به اليهود من مجرمي اوروبا ارض فلسطين العربية. وهكذا جلبت السلطات آلاف الجنود على عجل الى فلسطين لتقضي بهم على اولئك الثائرين. وصل الجنود ولكن لم يصل عتادهم الثقيل. ولم تمهل السلطات جنودها حتى تصل سياراتهم، بل عمدت الى وسائل النقل العامة من بصات وقطارات. ولكن الاضراب الكبير شل حركة السفر على الطرق العامة وامعن الثائرون في خطوط السكك الحديدية نسفاً وتخريباً واوقعوا الرعب في قلوب الجنود والافاقين. فكيف تنقل السلطات جنودها الى مواقع هؤلاء الثائرين الجريئين؟ لم تجد السلطات بدأً من اللجوء الى وسيلة وجدت لها « مبرراً » في « قانون الطواري » – ذلك القانون الرهيب الذي يجيز للسلطات ان تقترف ابشع الجرائم ضد الناس بصورة « قانونية » مشروعة ... فوجدت في القانون مادة تخولها « حق » وضع اليد على اموال الناس للاستعانة بذلك على « توطيد الامن والنظام » ... فوضعت يدها على كل سيارة يسمع بوجودها رجال البوليس. وكانت في كثير من الحالات ترغم صاحب السيارة او سائقها على سوقها وهي محملة بالجنود. فصار اصحاب السيارات يسعون الى بيع سياراتهم للتخلص من هذا الشر الجديد. ولكن لم يشأ احد ان يشتري. كيف يشتري سيارة من لا يستطيع استعمالها في كسب قوت يومه؟ وهكذا نزلت اسعار السيارات..

وصاح سعيد بزوجته: « لولاك كنت بعت سيارتي واسترحت. اما الآن فالاسعار نزلت، ولم تعد « الدبابة » تساوي ثمن حمار اجرب ». ولم تدر فاطمة ما تقول، فاجهشت بالبكاء وهي تتمتم « لم اكن اعلم الغيب. »

ومرت ايام واذاً باب الدار يطرق بعنف. ففتحه سعيد واذا هو امام ثلة كبيرة من رجال البوليس والجند.. جذبوه من عنقه وقالوا « اين سيارتك؟» فقال « بعتها » فلطموه وقالوا « بل انت كاذب. الا تعلم ان للحكومة الحق في مصادرة السيارات المهملة؟ » فصاح سعيد « ومن اعطى الحكومة هذا الحق؟! » فلطموه لطماً شديداً وصاحت زوجته وصرخت امه باللعنات على الجند والبوليس والحكومة، وبكى اولاده. ورجال الظلم يشبعونه ضرباً ولكماً ورفساً، وسال دمه من فمه وانفه وتورمت جوانب وجهه وازرقت عيناه، حتى صرخ « ماذا تريدون مني؟» قالوا « السيارة.. » قال « ها هي في الكاراج خذوها.» ودار بهم حول البيت ففتح باب الكاراج وقال « ها هي خذوها.. لا سامحكم الله.» فامروه باخراجها، فاخرجها الى الطريق. واذا امر يصدر الى الجنود، فدخلوها بسلاحهم ووقفوا فيها متراصين نحو ثلاثين او اكثر. وصاح الضابط بسعيد: «سق بنا » قال المسكين « الى اين؟» فقال الضابط « الى باب الواد ».. فقال سعيد « ولكن البنزين الذي في السيارة لا يكفي لتسييرها ميلاً واحدا – انظر الى العداد – انظر الى مستودع البنزين.. وانا غير لابس ملابسي. »

ففكر الضابط لحظة ثم اصدر امراً فأسرع بعض الجند الى سيارة صغيرة ذهبت بهم لاحضار بعض البنزين. وقال الضابط لسعيد. « البس ثيابك على عجل ريثما يحضر البنزين ». فدخل سعيد البيت والجند قائمون على حراسته. وصاحت به امه ان يهرب، ولكن اين المفر واولئك العفاريت محيطون بالبيت وفي ايديهم السلاح؟ ثم لو استطاع الهرب فكيف يأمن من الجند على اسرته؟ فاسرع يغسل وجهه.. ثم كأنه ذكر ربه فتوضأ وصلى ركعتين على عجل ولبس ملابسه وخرج بعد ان ودع امه وزوجته واولاده. وعادت السيارة الصغيرة بعد حين تحمل البنزين فملأوا سيارة سعيد. وركب وركب الضابط الى جانبه وامره ان يسوق.. فساق الى باب الواد.

كان سعيد يعرف لماذا يريد الجنود الذهاب الى باب الواد. ففي تلك المنطقة جماعة من الثائرين لا يزيد عددهم على عشرة. وهؤلاء الجنود ذاهبون في سيارته.. للقضاء عليهم.. وتذكر سعيد زملاءه السواقين

ومعارفه وقال لنفسه : « سيدعونني خائناً .. يا ويلاه .. ماذا جنيت ؟ وماذا يحدث لاهلي اذا اصابتني رصاصة فقتلتني ؟ من يعنى بأمي وزوجتي واولادي ؟ لن يعنى بهم الزعماء لانهم سيدعونني خائناً .. ولكن لماذا افكر بالموت ، ولكل نفس اجلها » ووجد سعيد في هذه الفكرة سلوى وعزاء ، والسيارة تسير به وبالجند في شوارع القدس . وكانت الشوارع شبه خاوية من الناس . فاستبشر سعيد وقال لنفسه « ماذا يحدث لو عطبت السيارة على الطريق فتوقفت وافسدت على هؤلاء الظالمين خطتهم ؟ ايذهبون الى قتل بني قومي ، وفي سيارتي ، وتكون النتيجة احد امرين : إما ان انجو فتلازمني طول حياتي هذه الجريمة ومعها سمة الخيانة وما يتبعها من عار لا يغسله شيء ولا حتى ماء زمزم ؟ ام اقتل كالكلب ويقول الناس : خائن فطس واستحق جزاءه .. وتثكلني امي وتترمل زوجتي وييتم اولادي ، فلا يجدون من يعينهم لانهم اسرة خائن » .

وتزاحمت هذه الافكار على رأس سعيد وهو يسوق هذا الحمل من الاعداء وحملا من الهم اثقل منه . وهو مستمر في سوق السيارة على ذلك الطريق الذي يعرفه كما يعرف ظاهر يده . حتى خرج من مدينة القدس واقبل على الطريق المنحدر المتعرج الذي يوصل الى باب الواد . وهنا نظر سعيد حوله والزم السيارة الجانب الايسر كعادته خشية ذلك الوادي السحيق الذي لا يكاد يرى الناظر غوره . وفجأة خطر ببال سعيد انه لا يبالي هذه المرة لو فقد السيارة وتحطمت .. ثم قال لنفسه « ليتني استطيع ان اقفز من السيارة بعد ان اوجهها نحو الوادي فتهوي الى قاعه مع من فيها من الجند ! » – ولكنه رأى انها فكرة جنونية غير حكيمة .. فكيف يجرؤ على فتح الباب وهذا الضابط جالس الى جانبه يرقبه بعين الشر وفي يده مسدسه ؟ واستمر سعيد يدور بالسيارة حول الجبل . وفجأة قال لنفسه : « الشهادة .. نعم ! الشهادة ! . وهل خير منها في الدنيا والآخرة ؟! » وقرأ الفاتحة في سره على عجل ثم قال : – « ارجو عفوك يا الله . انك تعلم السر واخفى ، وتعلم انني لا انوي الانتحار . ولكن كيف اسمح لهؤلاء الظالمين ان يقتلوا بني قومي المجاهدين ؟ وكيف احمل لهم الموت بنفسي ؟ فاغفر لي يا الهي وارحمني برحمتك واكتبني عندك في الشهداء .

وكن عونا لاولادي وزوجتي وامي . » وما ذكر اهله حتى سالت دمعة على خده ، فضحك الضابط لما رآها وصاح ساخراً « انتا بيبكي ؟ .. متل مرا ؟ » فالتفت سعيد الى الضابط وصاح « بل خسئت يا عدو الله »! وادار السيارة نحو الوادي في سرعة البرق وهو يصيح « الله اكبر ! الله اكبر ! » وهوت السيارة فارتطمت بالسفح وقفزت في الهواء منقلبة على نفسها ، وتناثر منها الجند ووقع منها سعيد ايضاً فتدحرج على السفح وارتطمت السيارة مرة اخرى بسفح الجبل وتدحرجت وتدحرجت حتى استقرت في قاع الوادي السحيق .

وكان المجاهدون يرقبون من الجانب الآخر من الوادي ، فهرعوا الى مكان الحادث يجمعون البنادق وما انتثر من صناديق الذخيرة . وينتزعون ما يستصلحون من ثياب الجند . حتى سمع احدهم صوتاً ضعيفاً يردد في شبه همس « الله اكبر .. الله اكبر .. » فاقبل المجاهدون على صاحب الصوت ورأوا سعيد مضرجاً بدمائه .. وما ان ميزتهم عيناه حتى هتف : « الحمد لله .. نجوتم . » وحملوه وهو يئن ويتألم .. ثم سمعوا منه قصة ما حدث واوصاهم بأسرته واسلم الروح ووجهه يفيض بالبشر .. وسالت دمعات على تلك الذقون الكثة ، وحمله المجاهدون فحفروا له قبرا على سفح الجبل وواروه التراب ووقفوا حول القبر خاشعين وقرأوا الفاتحة واستنزلوا عليه رحمة الله .. ثم ساروا متوغلين في شعب الوادي .

وانتظرت فاطمة وام سعيد عودة سعيد ولكنه لم يعد . واقبل الجيران يتساءلون وينتظرون . واقبل بعد حين رجل رث الثياب ملتف بعباءة قذرة ، فانكروه . فعرفهم بنفسه وانه رسول من جماعة الثائرين ونعى اليهم سعيد . فضجت النساء بالبكاء وشكون الى الله .

وجلس الجيران في ذلك المساء يستمعون الى الاخبار . وسمعوا المذيع يقول : « ان سيارة كانت تنقل خمسة وثلاثين جندياً قد سقطت في الوادي وهي تنقلهم من القدس الى باب الواد ، ولم ينج احد من ركابها ، وكذلك مات السائق » . فصاح احد الجالسين « بل خسئتم ايها الظالمون .. لم يمت والله .. ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا . »

لم يكترث الزعماء بأم سعيد وزوجته واولاده . ولكن الجيران جمعوا بعض المال فسددوا ديون الشهيد واعانوا اسرته .

ومضت السنوات ، وماتت ام سعيد قبل الهجرة . وشب اولاد الشهيد فتزوجت بنتاه وهما الآن بين اللاجئين . اما زوجته فتعمل في غسل الثياب واما ابنه كمال فانه لم يدخل الجامعة ولم يصبح استاذاً كبيرا ولا دكتورا ولا تاجرا غنيا .. ولكنه اليوم من الفدائيين يحرس الحدود في كل مساء مع رهط من اخوانه الاشاوس ، ويرقب اليوم الذي يزحف فيه مع الزاحفين لتطهير ارض الوطن وغسل عارها بدماء الغاصبين المجرمين ، ويرجو ان يلحق بأبيه في جنات الخلد .

لندن — م . س . ش . الساردي

اغنية طفل

اراقت دماها الورود
على الزنبق المخملي
فيا لنداوة خد الرجولة في فجرها الاول
وكل الازاهير افنت عبير الوعود
على الوجنتين ، على المقلتين ، على المبسم العندم
سراباً اراها ، فما للندى من وجود
على غرة الفارس المقبل .

***

ولكن عساها
تخلي شذاها
بقلبك هذي العهود
فينمو نضير الرياحين فيه
وريا نداها تقيه
من الحقد ، والظلم والشك والمطمح المبهم .

***

وهذا الفؤاد الطري
هو المنبع الطفل ، عبر الدهور ، لبحر الحياة الفسيح السخي
ارى فيه مكمن اندائها
ومضى رؤاها وأحزانها
كمين الغرائز ، صرح الاماني ، عرين البسالة ، عرش الجلال ،
معين العطاء وكهف الوسن ،
وأنعم به معبداً للجمال ،
وأكبر به مسرحاً للزمن !

***

ويا ابن الحياه
ترى هل يلطف هذا السياج الغرير ضراوة اشواقها ؟
وهل في غد ، تحت وقد الهجير ، ستعشق نيران آماقها ؟
بلى .. وستبلو صراع الحياه
اذا ما يقبل هذي الشفاه
لهيب الحياة الصدي
ومن طرفك الاملد
– نديم الوسن –
ستزهو نجوم السعاده
وتجري دموع الشجن
ومن خفقات الفؤاد الندي
ستزهر نار العبادة .
غداً سيطل على الكون آدم في لهفة المقلتين
وتنفض حواء فيك المنى .. فتسري الحميا على شفتين
هما .. يا لرياهما
انسكاب دموع الشفق
على زهرتين .

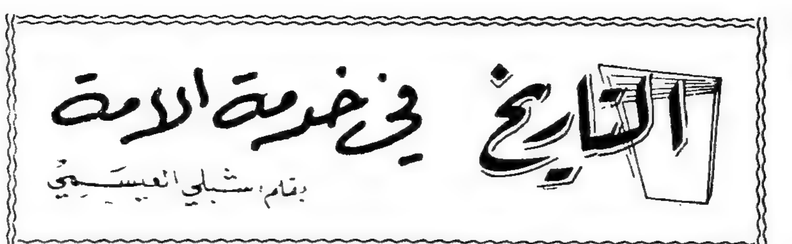
***

وهذي الحياة ، كشمس الهجير على البادية
بها قسوة الشعلة الكاويه
بها رفعة النصر في اوجه
بها كبرياء المحيط المدل على موجه
بها دمدمات نشيد الفناء
بها حرقة الشوق ، خفق الاماني ، وعيد المنايا ، جنون الصراع
بها رعشات الهوى والشقاء
بها زفرات الوداع

***

وانت بفجر الحياة ، حبيب اليها
غريب عليها
هي الشمس تلهب عرش السماء ، وأنت الضياء الوليد .
تعال فنضّر رؤانا
فاما يراك الخلود
بقاء الحياة ، فانا صفاء يراك هوانا
صغيراً وديعاً – كأول حب
طريا كأول قبله
جميلا كنيسان في ألف ثوب
ترى أنت طفله ؛ ترى أنت طفله ؟
فقد هام رب الغزل
بسحر المحيا الغرير
ورش عليه القبل
وألقى عليه سناه
فليتك تبقى صغيراً صغير
ولكن قلبي .. عزيز مناه
فما الفجر إلا دعاء الهجير
وما الطفل إلا نداء الحياه .

بغداد   سلمى الخضراء الجيوسي



لا شك ان المحافظة على الحقيقة ، عند تدوين التاريخ وتدريسه ، شيء اساسي وثمين . ولكننا نعتقد ان الفوائد التي نجنيها من كتابة التاريخ وتدريسه على اساس من الانتقاء والتوجيه لا تقل أهمية عن تحري الحقيقة . ذلك ان الحوادث الموجهة التي تغذي في نفوس المواطنين حب النضال والتمرد على الفساد والجمود، هي حوادث حية دافقة لا يمكن ان تدانيها الحوادث المجردة التي لا تترك اثراً في النفس ولا تدفع الى الحركة والنشاط ، والتي قد تخلق نوعاً من التخاذل والتشويش . لهذا نعتقد ان من المفيد ومن الجائز المشروع ، ان لم نقل من الضروري اللازم، ان يكتب التاريخ العربي ويُدرس في المرحلتين الابتدائية والثانوية على اساس من انتقاء الحوادث وتوجيهها بالشكل الذي يؤدي لتحقيق الفوائد المذكورة .

اما في الجامعة حيث لا بد من الاعتماد على العقل والمنطق، وفسح المجال للنقد الفكري وتحري الحقيقة العلمية المجردة، فلا بأس من التنقيب عن الحقائق التاريخية وعرضها في صورها الواقعية . وبعبارة واحدة : اذا اردنا ان يكون لتاريخنا صلة حية بنا وفائدة لنا فما علينا الا ان نعيد كتابة التاريخ العربي باسلوب جديد قائم على التوجيه القومي المركز ، الذي يخدم آمال العرب وامانيهم في هذه المرحلة التاريخية من حياتهم .

ولتوضيح هذا الرأي وجلاء المقصود منه نذكر الامثلة التالية :

١ - لقد ورد في احد كتب التاريخ للصف التاسع الثانوي في سوريا ما نصه « ان الشعب العربي الذي كان سابقاً في شظف العيش وخشونته يفاخر بأكل العلهز (وبر الابل مطبوخاً بالدم) ، والذي حسب ابناؤه الارز لأول وهلة سُماً وظنوا المرقوق من الخبز رقاعاً للكتابة ، هذا الشعب تهيأت له اسباب الحضارة .. الخ » .

أجل ، اننا لا نعتقد ان في مثل هذا القول خطراً على الناشئة فحسب بل ان فيه خطأ تاريخياً فادحاً . فمن حيث التوجيه تصور هذه العبارة الشعب العربي في الجاهلية متوحشاً جاهلاً لا يفقه شيئاً من معاني الحضارة والرقي ، وان العرب لم يتحضروا بعد الاسلام الا بفضل الاعاجم والامم المجاورة . ثم ان خطر هذه العبارة الاول ، يكمن في ان ما تحتوي عليه من مبالغة وصور غريبة يزيد من انتباه الطالب اليها ، بل يصعب ان ينساها فتبقى راسخة في ذهنه، وقد يرددها وكأنها حقيقة تاريخية . والخطر الثاني يظهر في تعميم هذا الحكم على الشعب العربي في الجاهلية ، مع ان الدراسة الجدية لعصر الجاهلية قبيل الاسلام تبين لنا بما لا يقبل الشك ان الوعي السياسي والاجتماعي والفكري بلغ حداً مكن العرب من حمل رسالة الاسلام . هذا وقد اصبح طبيعياً في نظر علماء الاجتماع ان يكون متعذراً على نهضة او دعوة جديدة سواء كانت دينية ام سياسية ان تنتشر في وسط معين ما لم يكن لدى هذا الوسط استعداد كاف لظهورها ونموها فيه .

ومع ذلك يكفي ان ندرس الشعر الجاهلي وان نطلع على النشاط التجاري لعرب الجاهلية واختلاطهم مع الامم المجاورة ، وان ندرس آراء بعض مفكريهم كقس بن ساعدة وورقة بن نوفل حول الدين والمجتمع ،بل يكفي ان نتأمل في ما ورد في القرآن الكريم من وصف وعبارات تشهد بما كان لعرب الجاهلية من حضارة وتقدم . نقول يكفي ذلك ليبدد من اذهاننا امثال تلك الصور التي تُظهر لنا عرب الجاهلية جميعهم بداة متوحشين منحطين .

ولو سلمنا جدلاً بانه وجد في المجتمع الجاهلي افراد يأكلون العلهز، ولنفترض ان آخرين رأوا الارز فظنوه سُماً ورأوا الخبز فظنوه ورقاً ؛ فهل يجوز لنا ان نعمم هذا القول على الشعب العربي دون نقد او قيد او تحديد ؟ . والواقع اننا لو اردنا ان نطلق احكاماً وقيماً من خلال الاعمال الفردية لاستطعنا ان نصور بعض المجتمعات الراقية في هذا القرن العشرين بالذات ، بصور تبدو أشد جهالة وتأخراً من الصورة التي يعطيها لنا « آكلو العلهز » . واننا في الوقت الذي نرى

في هذه العبارة دعوة شعوبية خطرة على النشء الجديد ، نعتقد ان مؤلفي كتاب التاريخ لم يقصدوا من تدوينها اكثر من ابراز اثر الاسلام وفضله على العرب وبيان تطورهم السريع بعد اعتناقهم الاسلام واختلاطهم بالامم المجاورة. ونعتقد كذلك ان انشغال المؤلفين في امور اخرى متعددة تضطرهم لنقل مثل هذه العبارات دون التدقيق في حقيقتها والتنبه لأضرارها على الناشئة .

٢ - ولنذكر مثالاً من نوع آخر : كثيراً ما يذكر في كتب التاريخ للصفوف الثانوية عند الكلام عن الفنون العربية مثلاً ، ان الفارابي من اصل تركي .. الخ ..

ونعتقد ان الاشارة الى جنسيته وتذكير الطلاب بأصله التركي يلقيان في ذهن الطالب نوعاً من الالتباس والتشويه على الاقل حول فضل العرب في الفنون ، مع اننا لو قمنا بتحريات عن كبار العلماء وعظماء السياسة والفن لدى الامم الاوروبية لوجدنا ان مئات من هؤلاء الذين تفتخر بهم اممهم ليسوا من اصل هذه الامم . والواقع ان الانسان ابن بيئته ومجتمعه واللغة التي يتكلم بها . فما دام الفارابي قد نشأ في بيئة عربية ومجتمع عربي وتكلم ثم كتب باللغةالعربية،فلا حاجة بعدذلك لذكر حسبه ونسبه لطلاب الدراسة الثانوية كيلا نوحي بالشك في انتاجه العربي .

٣ - بعد ان ذكرنا المثالين السابقين من التاريخ العربي نورد المثال الآتي من التاريخ الاوروبي : من الملحوظ ان اكثر مؤلفي كتب التاريخ الثانوية يبرزون اثر نابوليون الثالث في تحقيق الوحدة الايتالية (متأثرين في ذلك بالكتب الفرنسية) ونزعم ان توجيهاً كهذا يحمل الطالب على الاعتقاد بان الاتحادات القومية لا بد لها اذا ما ارادت النجاح - من ان تعتمد على مؤازرة اجنبية .ولا شك ان مثل هذا الاعتقاد يشكل خطراً كبيراً علىروح النضال الشعبي في الامة،وخاصة اذاكانت لا تزال في مراحل تكوين وحدتها القومية ، كالأمة العربية في مرحلتها الحاضرة .

اما الواقع فان الوحدة الايتالية التي تتخذ مثالاً للدلالة على اثر المساعدات الاجنبية في تحقيق الوحدات القومية ، لم يكن لنابليون الثالث فيها الا اثر ثانوي ضئيل ، في حين كان الشعب الايتالي بمنظماته واحزابه واكثر حكوماته يناضل لتحقيق هذا الهدف قبل ان يتدخل نابليون بما يزيد عن نصف قرن . وكانت الثورات تتكرر من اجل ذلك في مختلف المقاطعات الايتالية .هذاوعلى الرغم من مهارة كافور في السياسة وحسن افادته من التنافس بين فرنسا والنمسا في ذلك الحين ، فانه لم يستطع ان يضمن بقاء نابليون الى جانبه في الساعات الحاسمة من الحرب ضد النمسا.وبناء على هذه الوقائع التاريخية نستطيع ان نوضح كيف كان نضال الشعب الايتالي لعشرات السنين ، الحجر الاساسي في تحقيق الوحدة ، وان نوضح الاثر الفعال الذي تركته كتابات المفكرين الايتاليين حول الحرية والوحدة ، امثـــال مازيني ، وماميني ، والفيري وفوسكولو وغيرهم ، وان نبين الدور الذي لعبته الجمعيات والاحزاب السياسية كمنظمة ايتاليا الفتاة والكاربوناري وغيرهما وخـــاصة بعد ان انتشرت بين صفوف الشعب على نطاق واسع واخذت تركز في اذهان الموطنين اهداف ايتاليا في الحرية والوحدة . ولا شك ان توضيحها لهذه الاهداف كان سابقاً للعمل لها ، كما ان حمل جمهور الشعب على الايمان بصحتها وحاجتها قد عجل في تحقيقها . واذا اضفنا الى ذلك كله ماقام به كافور من تقوية للجيش وتنشيط للحياة الاقتصادية وتوفيق بين الاحزاب السياسية في الاهداف الاساسية ، وان التطور السياسي والاجتماعي في تلك المرحلة التاريخية من حياة اوروبا كان يسير في مصلحة الوحدات القومية للامم الاوروبية، وان هلهلة الانظمة الرجعية وانحلالها عهد مترنيخ وبعده ، كانت تدل بوضوح على ان الوحدة الايتـــالية لم تكن قابلة للتحقيق فحسب بل كانت امراً مؤكداً لا ريب فيه،ولو لم يتدخل نابليون ، بدليل ان روسيـــا كانت قد ساعدت النمسا ضد ثورة المجريين من اجل الاستقلال والوحدة عام ١٨٤٨ م،فلم يكن من نتيجة هذا التدخل سوى تأجيل هذه الوحدة الى عام ١٨٦٧ م .

اجل ، اذا اضفنا هذه الملاحظات لما تقدم نستطيع ان نطمئن الى ان الطـــالب العربي يخلص من قراءته للوحدة الايتـــالية بنتيجة صحيحة مفيدة ، وهي ان قوة الشعب الداخلية وتنظيم جهوده واستمراره في النضال هي التي تقرر مصير الوحدات القومية .

على هذا الاساس وضمن هذا الاتجاه والتوجيه يجب ان يكتب التاريخ العربي للطلاب العرب في المرحلتين الابتدائية والثانوية .

ولكن اذاكانت هنالك حوادث يصعب توجيهها ، وكان اهمالها في الوقت نفسه ممكناً ولا يشكل ثغرة فـــاضحة في مجرى الحوادث ، فمن الافضل عندئذ اهمالها والاستغناءعنها.

أغنية ولاء

صنعت لك
عرشاً من الحرير ... مخملي
نجرته من صندل
ومسندين تتكي عليهما
ولجة من الرخام .. صخرها الماس
جلبت من سوق الرقيق قينتين
قطرت من كرم الجنان جفنتين
والكأس من بللور
اسرجت مصباحا
علقته في كوة في جانب الجدار
ونوره المفضض المهيب
وظله الغريب
في عالم يلتف في ازاره الشحيب
والليل قد راحا
وما قدمت — انت — زائري
[الحبيب ؟

هدمت ما بنيت
اضعت ما اقتنيت
وانتظرت .. انت ما اتيت
خرجت لك
علّي أوافي محملك
ومثلما ولدت — غير شملة الأحرام
[— قد خرجت لك
اسائل الرواد
عن ارضك الغريبة الرهيبة الاسرار
في هدأة المساء — والظــلام خيمة
[سوداء
ضربت في الوديان والتلاع والوهاد
اسائل الرواد
« ومن اراد ان يعيش فليمت شهيد
عشق »

انا هنا ملقى على الجدار
وقد دفنت في الخيال قلبي الوديع
وجسمي الصريع
في مهمه الخيال قد دفنت قلبي الوديع
معذبي يا أيها الحبيب
أليس لي في المجلس السني حبوة
[التبيع
فانني مطيع
وخادم سميع
فان أذنت انني النديم في الاسحار
حكايتي غرائب لم يحوها كتاب
طبائعي رقيقة كالخمر في الأكواب
فان لطفت هل اليّ رنوة الحنان
فانني ادل بالهوى على الاخدان
اليس لي بقلبك العميق من مكان
وقد كسرت في هواك طينة
[الانسان
وليس ثم من رجوع .

« القاهرة » **صلاح الدين عبدالصبور**
من الجمعية الادبية المصرية

اما اذا كانت هذه الحوادث التاريخية من النوع الذي يصعب اهماله فلا بد من عرضها بايجاز مع بعض التعليقات الموجهة التي يمكن الافادة منها . ومثال ذلك : قتل الخلفاء العباسيين لابي سلمة الخلال وابي مسلم الخراساني والبرامكة ... فهنالك فرق كبير بين ان يعرض قتلهم على انه خيـــانة وغدر ، وبدافع من نزعة الاستبداد وحب سفك الدماء ، وبين ان يعرض على انه قصاص لهم لتآمرهم على سلامة الدولة وسعيهم لتقويض الحكم العباسي ، كما دلت محاولات الاعـــاجم المتكررة في العهود التي ضعف فيها الخلفاء العرب وتساهلوا مع امثال هذه العناصر الاعجمية الطامحة حتى سيطرت على السلطة وقوضت دعائم الحكم العربي .

قد يرد بعضهم على هذا التوجيه بقوله : ان للحقائق من قوة التأثير والانتشار بحيث لا يمكن للحوادث الموجهة ان تتغلب عليها كائنة ما كانت من قوة الدعاية والتركيز . واننا اذا اردنا ان نكتب التاريخ العربي على هذا الاساس الموجه ، فان اعداء العرب والمتحمسين للابحاث العلمية يستطيعون ان ينشروا الحقائق فتتهافت عندها الحوادث الموجهة وتنعدم ثقة الطلاب بما يتعلمون من وقائع التاريخ .

ونحن مع اعترافنا بقيمة هذه الملاحظة واثرها فاننا نعتقد المحذور الناتج عن توجيه الحوادث التاريخية ، يبقى اقل ضرراً واخف خطراً من ابقاء التاريخ بالشكل الذي ذكرناه . زد على ذلك ان طلاب المرحلتين الابتدائية والثانوية لن يكون لديهم من سعة الوقت وحب الاستقصاء ودقة الملاحظة ما يدفعهم الى الاطلاع على الدراسات المفصلة واكتشـــاف الاختلاف بين ما يقرأونه فيها وبين ما يقرأونه في كتبهم المدرسية .

وبعد : فما دامت المرحلة التاريخية التي يحياها العرب في الوقت الحاضر هي مرحلة النضال ، وما دام تدريس التاريخ وتدوينه على اساس الانتقاء والتوجيه يخدمان هذه الاهداف ويعجلان في تحقيقها ، فمن الواجب كتابته وتدريسه بهذا الاسلوب الجديد الذي حاولنا توضيحه .

السويداء **شبلي العسيمي**

العربية الفصحى في حرج ؟!

بقلم الدكتور عبد العزيز الأهواني

لا احسب ان مشكلة من مشاكلنا الفكرية والادبية تستحق من العناية ما تستحقه مشكلة العربية والعامية. والمسألة هنا ليست مسألة التعبير اللغوي واختلاف وسائله ، وانما هي مسألة التكوين العقلي والعمل التفكيري نفسه ، فان اللغة لم تكن ابداً « أداة » او « واسطة » للترجمة عن معنى قائم في النفس متكامل مستقل يلتمس له شكلاً او آنية يصاغ او يصب فيها كما يصب المعدن المنصهر في قوالب مختلفة . وانما اللغة احساس وتفكير وذوق ، وهي اشارة لما هو كامن في النفس وايحاء متجدد لمواقف في الحياة تقفها الاجيال المتعاقبة ، واللغة جزء لا يتجزأ من حياة الجماعة والافراد . وكل لفظ لغوي وكل جملة وكل تركيب وراءه تاريخ انساني طويل يوحي ويوجه ويدعو الى حركة نفسية متنوعة المظاهر والاغراض . ولكل لغة اسرار لا يدركها الا ابناء تلك اللغة . والشعر والآثار الادبية الخالدة لا يمكن ان تترجم الى لغة اجنبية دون ان تفقد شيئاً او اشياء ، واغلب الظن ان هذا الذي فقدته هو سر خلودها . وقد كان القدماء يؤمنون بسحر الالفاظ ، السحر المادي الحقيقي لا المجازي ، ويعتقدون ان الفاظاً بعينها تشفي المرضى او تفتح الكنوز او تسخر الجن او تنزل اللعنة . وكان هذا الاعتقاد منهم يرتد الى ما أحسوه غامضاً من صلة بين اللفظ والنفس . ولا يزال العلماء المحدثون يعرفون للغة هذا الخطر في حياة الجماعة . وكل لغة حية في تجدد مستمر وتطور متصل لان المجتمع الانساني الذي تحيا فيه هذه اللغة ، او الذي يحيا في هذه اللغة ، في تطور وتجدد .

وهنا تبرز مشكلة اللغة العربية في افظع صورها لمن يتأمل المسألة ويطيل النظر فيها . هل تعتبر اللغة العربية التي نكتب فيها ونخطب بها احياناً لغة حية كالفرنسية والانجليزية ؟ او هي لغة ميتة كاللاتينية واليونانية القديمة ؟ والحياة والموت هنا ليس مقياسه وشاهده ان يوجد من يكتبون كتابة (صحيحة) من الناحية اللغوية والنحوية والصرفية . ففي الغرب الحديث كثيرون استطاعوا ويستطيعون ان يكتبوا ويؤلفوا في لغة لاتينية (صحيحة) بهذا المعنى ، ولن يكون هذا التأليف بحال من الاحوال حكماً على ان اللاتينية لغة حية . ولعلي لا اكون مبالغاً اذا قلت ان اديباً يضطر ان يعرض اثره قبل اذاعته على متخصص في النحو ليصحح له اخطاءه اللغوية والنحوية لا يمكن ان يكون مؤدياً لوظيفته اداء كاملاً ، لان معنى هذا انه يكتب في لغة ليست لغته . بل ان هذا الامر قائم ايضاً لو عرض الاديب او الشاعر اثره بنفسه على كتب النحو وكتب العروض يسألها الحكم ويستفتيها . ولنا بعد ان نسأل : أيفعل ادباء العربية وكتابها هذا ؟ على ان الامر اكثر تعقيداً .

اذكر انني اردت منذ ايام ان اعبر كتابة عن احساس قديم ملأ قلبي وقد وقفت وانا صغير عند بئر في قريتي ، فخذلتني لغة الكتابة ، لسببين : اولهما ان لفظ البئر

نشرت « الآداب » في عددها الماضي مقالا مسهباً للدكتور كمال الحاج يثير فيه مجدداً قضية اللغة العربية الفصحى ويناقش دعاة العامية . وهذا مقال آخر كتبه الدكتور عبد العزيز الاهواني يعود فيه الى القضية نفسها ولكن بما قد يمكن ان يعتبر رداً على الدكتور الحاج اذ هو يطرح قضية العامية من جديد .

« والآداب » تنشر هذا المقال عملاً بحرية الرأي ، ولتتيح للادباء والقراء ان يشاركوا في دراسة هذا الموضوع القديم الجديد ابداً ، رغبة في الوصول الى موقف محدد واضح لخير قضية اللغة العربية .

« الآداب »

كما عرفته منذ الصبى ونطقت به مذكر ، وهو في لغة الكتابة مؤنث ، في القرآن « وبئر معطلة وقصر مشيد».

والثاني هي هذه الهمزة التي سيضعها صفاف الحروف (ولعل الصواب : صافّ الحروف) على ياء (البير) وشتان بين (البير) المذكر بالمد و (البئر) المؤنث بالهمز. ان اللفظ الاول بامتداده الصوتي يوحي في نفسي العمق الذي لا حد له حتى ليثير في نفسي اليوم ما كان يثيره حين كنت صبياً . يثير الخوف الذي يقشعر له جوفي . واللفظ الثاني بهمزته يبدد هذا الخوف ويرتفع بقاع البئر حتى لتكاد تراه العين وتبلغه اليد . واذن فالبئر التي سأكتبها ثم اقرؤها ويقرؤها القاريء معي شيء آخر غير (البير) الذي شهدته في قريتي وفزعت منه .

أحسب ان هذا هو مقياس الحياة والموت في لغة من اللغات . كان البئر المؤنث المهموز حياً عند جدي العربي البدوي الذي يعيش في الصحراء ، كان لا يوحي اليه بمعنى الخوف ، وكان عنده مصدر الخصب والري والحياة . وربما كان لهذا مؤنث اللفظ لان الانثى مصدر الحياة ، والحياة عندهم وعندنا انثى ، ولكن هذا البئر صار في الوادي وفي العصر الذي اعيش فيها شيئاً آخر غير البئر القديم فصار اللفظ القديم ميتاً عندي وحل محله اللفظ الجديد مذكراً مسهل الهمزة . ولذلك جعل قومي يوسف يلقى في غيابة (البير) وجعله القرآن يلقى في غيابة (الجب) . فلم يستخدم لفظ البئر . ومع هذا كله فانا اكتب (البئر) لا البير .

ولو راقت الكتّاب انفسهم وهم يكتبون (واستطعموا) الالفاظ او تذوقوها لوجدوا مئات الشواهد لما أحسسته انا نحو هذا اللفظ ، ولعلموا ان لغة الكتابة تفرض عليهم قيوداً ثقيلة تبطل السحر من اللفظ ، وتشل الحياة من الجملة وتحول بينهم وبين الانطلاق والحرية . والانطلاق والحرية مصدر العبقرية ومنفذها .

وما يقال عن اللفظ يقال عن الجمل وشبه الجمل وروابط الجمل وترتيب الكلام وصيغ التعجب والاستفهام والنفي . وهذه امور يتسع فيها القول .

ولنعد الى اللاتينية مرة ثانية ، الى اللغة التي كانت حية والتي كتب فيها فيرجيل وشيشرون ثم صارت ميتة وان ظلت لغة الكنيسة في الغرب ، وان ظلت موضوعاً لدراسة طويلة متصلة في جامعات الغرب ، وان ظلت تقتبس منها الالفاظ والصيغ للصيدليات ومخازن الادوية .

كان للاتينية في القرون الوسطى عشاق كثيرون . وكان العلماء يؤمنون بها ويرونها لغة الدين والعلم والثقافة ، وكانوا يرونها لغة الآباء والاجداد، فهي لهذا جديرة بالتقديس والاحترام، وكانوا يرونها فوق ذلك اداة ومظهر الوحدة العالم المسيحي الغربي، في موتها خطر ديني وقومي وسياسي . ولكن هذه اللاتينية كانت تنكمش يوماً بعد يوم وتنفصل عن الحياة جيلاً بعد جيل . وظهرت في الميدان نفسه لغات تزاحم اللاتينة وتتقدم فتنزع منها الميدان شبراً شبراً .

وجدير بالذكر ان نشير هنا الى ان اللغة العربية نفسها كانت احدى هذه اللغات المزاحمة وان اقتصرت على جزء ضيق من العالم اللاتيني . غزت اسبانيا وكان للشبان المسيحيين موقف منها سجله الفارو الراهب القرطبي الذي عاش في القرن التاسع الميلادي . وهذا النص الحرفي لبعض ما كتبه :

«اين هو بين المدنيين من ابناء ديننا من يستطيع ان يرجع الى المؤلفات اللاتينية لعلمائنا حين يريد ان يعكف على دراسة الكتاب المقدس ؟من الذي يتحمس لدراسة الاناجيل وكتب الانبياء واعمال الرسل ؟السنا نرى شبابنا المسيحيين الممتلئين بالحيوية والجمال والبلاغة يعكفون على الثقافة الالحادية ، ويزدادون تمكناً في اللغة العربية ، ويندفعون في لهفة وراء كتب الشرقيين يبحثون عنها ويقلبونها ويدرسونها بامعان ولايجدون متعة في غيرها ولا يتحدثون عما سواها ؟ واأسفاه مسيحيون لا يعرفون شريعتهم ! ولاتينيون ينسون لغتهم الاصلية .لقد بلغ الامر حداً بحيث لا تكاد تجد بين المسيحيين واحداً في الالف يستطيع ان يكتب رسالة في لغة مقبولة الى اخيه لمجرد التحية ، على حين انك تجد جمعاً لا يحصى منهم يتفاخر بالعبارات السامية . انهم لينظمون في اللغة العربية اشعاراً اكثر صقلاً من أشعار الغاصبين ، يحلونها بفقرات ختامية متفقة الجرس اروع مما يفعله اولئك . »

ولكن الضربة القاصمة لم تصب اللاتينية من لغة العرب وانما اصابتها من اللغات الرومانية (Langues Romaines) — اي من اللغات العامية .

والمؤرخون للغة اللاتينية يحرصون على تقرير حقيقة تشبه

ما حدث في العالم العربي . فهم يقولون ان هذه اللغـــات الرومانية ليست تطوراً محرفاً او لحناً للغة اللاتينية ؛ ويشرحون ذلك فيقولون : كان الرومان قبائل او اقاليم يتكلمون بلهجات مختلفة ، فصارت واحدة منهـــا هي اللغة الادبية الرسمية وهي اللاتينية ، وبقيت اللهجات الاخرى حية على ألسنة الناس واصحابها. فلما خرج الرومان غزاة، انتشرت لغة الجنود – او لهجتهم ان شئت – ومن تبع الجنود من تجار وعمال في البلاد الاوروبية التي استقروا فيها فاتحين ، وتعلم الناس منهم لغاتهم هذه . فوجدت في الممالك الاوروبية منذ الفتح الروماني لغتان في كل مملكة ، لغة رسمية هي اللاتينية ولغة شعبية هي التي تلقوهـــا عن الجنود ومن حولهم . فتشابهت اللغة الرسمية في الممالك كلها وجمدت اوتطورت تطوراً صناعياً بطيئاً ظهر عنه ما يسمى (باللاتينية المتأخرة) bas latin او basse latinité وظلت اللغات الشعبية حية متطورة وعن هذه نشأت اللغات الاوروبية الحديثة في العالم اللاتيني : الايطالية والفرنسية والاسبانية والبرتغالية وغيرها .

ونقول ان هذا يشبه تماماً الموقف في العالم العربي : لغة قريش هي اللغة الرسمية الادبية . ولغات القبائل العربية في الامصار المفتوحة هي الحية المتطورة التي انتهت الى هذه اللغات العامية في العراق والشام ومصر والمغرب والاندلس العربية . ثم ان اللغة العربية الادبية ، او اللغة المعربة ، او لغة الكتابة قد اصابها هذا الضعف الذي اصـــاب اللاتينية، فوجد في لغة الادب العربي منذ العصر التركي ضعف وركاكة يمكن ان نصطنع له لفظ (العربي المتأخر) كما قلنا (اللاتيني المتأخر) . وقد تمثل هذا العربي المتأخر عند مثل الجبرتي في كتابه عن تاريخ مصر .

ولقد وجدت آثار ادبية في اللغات الرومانية واللاتينية حين كانت اللاتينية مسيطرة متحكمة ، من هذه الآثار اشعار التروبادور في القرن الثالث عشر الميلادي . وكذلك وجدت في اللغات العـــامية العربية آثار ادبية قديمة مثل ازجال ابن قزمان وازجال ابي الحسن الششتري المتصوف وغيرهما في المغرب والمشرق من فنون المواليا والقوما والكان وكان .

تشابهت المظاهر كما رأينا بين العربية واللاتينية ، ولكن ختام القصة لم يتشابه . مـــاتت اللاتينية في العالم الغربي رغم جهود العلماء في القرون الوسطى وفي اول عصر النهضة واستماتتهم في الدفاع عنها وحمايتها . ولم يعد احد هنالك يؤلف فيها. واللغة العربية المعربة لا تزال لغتنا الادبية يكتب فيها قصاصونا وينظم شعراؤنا وتصدر بها صحفنـــا ومجلاتنا . فهل انخرمت القاعدة التي خضعت لها اللغات القديمة كلها من انشعابها الى لغات محلية ثم موتها وحلول تلك محلها، ام ان اللغة العربية لا تزال بالرغم من كل شيء تنتظر مصرعها بين يوم ويوم لتحل محلها اللغة الشامية والمصرية والعراقية ؟ ثم اين هو الخير ؟ اهو في حياة العربية ام في موتها ؟

ان علماء الغرب يعتبرون اليوم ان الخير لهم كان في موت اللاتينية . وقد كتب شارل بالي Ch. Bally في كتابه Le langage et la vie , كلاماً رائعاً، قال: «ان اوروبا كانت تغطيها طبقة من الجليد كانها الكفن الابيض يحجب ما في باطن الارض وسطحها من نماء وحياء . ثم اشرق يوم جميل مشمس فذابت الثلوج المتصلبة الجامدة وانبثقت جداول من الماء العذب المتوثب الجاري فانبتت العشب والزهر والحياة. تلك هي اللاتينية وهذه جداول اللغات الرومانية . تكلف وقيود وشلل اعقبه جمال وحرية وصدق». فهل يكون موقفنا كموقف (شارل بالي) او يكون كموقف (الفـــارو القرطبي) ام الامر يختلف ؟

خيل الي حيناً ان روح العبودية الكامن في صدورنا ، وان قوة الرجعية في العالم العربي، والخوف من الجديد، والفزع من الحرية ، وضعف الثقة بالنفس ، هو الذي حال بيننا وبين ان نصنع بالعربية ما صنع الاوروبيون باللاتينية . واعتقدت ان الشعب الغافل المظلوم ، وهو صاحب الحق الاول في تقرير مصيره اللغوي ، لا ارادة له ولا صوت يعبر عنـــه ، فكان موقفه من العربية الفصيحة إجلالا ورهبة من جانب، وسخرية واستهزاء من جانب آخر . وهو في الجانبين جميعاً ضعيف الصوت تابع لا متبوع . وان يوم اليقظـــة قريب . اليوم الذي يبطل فيه سحر المتشدقين والمتفيقهين والمتفصحين فيسقطون وتسقط معهم لغتهم ويرجع التراث الى اصحابـــه الحقيقيين، وهنالك يختفي الاعراب وتختفي نون النسوة وتختفي اشياء وأشياء ليحل محلها الشيء الجديد الحي المتطور. واعتقدت ان العلماء الذين يتحرجون او يحرمون ان تدرس في جامعاتنا آدابنا الشعبية وقصصنا القديم لان لغته ركيكة ، والذين

يطلعون على الناس كل يوم باكتشاف لغوي يخطيء ما يكتبه الادباء ، اقول اعتقدت ان الروح الجامد لهؤلاء العلمـــاء هو الذي ينشر الرعب والحرج باسم الدين او القومية او الوحدة او المجد الغابر فيتضاءل امامه المثقفون وغير المثقفين. اعتقدت ذلك ولا يزال في النفس منه شيء . ولكن بجانب هذا الشيء اشياء لاتتضح المسألة ولايحاط بالمشكلة الابذكرها وكلهايتصل بمصير العربية وبالشبه بينها وبين اللاتينية .

واول ما يلاحظ ان ادبنا الشعبي القديم في معظمه كتب في لغة عربية ، وان دخلت تحت العربية المتأخرة. فسيرةعنترة وابو زيدوسيف وذات الهمة والظاهر بيبرس ثم ألف ليلة وليلة وقصة الاسراء والمعراج ومعظم القصص الديني المكتوب ليس في لغة عامية بالمعنى الصحيح للكلمة . وليس الامر كذلك في الآداب الرومانية . فان ملحمة رولان في فرنسا وملحمة السيد القمبيطور في اسبانيا والكوميديا الالهية لدانتي في ايطاليا شيء آخر غير اللاتينية ، ولا يمكن ان يقرأها في لغتها الا ابناء تلك اللغة دون سائر اللغات الرومانية . بل ان الازجال في العالم العربي القديم كانت في لغة متوسطة بين العـــامية والعربية . وحسبنا دليلاً على ذلك ما ذكره ابن سعيد الاندلسي (القرن السابع الهجري) من انه وجد ازجال ابن قزمان تقرأ في بغداد اكثر مما تقرأ في حواضر المغرب . والنسخة الوحيدة التي وصلت الينا من ازجال ابن قزمان كتبت في مدينة صفد بعيداً عن المغرب. وهذه الازجال ولغتها تذكرنا بشعر التروبادور . فمعروف ان ولاية بروفنسي في جنوب فرنسا هي مهد هؤلاء الشعراء ومنها انتشر فن التروبادور الى سائر العالم الروماني . ومع ذلك فقد ظلت المسحة البروفنسالية غالبة على هذا الشعر بحيث وجدما يشبه اللغة المشتركة بين هؤلاء الشعراء . والسبب في ذلك ان التروبادور كانوا طبقة متعلمة مثقفة كطبقة الزجالين في العالم العربي .

فهذا اول . وثان ان الكتابة العربية لا تثبت فيها رسما حركات الاعراب في آخر الكلمـــات ولا النطق في صلب الكلمات كما هو الامر في الكتابة اللاتينية . وقد اتاح هذا للغة العربية ان يطول عمرها . ولقد يبدو هذا القول غريباً ولكنه حق . ويكفي ان نستمع لرجل نصف عامي ممن يفكون الخط وهو يقرأ لزملاء له الصحيفة اليومية او يقرأ لهم قصة شعبية دينية لنرى انه ينطق الكلمات كما ينطقها ويسمعها في اللغة العامية فيخلو من كلامه التشديق المضحك والتكلف الذي يجرح آذان المستمعين ويصك مسامعهم ويزهدهم او يصـــدهم عن الفهم . والقاريء هنا والسامع في حكم واحد . ولو ان الكتابة العربية رسمت الحركات لجاز ان تحل بها الكارثة التي حلت باللاتينية . وهذه الازمة — وهو عجيب — يعانيها المثقفون دون العامة . فهات المثقف الذي يقرأ مجلة (الآداب) بصوت مرتفع ليسمع زملاءه ثم لا يتوقف ليصحح لنفسه خطأ نحوياً وهو يقرأ ، او يستوقفه زميله السامع لهذا التصحيح ، وربما اغضى الزميل على اللحن خجلاً او حرصاً على ألا يقطع القراءة . وهذا العامل الثاني كما ترى متداخل مع الاول .

وقد يضاف الى هذين الامرين اللذين جعلا اللغة العربية غير اجنبية تماماً في العالم العربي عوامل اخرى مثل قصر تاريخ اللغة العربية المكتوبة اذا قيس بتاريخ اللاتينيـــة من بعض الوجوه ، ومثل اختلاف الصلة الى حد ما بين الدين واللغة في العالمين الروماني والعربي وضآلة عدد الطبقة الوسطى . الى غير ذلك من عوامل ومسائل تحتاج الى دراسات طويلة . ولكن اعظم ما في المسألة الآن هو اختلاف العصر الحديث

عن العصور السابقة اختلافاً بدأ يثير الشك في اطراد القانون اللغوي القديم من موت لغة لتحل محلها لغاتها الشعبية . فالعصر الحديث هو عصر المطبعة والصحافة والراديو ، عصر التعليم الاجباري ، عصر يصير نحو الاشتراكية في كل جزء من اجزاء العالم . ولذلك كله لم تصبح الكتابة والقراءة وقفاً على طبقة محدودة في مستوى اقتصادي مرتفع او متوسط ، وانما صارت ضرورة شعبية محتمة .

كان قراء اللاتينية في العالم الغربي منذ القرن العاشر الميلادي يتناقصون يوماً بعد يوم ، وقراء العربية منذ القرن التاسع عشر يزيدون يوماً بعد يوم . وكانت الفنون الادبية في اللاتينية تضيق عصراً بعد عصر ، حتى كادت تقتصر على الدين والعقليات وحدها ، والفنون الادبية في اللغة العربية تزداد وتتنوع سنة بعد سنة ، بما يظهر من قصص ومقالات ومسرحيات وكتب مترجمة ومؤلفة . فهل هذا ميلاد جديد ام حركات مصطنعة وألاعيب سيجرفها السيل الذي يتجمع في الشعاب خلف الجبل ؟ كل ما اعلمه في هذا السبيل ان المستقبل القريب لن يسمح بقيام لغتين متميزتين الى هذا

الحد الذي نراه في بيئة واحدة ، وان لا بد من التقارب الشديد ان لم يكن الاندماج الكامل التام . ولكن كيف يتم هذا ؟

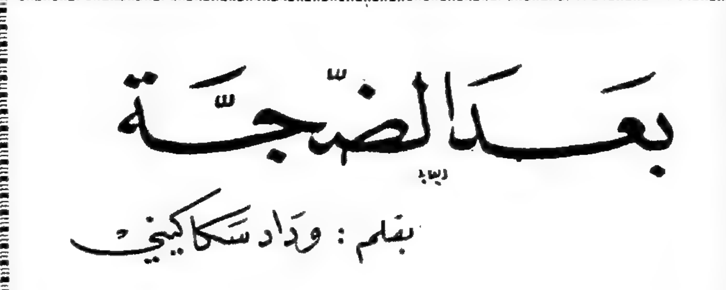
ايتم كما تم مع اللاتينية رغم كل هذه المظاهر ؟ يحسن بنا ان نتذكر ان فنوناً جديدة من التعبير لم تغزها اللغة العربية ابداً ، وما اظنها ستغزوها لانها متصلة بالشعب اتصالاً وثيقاً فاستأثرت بها العامية وحدها . تلك هي السينما ، فكل ما فيها من كلام فانما هو في اللغة العامية . وذلك هو المسرح – على ضعفه – اكثر ما فيه وابقاه ايضاً هو ما كان في اللغة العامية . فهل جاء دور الصحافة اليومية والاذاعة ليصيرا كالسينما ؟ ثم يجيء بعدهما دور المجلة الاسبوعية ثم الشهرية ثم الكتاب . وهنا يقال « ماتت اللغة العربية » ؟

ام ترى تتخذ المسألة صورة اخرى : التطور الضخم ؟ كلنا يعلم ان هذا التطور الضخم خضعت له اللغات الاوروبية الحية كلها منذ نشأت الى اليوم ، ولم يجد اصحابها في ذلك حرجاً . ولنأخذ الفرنسية مثلاً – من يقرأ اليوم من الفرنسيين ملحمة رولان في لغتها الفرنسية القديمة يعتقد انه امام لغة تحتاج الى ان تترجم له . وقد ترجمت فعلاً الى الفرنسية الحديثة عدة مرات . وما يقال عن ملحمة رولان يقال عن كل الآثار الادبية في اللغة الفرنسية خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر وما بعدها . والفرنسيون مع هذا لا يقولون ان لغتهم ماتت ثم حيت ، وانما يقولون انها تتطور وتنمو وتلائم الحياة لانها تعبير عن الحياة .

والعربية اليوم تفعل هذا بغير شك ، ولكن العربية الحديثة في تطورها اللغوي تسير سير السلحفاة . ولا تكاد لغة الجاحظ تختلف كثيراً عن اللغة التي اكتب بها الآن ، على ان بيني وبينه اكثر من الف سنة . ومعنى هذا ان تقدمنا بطيء ثقيل يعرضنا ويعرض لغتنا الادبية لخطر السقوط الفجائي لانها لا تزال بعيدة عن الحياة .

اترى يتم هذا التطور الضخم على ايدي ادبائنا اليوم فتسلم آذاننا من كلمة نصم عند سماعها وهي «ماتت اللغة العربية» ، ولنقول مكانها « تطورت اللغة العربية » لا ادري ؟ لعلنا ننتظر عبقرياً موهوباً يشق للناس الطريق . ولكنه على اي حال لن يجد منفذاً الا عن طريق الشعب ولغة الشعب .

القاهرة **عبد العزيز الاهواني**



بعد الضجة

بقلم : وداد سكاكيني

ضجت بعض الاقلام اللبنانية منذ بضعة اشهر حول القصة الاخيرة للأديب الحاذق الشيخ خليل تقي الدين ، فترامى الى سمعي من بعيد نبأ الضجيج ، اذ كنت في ابانهـا بمصر أتشوّف الى آثار الفكر والرأي التي تلتمع من صوب بلادي ، فأتنورها ولا احظى بها الا ندرة ولماما .

تساءلت عن سبب اللغط ، وانا اعلم ان ليس من الشرط والحتم ان يكون دليلا على ضخامة الحديث او عمق الموضوع ورجاحة الهدف ، فما كان كل نبأ او كتاب يثير الجمهور ويهز الاقلام ذا شأن او اثر مهما تحشد له الدعوى . وقد اتفق لي ما اتفق لمن رأى حلقة في درب وحولهـا ترتفع الاصوات وتزدحم المناكب ويتردد التغامز ، فمضى يستطلع ويسأل ويتلمس الحكاية التي هاجت الوسوسة والنقمة ، وحركت الاقلام لتبيان المسألة ، لكنه ارتد سادراً متبرماً اذ لم يقف على سر الموضوع ولا امسك بحقيقة الخبر ، حتى تقدر لي ان اعود الى الوطن واجتلي مظاهر الحياة الفكرية والثقـافية في مجالسها وندواتها ، واتطلع الى آثارها واخبارها ، فوقعت في يدي فيما وقع القصة المتهمة التي هجنهـا بعض الادباء في لبنان .

قرأت «تامارا» وانا استعيد بخاطري ادب صاحبها ، فلم اجدها متسمة بمياسم القصص الا من قبيل التجاوز والتسامح ، بحثت فيها عن السلسلة الواحدة التي تربطها من اولها الى آخرهـا ، وكيف كان شخوصها يشعرون ويفكرون ، وما الغاية التي كان على القارىء ان يدركها في نهايتها ، شأن ما يكون من القصص ، فاذا بموضوع « تامارا » لا يحتوي كياناً ولا نسقاً لقصة ذات رأي او فكرة او مشكلة ، وانما هو سرد حكاية تكاد تكون بوليسية او رواية اخبار وحوادث لغانية خالبة كانت تعبث بالقلوب والخفايا ، وتجس انباء السياسة الاجنبية لرجالها المسؤولين في البلد الذي ذهب اليه مؤلف « تامارا » سفيراً ، وقد صوره بلد الرعب والسكون ، ومثابة للمكبوحين والمبهوتين ، كما جعل امره غمة وغيهبا . امـا الحوادث المتخطفـة في تجسس « تامارا » فقد دارت واحـدة بعد واحدة ، ناسجة على هذه الصبية الفاتنة اثواب المجانة والتبـذل والخيـانة الزوجية ، دون ان ترمي الى عقبى ندامة او توبة وروعة ، فكان في غرضها مرض تتحرر منه العروبة والكرامة وتتحرج اقلامها الحرة من الخوض فيه مهما يكن امرها .

لقد دارت حوادث القصة المزعومة في نطاق موهوم حول رجال السلك السياسي في ذلك البلد البعيد الذي رآه المؤلف حبساً كئيباً رهيباً ، يضرب على الاجانب ان يعيشوا بين قضبانه الحديدية وقد تسلـل اليهم الرصد واطبقت عليهم الآذان ، حتى يخيل الى القارىء ان اهله يعانون في حياتهم ضنك المعيشة ودواهي الحكم والارهاب .

وحين قرأت في مطلـع الحديث ، وتسميته بالحديث الصحفي اولى ، ان المؤلف عـاش في محتواه ثلاث سنوات وفكر فيه عشر سنوات وكتبه في ثلاثة ايام عللت النفس بقراءة دسمة ، لقصة خصبة ممتعة انضجها الزمن وروّى في فكرتها قلم اديب اصيل ، فلم يخرجها للناس الا بعد اناة وتصميم وتحكيم في الخاطر والضمير ، بل حسبت القصة ستكون حولية كحوليات الشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى الذي كان ينظم القصيدة في مدى عام ثم ينقحها وينظر فيها بآخر ، ويعرضها على اخوانه وقومه في العام الثالث ، لكن النظرة المجردة الى هذه « القصة » حين يلم القارىء بحوكها وسردها ويحيط بأخبارها السياسية وصورها الجنسية يحس انها كتبت في جلسة او جلستين ، مثلما نقرأ في هذه المدة ، وكما تكتب المقالات الصحافية اليومية ، وان صح التعبير قلت انها قصة « رسمية » وكيف لا تكون بهذا الوصف وصاحبهـا وزير او سفير وقد حيك موضوعها في بيت سفارة وقام به اكثر من موظف دبلوماسي ومفوض من حكومته ، و«تامارا» التي عضها الحرمان صدر شبابها ، وضحك لها الحظ في عز تفتحها ، ثم قطب وجهه بعد سنين وتنكر لها فذاقت المر الهوان ، حتى وقفت عمرها وحياتها على اللهو والهوى ، وتسقط الاخبـار وتجسس الاسرار دون ملل او انقطاع ، يسخرها لذلك آمر

عنيف من رجال السلطة الخفية فتستجيب لطبعها وتنقل لآمرها ما يكون من انباء السفراء والدبلوماسيين المحاطة بالكتمان والغموض ، والتي تناط بدولهم المعادية لسياسة البلد الذي جاؤوه منتدبين لحكوماتهم مؤتمنين .

فالقصة اذن بما حملت في تضاعيفها وسطورها من شؤون وذكريات ، لم ترم الى هدف مثالي منشود او مغزى روحي نبيل يبصر القارىء بالحقيقة والابداع ، او يمتعه بما احتوت من فن وادب وحوار ، وانما كان اتجاهها منذ البداية الى مغالطة وطعن في حياة الذين عاينهم السفير ، وبالتالي تسفيه السياسة والسلوك في البلد الذي ضم « تامارا » . ومن عجب ان المؤلف لم يجد فيه اعجب ولا اغرب من حياة هذه الفاتنة الخائنة ، فهي لديه حيناً ماجنة عابثة تتحول من يد شاب إلى يد شيخ بعبير هواها وسحر انوثتها لتستل الاسرار من مخابئها ومراقدها ، وحيناً يراها تؤدي رسالة لا يقوم بمثلها الا احرار الوطنيين ونوابغ المفكرين ..

ألم تتزوج السفير اليوناني لغاية سياسية تخدم فيها مصلحة بلادها ، ألم تعرض نفسها لاشد الخطر تفانياً في الدس وتفدية بالعرض كما ذكر المؤلف ؟

واندفعت تامارا بهواها ونجواها ، « متنقلة بين عشرات العشاق والمغرمين ، وكلهم من موظفي السفارات ورؤسائها ، وانحدرت في المزالق ، فلم يبق فتى بين الدبلوماسيين لم يشرب معها ويسهر الى الصباح[1] » إلا المؤلف حماه الله ، حتى جاء يوم تجهمت فيه سماء تامارا وقسا عليها القدر ، فقد طردت من سفارة زوجها الذي طلقها وردّ اليها حريتها — أستغفر الله — إباحيتها ، فراحت تندمج في الحياة من جديد على طريقتها المعهودة والحياة مكشرة لها عن نيوبها ، حتى لقيت الفتى الاسباني خوسه راميرس الموظف في مفوضية معادية وكان يحن الى شمس غرناطة وحسان مدريد فاستغلت تامارا نزق الفتى وعبثه واستطاعت ان تستل منه خبراً بعزمه على الفرار من مجاهل روسية الثلجية ومساحاتها الشاسعة الى بلاده الدافئة الجميلة ، وكانت الفضيحة الكبرى بعد يومين إعادة الهارب الى موسكو تحت الحراسة ...

وعادت تامارا الى طبيعتها في التجسس والتبذل والترامي على اي صديق او عشيق حتى لمع في خاطرها ذكر السفير المؤلف وقد سماه « صاحبي » على الطريقة القديمة الدكتور طه حسين ، على ان عميد الادب على حق وتوفيق في هذا الاداء ، اذ هو مستعين بغيره يملي ويجري الكلام تحاوراً مع صاحبه وهو يعني نفسه — اما السفير الاديب او الاديب السفير فقد ادرك انه وحده يستطيع ان يخفف عن هذه الشقية

[1] تامارا ص ٣٥ .

الجامحة ويبعث في نفسها الامل والسعادة اذ « كان من دون الرجال جميعاً صديقاً لها صدوقاً ، ينظر اليها لا كمتعة ولذة بل كانسان له نفس وروح ، وكثيراً ما كانت في ماضيات ايامها تضحك ضحكتها المجلجلة قائلة له :

– انت الوحيد الذي لا يحبني !

فيجيبها :

– قد اكون الوحيـــد الذي يحبك ، ، لاني من قوم يكرهون الآلة ويخشونها ويعبدون الروح ، وقد يكون في ذلك سر قوتهم وسر ضعفهم[1] »

ومن قال للمؤلف الاديب ان قومه يمقتون الآلة ويخافونها. انهم وهم يبنون حياتهم الجديدة اشد ما يكونون توقاً اليها والى التمرس بها الى جانب عنايتهم بالروح وإيثارهم فضائلها ، فهم يعرفون ماذا تصنع الآلة ، ولم تخف عليهم سطوة المادة ، وقدرتها ، فكيف يتجهمون لهما وهم يريدون الحياة حرة عزيزة فلا بد لضمانها من القوة الروحية والمادية .

وكيف غاب عن السفير الاديب ان البلاد التي صورهـــا مراصد للحرية والدبلوماسية ، وجوناً للفكر والتشريد هي من اكثر بلاد الله تقديراً للمواهب وذويها ، ومن يدري فقد يكون ادب السفير من اسباب الصيت الذي تمتع به في حياته وسفارته بذلك البلد البعيد .

على ان الذي عنانا من هذه القصة هو الجـــانب الفني والانساني ثم اللغوي . ان موضوع « تامارا » قد جانبه فن القصص فخلا من الحبك الموسوم بدقة التعبير وانسجام الفكر والتصوير ، واين التحليل للنفس والشعور في هذه الاخبـــار والحوادث التي جاءت سرداً وترديداً ؟

اما الجانب الانساني ففيه حيف ودليل على رفق السفير بالجاسوسة العابثة ، إذ احب روحها وكان لهـا الصديق وقت الضيق ، فقد اهتدى الى مقرها بعد المحنة الأخيرة واهدى اليها « باقة من زهور القرنفل النادرة ومبلغاً من المال » [2] ، ثم نصحها بأن لا تيأس ووعدها بأن يكتب قصتهـــا التي عاشها ثلاثة اعوام ...

وبر الاديب بوعده ولو متأخراً ، ففكر فيهـــا عشر سنوات ثم كتبها في ثلاثة ايام ، فظهر عليها طابع السرعة في ادائها الركيك ولغتها الواهية ، ولم يلتمع فيها سوى تصوير التحسس والانحراف والتعبير عن المفاتن الظـــاهرة في جسم « تامارا » مما يغري المراهقين ويرضي الناشرين .

ولولا ان المؤلف الاديب عاش قصته هذه في بلادهـــا لحسبناها منتزعة من الادب الروسي الذي غاص فيه قبل ان يعرف موطنه ومأتاه وقد تجلى في مجموعته القصصية «الاعدام» وغيرها .

فالاديب البارع الشيخ خليل تقي الدين الذي عرفه قراؤه قصصياً يعتمد على الاقتباس والتأليف اكثر مما يعتمد على الابتكار والتصنيف ، يجده القارىء في هذه القصة على سجيته يقدم لوناً جديداً من ادبه الطريف ، وهي اي القصة – ان خابت ونبت في فنها وموضوعها ، فقد تكون نجحت في مرماها ، والغاية تبرر الواسطة كما يقولون – ولعل الاديب الحاذق يعاود قراءه في سوانح التجاوب والاستجمام بما هو خير وابقى .

دمشق وداد سكاكيني

١ تامارا : ص ٤١ .
٢ تامارا : ص ٤١ .

العَيَاء

أفقتُ

وفي خاطري خفقةٌ ،

وفي مقلتي دمعة قاطره

إلــهي !

ومن لي سواك مقيلٌ

اذا عثرت نفسي العاثره .

ايسحقُ إنسانَك التافهون ،

لتمتصه فكرة فاجره .

ويحشر في ثكن المجرمين ،

كقطعة حلوى ،

تُعلّبُ للحفلة الفاخره

وتطلب مني أن استمر ،

وثلج المصيرْ

يقرّس اجياليَ الصاغره

« وجلجلتي » لم تزل تستجيرْ ...

انا لن اطيق المسيرْ ،

والف صليب يصيحْ ...

في ضميري الحقيرْ .

والف مسيحْ .

انا لن اطيقْ

بكاء الطريقْ

وضحكة هيرودُس الساخره .

***

حنانيْك ربّ ،

ايولد في كل فجرٍ « يهوذا » ،

يعدّ دمي من بضاعته التاجرهْ .

وأبقي اكسّر خبزي ،

واعطي ،

ليُسلمني للحديد بقبله ،

تحطّ على جبهتي

تُفَال الغباوات والسوقةِ .

« دماه على وُلدنا وعلينا ،

ليُصلب ، ليصلبْ » .

وخلف الظهورِ ،

ازجّةقيء العصور ، « قيافا »

تجرجر : ولنقضينّ به

للمذابح دينا .

وكالرعد كالرعد صوتك كانَ

يجلجل في لهوات الضعافِ :

صدقت « قيافا » ،

ولحم الخراف احبُّ

الى الذئب من ان يسيم الخرافا .

صدقت « قيافا » .

ويغرز في كل شلو يُحشرج نصله

ليطفيء في جسدي الحي آخر شعله

***

حنانيك ربّ عييتُ .

عييت بزندي المسمّر ، بالحجر [المستريحِ ،

على حفرتي .

بخلّ جماع الحواضر ، مازلتُ

أسقاه من ثقب اسفنجةِ .

محملة بنتانة « سلا »

و « جنكيز » . منقوعة في قصاع [أتلا »]

و « تيبير » . معروكة بيدي [كركلا »]

اسامي ، تحسب ضربتك العدل حلت بأجلافها ،

فتنطق عنك اذا تصمتُ :

« حوافرنا حيث تسقط لا ينبت العشب لا ينبت » .

واسمع احقادها الجامده ،

تدحرج كالصخرة المارده ،

وصخةَ نحاتها « توركيادا »

بقدّومه الراعده ،

يقطّع منها الحجارَ

ليعمر موتي ،

ويحجب عن سمعك الرحب صوتي

حنانيك رب عييتُ ،

فهلا مسحت بكفك مره

تهاويل لما تزل مستمره

تمج الضحايا وتنزع جوعى ،

الى نفسها نفسُها الكاسره

وهذي الجموع ورائي ،

تعثّر بالنظرة الحائره

وجهش طفالى ،

يكب على محجري ظمأ الهاجره

ونزّمشاشٍ على قدمي

من مآقي الثكالى .

مناتن من زفرات الزمانِ ،

تعرّش في النسمة العابره

إلــهي.. اذا كان ذا دأبنا

فبئس البداية والآخره

***

اما كان يمكن ياربّ ما كانْ ...

محالٌ اعيذ ما ظل يعوي

— ولو في شفا الارض — انسانْ .

هنري صعب الخوري

رسالة من الميدان

قصة بقلم سامي عطفة

وقفت انفض الغبار الذي تراكم على وجهي وملابسي طيلة ســاعات المعركة، وكان العدو قد تراجع مندحراً بعد ان عجز جنوده عن احتلال الرابية التي كنا ندافع عنها . ولكنه ما زال يطلق رصاصه من بعيد ... وعبرت في ذهني بعض الصور الشاردة ، اطفال يتراكضون في الشوارع ، وقطة سوداء تموء على باب منزل مغلق ، وصبية صغيرة شقراء تغني وهي ترحل ضفائرها .. عجبت كيف يجوز لمثل هذه الخيالات ان تدخل ذهني ، انا الذي كنت دائماً اتسم بالجد ، والتقيد بالضروري . وتقدمت خطوتين خارج الحفرة ، وارهفت السمع . كانت الرابية تبدو كطفل استسلم الى الرقاد العميق ، فلم توقظه تلك الجلبة الصاخبة . ومن الشرق لاحت اولى تباشير الفجر ، شفقاً تشيع فيه حمرة الوردة الفتية، يتكيء على كتف الافق كطفل يحلم بالحلوى والنجوم ، عذباً كأغنية فلاحة شابة .. ان ذلك ليزين انتصارنا ويضفي عليه طابعاً من الحبور العميق .. ولكن عجباً ليس هنالك من حركة واحدة تدل على وجود المجاهدين ..» تساءلت هكذا، ورحت اصغي ، لم يكن هنالك الا حفيف اغصان الزيتون وقد اخذت تهزها ريح مبكرة .

— ايها الرفاق ..

لم يجب احد .. « اين انت يا ادم ..! » وعاد الصدى يتكسر تاركاً وراءه صمتاً ثقيلاً . وأجاب صوت من مكان غير بعيد ، ولكنه كان اجش النبرة ضعيفاً :

— يبدو ان هنالك قتلى .. ايها المجاهدون ..!

« قتلى . » لم افكر في هذا ، « اجل لا بد ان يكون هنــالك قتلى .. » . ووجف قلبي ، ورحت اسير على غير هدى بخطوات حائرة ، حتى انني نسيت الرجل الذي كان يتبعني ، كنا مثل يتيمين اذن ، وتتابعت في نفسي خواطر شتى ، « الهاغانا » ستذيع الامر ، سيقول مذيع محطاتها: « قامت كتائبنا بهجوم ظافر على التلال العربية ، وقد عادت سليمة بعد ان حطمت كتيبة بجموعها من جيش الانقاذ العربي .. » وصعدت الدماء حارة الى وجنتي . احسست غضباً فاحشاً علك زمامي «ماذا ستقول محطة القاهرة: « لقد ثبت ابطالنا في مواقعهم امام هجوم العصابات الواسع ، واستشهــد عدد منهم .. » . كان هنالك ظل قرب الصخور ، في اعلى المنحدر، ممدداً على الارض « انه جثة ما ولا شك .. » هتف الرجل وهو يمد عنقــه فوق منكبي ، وتطلعت اليه لأري اي انطباع ترك ذلك عنده ، واجبته :

— اجل ... ثم تابعت السير نحو ذلك الظل الاسمر الممدد .. وعندما وقفت قرب الصخور ، ظهرت لي الحقيقة . فاستدرت الى الرجل وثبــت عليه نظرة متفحصة .. ثم انحنيت راكعــاً قرب ادم المسكين . كم هو فادح ان يخسر المرء صديقاً في تلك المعارك الليلية ! كان هنالك جرحان ينزف الدم منهما ، اولهما بين الوجنة والصدغ الايمن ، والثاني في جــانب العنق الايمن ايضاً .. يبدو انه استشهد في الساعة الاخيرة : كانت عيناه الوديعتان الزرقاوان تحدقان تحديقاً عميقاً في السماء ، تحديقاً لا يحمل معنى الموت، وانما تتجلى فيه سذاجة طفل وليد ، تملكته بهجة عميقة لقدوم امه . وخصلات سوداء ناعمة ترف عــلى جبينه العريض ، حيث شمت فكرة غامضة .. وازحت تلك الخصلات الثائرة ، فقد تخيلت انها تزعج فكرته الجميلة تلك .. كان النجيع القاني يلوث وجهه وقد تجمد قدر منه عنــد زاويتي الفم .. واحسست لمسة يسيرة مرت على كتفي، وعندما استدرت اليه، قال المجاهد بلطف :

— لقد كان صديقك ...

— اجل يا سيدي ..

— لقد كان فتى طيباً ..

واستدار الرجل عني مكملاً ببطء وجزع : « لقــد سقط معظم رفاقنا . يا للأسف ! .. لقد كانوا اشجع فتيان عرفتهم في حياتي .. »

— ارجو ان تساعدني ، ايها الاخ على نقل صديقي .

***

لم يدفن ادم الا بعد اربعة ايام من استشهاده ، كان ذلك بسبب انتظار القيادة وصول والدي الشهيد ، حيث فتحت وصيتــه بحضورهما .. كانت وصية بسيطة ، قال فيها ، انه قد حقق امل استاذه ، بأن يكون « عنصر تجديد طيب » على حد قوله . ولقد اوصى بأن يدفن في مقبرة المجاهدين في القرية المجاورة ، معتذراً الى والديه عن ذلك ، بأنه لا يود ان يدفن في غير الارض التي مات مدافعاً عنها، وانهما يجب الا يسفحا الدمع عند تذكره، لانه مات راضياً قرير العين مخلفاً نوعاً من الفخر المتواضع لاولئك الذين احبوه في حياته .. « انني لن انسى ابداً يا امي غصن الورد الذي غرسته اختي تذكاراً لسفري . فاغرسي انت غصناً من السرو عند مرقدي ، فان ذلك سيملأ عيني سلاماً .. »

كانت لحية القائد ترتعش وهو يقرأ ذلك ، واخذ صوته يتهدج .. يا لقائدنا المسكين ، الذي كان يناضل ضد ضعفه ، ليحتفظ بمظهره الرسمي ، كان يحاول ان يهب الثقة للعجوزين الذين خارت قواهما . ولكننا جميعاً رأينا في جلاء دموعاً مشمشعة كانت تنطلق واحدة واحدة ، وتنزلق على وجنته ، حتى تختفي في لحيته الكثة .. بينما هو يتابع قراءة الوصية ..

كان علي ان اقوم بعمل اخير من اجل صديقي ادم ، وهو ان اضع رسالته في البريد . لم يكن هناك من اطلع على هذه الرسالة ، وكنت احس

خشيش اوراقها فوق صدري ، حين كنت ارفش التراب على القبر . لقد كانت تلك الرسالة تقلقني جداً · فلا بد انها كانت تحوي سراً انطوت عليه حياة ادهم .

وترددت عندما وقفت امام البريد ، قلت محدثاً نفسي : « هذا هو آخر ما يصلني بصديقي .. ! » ولا ادري كيف رأيت ان من حقي الاطلاع على رسالته . كل ما اعرفه هو انني اتجهت ذاهلاً الى حانة القرية ، وهنالك في ركن منفرد جلست مرتعداً ، وطلبت زجاجة من النبيذ وعلبة جديدة من التبغ .. حينئذ ، أخرجت الرسالة في هدوء .. كانت ثقيلة مغلفة بعناية ومرسلة الى آنسة ، لن اذكر اسمها على كل حال .. وتساءلت : « هنالك سر ولا شك ، فصديقي لم يكن مجرد رقم اطاحت به المعركة .. »

***

« عزيزتي الآنسة المهذبة ...

« البعض منا ينصرفون الى ارواء ذواتهم ، من المجد ، ومن الشهرة ومن السعادة ، والبعض يكتفون باداء واجبهم بما يوحيه اليهم المثل الاعلى الذي يقود خطاهم من اعمال ... ولكن هنالك فريقاً من الناس يمضي بحسب ما توجده الصدفة في حياته من ظروف ، هؤلاء الذين ينحنون بعمق أمام الحياة ، فلا ينظرون الى ما هو اعلى من جباههم . ولكنهم لا يتواضعون ايضاً .. من الذي ، بين هؤلاء جميعاً ، يحقق المغزى الحقيقي للحياة ..؟ فيسبغ على شخصه وعلى اعماله نوعاً من القيمة ، وحين نمضي ازاءه ، او حين نمر به ننحني في عمق وتقدير هامسين : لقد كان انساناً حقاً ..!

« على كل ، فانا لا اقصد ان القي في طريق ذهنك مجموعة من الاحابيل العقلية ، فربما كانت المشكلة من اساسها لا تثير في نفسك اي اهتمام . انني سادفع اليك بهذه الرسالة ، غير مطالب اياك باتخاذ موقف معين مني ، او من هذه التساؤلات التي ترد عفواً في ثنايا الخطوط ، وحتى هذه الرسالة لا اريد بها ان تترك في نفسك اكثر من الأثر الذي يتركه حجر يلقى على صفحة الماء ، كما يقول سومرست موم . لك الخيار في الاعتبار وللآخرين الحق والحرية في ذلك ايضاً . اما انا ، فرغم انني كنت دائماً ، بحكم منبتي ومثل حياتي الاعلى ، مرغماً على اتخاذ وجهة نظر فيما يتعلق بتلك الاسئلة ، لا يسمني ، حين تسيطر علي لحظات الشك المشئومة ، إلا ان اعترف بأن السم قد تسرب الى دمي ، فأكفر حتى بهذا الجهد الذي وقفت عليه حياتي ، وبالنية الطيبة التي تقود خطاي ... إنني لن أقبل الفكرة بأنني قد حييت عبثاً ..

« إنني الجأ اليك ، كما يفعل الملاح التائه ، اذ يحاول اللجوء ، الى ابعد ميناء تقع عليها عيناه ، لكن هذا البعد الذي يتأرجح فوق الهاوية ، لا يوازيه ابداً إلا تلك الصلة التي تصلني بك ..!

« من هذا الذي يكتب وما شأنه ..؟ أجل انك سوف تتساءلين ، وقد يكون ما كتبته أو ما سأكتبه كافياً لأثارة الغيظ في قلبك ... اما من يكون « هذا » ..؟ فأنه واحد دخلت حياته دون قصد منك ، أو منه ، أيضاً .. اما هو ، فقد كان هذا الحادث سبباً في اسرافه ، فأسرف في احلامه على نحو لا يبرره منطق حياته .. أما « شأنه » .. ؟ فأنني سأقول لك ذلك يا آنسة ببساطة .. سأروي لك قصته ، أو قصتي بحذافيرها ..

« نزلت في دمشق قادماً من احدى القرى في الريف في خريف ١٩٤٧ لألتحق بالجامعة بعد ان انهيت دراستي الثانوية في الريف . واذا كان هذا الانتقال قد بعث في نفسي الآمال المشمشة والاحلام الرائعة ، فانه لايمكنني ان ارسم لك الانطباعات التي منحتني اياها دمشق لأول مرة ، انها مدينة احتفظت بروتقها وشبابها آلاف السنين ، ولقد لاحظت حين وقعت عيناي على اطرافها الرابضة على السهل أن دمشق في قصيدة شوقي المزخرفة تعتبر تافهة عندما توضع على مقربة من هذه المدينة الحية الاليفة . على كل حال فانني بقيت وحيداً مغموراً .. وهذا ما ساعدني على الاحتفاظ بحريتي تامة ، فكنت أهيم كل يوم على وجهي في تلك الشوارع الوارفة الهادئة ، يستميلني عنصر غني غامض لم اجد مثيلاً له في غير دمشق . كنت ابدأ هذا التجوال عصر كل يوم ، بعد الدرس الاخير ، امام حديقة المتحف الوطني وعلى الرصيف المقفر تحت الاشجار الباسقة ، تعود اليّ في عفوية وانس تذكارات محببة عن الريف ، تشيع الدفء والثقة في حياتي التي لم تجن غير ثمار الوحدة .. فأبني العالم من جديد ، حسب صيغ ريفية ، بالخضرة النضيرة ، والسمرة ، وأفياء الارواح التي تميل على عنق النهر طيلة المساء ، إن العالم ليرتعش في عمق معلناً عن خصب جديد .. لقد قال لي استاذي القديم وهو يودعني في ساحة القرية : « انت ترى ان مهمتي قد انتهت الآن .. ستنفتح الحياة امام عينيك ، هنالك الكثير من القضايا تحتاج الى حل حقيقي : ان ثورة عربية تنشب في كل مكان من ربوع الوطن ، حاول ان تكون عنصر تجديد في حياتنا وواحداً من رجال الثورة ... » وكانت لحيته ترتعش تأثراً وانفعالاً . اما والدي فقد اوصاني بان اعتمد على نفسي ، وان احفظ شرف الاسرة التي ابتنتني . وقالت والدتي وهي تحاول كتم دموعها : « فكر في الله يا بني كلما انتابك الاسى ، فكر بنا ايضاً ... » ثم اضافت عبر دموعها : « تذكر ... سنكون معك دائماً .. » إن هذا كله هو ما يربطني بالريف يا آنسة . وثمة شيء آخر ايضاً ، انه غصن من الورد زرعته أختي تذكاراً ليوم سفري .. أجل هذا هو العالم الذي خلفته ورائي .

« كلما عبرت ذلك الشارع المقفر باتجاه جسر الحرية ، كنت اعزف عن التطلع الى التكية . انها اثر لا مبرر لوجوده على ارضنا ، لذلك لم أجد صلة ما تربطني بها . كنت اتطلع الى حديقة المتحف الوطني ، حيث ربض تمثال رخامي لأسد غير واضح الهوية ، على مقربة من رجل قيد بالرخام ايضاً ، تحت ملاءة التدمرية ببراعة تامة .. عبرت هذا الشارع ذات يوم ، وكان الضباب الكثيف يرخي وشاحاً أغبر على المدينة ، وهنالك على الاغصان المتجردة العالية فوق الرصيف ، نشب قتال مضحك بين كتيبتين من الغربان ، فوقفت اشهد هذه المعركة ، وكانت الغربان تلوح بمناقيرها الطويلة في حنق وترفرف باجنحتها في كرها وفرها .. كان هنالك انسجام خفيف بين الغربان وبين المئذنتين المروستين الغارقتين في لجة الضباب . ولقد اوحى الي ذلك المنظر الشاذ بشبح أخذ يتضح حتى تكشف عن وجه مروس متطاول لسلطان عثماني ذي عينين غائرتين خبيثتين ، لا شك في انه وجه السلطان سليم الذي رأيته اكثر من مرة في كتب التاريخ .. وجه غريب وبرجان غريبان ! واستمدت صورة استاذي القديم « حلول ان

تكون عنصر تجديد في حياتنا ... » وقبل ان استطيع ملاحظة الصلة الحقيقية بين هذه الذكريات الغامضة ، سمعت صرير عجلات على المنعطف القريب .
كانت سيارة « ترويبدو » بيضاء فارهة تدور المنعطف في عنف جامح . وعبرت بي السيارة .. تقودها حسناء انيقة اليدين عصبية الحركة ، لها وجه طفلة لعوب ، يطل منه سواد عينين عميقتين وتلفه خصلات شعر بنية تناثرتها الريح .. لقد كانت تشبه صبية في الثانية عشرة تقفز جذلانة خلف كرتها على ارض ملعب في مرج اخضر ..

« ما كان أيسر ان يقفز الخيال خلف تلك الصورة ، الخيال الذي يحمله شاب ريفي .. لقد كنت مستعداً ان اتبع اول حب يصادفه قلبي ، أجل كنت اعول في ذلك على الصدفة ، ولم اقسر عواطفي ولا احاسيسي .. ما افتن تلك الصورة الطائرة مع الرياح ، التي هي صورتك ، رأيتك مرات قبل ذلك في الجامعة ، في المكتبة وفي النادي ، الا ان تلك الصدفة جعلت لك في عيني معنى جديداً . وتطور الامر فأصبحت احس بالحرج كلما التقينا وجهاً لوجه ، كانت تلك النظرة البريئة تشيع في اضطراباً داخلياً .

« وربما اوحت لك هذه الصور انني ابن مالك للأطيان في الريف ، لا يا آنسة! إننا لا نملك إلا قطعة من الارض صغيرة يتعهدها والدي بيديه ، إنها كافية على كل حال لتحفظ علينا شرفنا ومروءتنا. أقول هذا لاوضح المسألة جيداً . صحيح ان وجودك كان ضرورة في حياتي ، ولكنني عندما حاولت تقديم نفسي اليك كزميل ، بكل بساطة ، برز امام عيني فجأة ، ما بيننا من فارق ، ذلك الجدار العالي الذي يفصل ما بيننا ، قد لا يكون هذا حقيقياً ، قد يكون مجرد شعور غير واضح بالنقص ، ماذا ينقص من قدر المرء اذا كانت ثيابه رثة قليلاً ؟

« يقولون : ان النفس حين تستيقظ ، يستيقظ معها الحب ، وقد يكون العكس صحيحاً . قد لا تنفتح الحقائق الا حين يتفتح القلب ، وانا لم ادرك أني مخلوق مغمور كنته إلا حين احببتك . ومن الطبيعي انني لم أبحث عن مبرر يقربني منك ويشدني اليك . لقد حاولت غير هذا ، حاولت ان اوقظ نفسي وحسب ، لانني لم اكن كفؤاً لك ، فقد كانت كل امكانياتي تبعدني عنك .

« يا للشيطان ، كم يشعر الانسان في تلك اللحظة الخارقة ، انه ملزم الى الابد بنبته وحقيقته ... لقد انتابني الاسى ، وتذكرت وصية امي ، أن افكر في الله وأصلي لوجهه ، كلا لم اكن صالحاً للصلاة .. فمن بعيد كنت أرى اصدقاءك وصديقاتك مبتهجين دائماً ، سعداء ، تنطلق حياتهم في حركة نزوية مستمرة ، فقسرت نفسي وعواطفي ، وهربت من كل مكان امكن وجودك فيه .

« كنت في طريقي الى الجامعة ، ذات صباح من آذار ، وكان البرد لاذعاً والغيوم الثقيلة الراكدة تنذر بعاصفة شديدة . وهبت الرياح موازية لبردي ، وأخذت الامطار تتساقط على مهل ، ثم انهمرت غزيرة . لم يكن هنالك ما يقيني المطر ، فرفعت ياقة معطفي القديم ، ولففت نفسي به جيداً واسرعت اغذ السير . كانت الامطار تقرع ارض الشارع ، لها وقع كوقع السياط ، وأحسست رطوبتها تتسلل الى عظامي . . وفجاة .. لا ادري الى الآن كيف تم الامر ، اوقفت سيارتك ازائي ودعوتني بلطف الى الدخول .. كانت ماسحات الزجاج الامامي تعمل مسرعة لتكنس قطرات الماء .. كنت اراقب هذه العملية باهتمام ، ولكنني كنت في الواقع امنع نفسي عن النظر اليك ، وعندما وقفت بنا السيارة امام النادي ، كان علي ان اقول شيئاً ما يتسم باللطف ، ووجدت ذلك الشيء ، فقلت متلعثماً : آسف يا آنسة ، لقد افسدت مقعد سيارتك ، لقد تبلل بالماء ...

– لم يكن بد من ذلك ، يا اخي ، يجب ان تغير هذه الملابس على كل حال وإلا اصبت بالبرد .. ولكنك لن تجد هنا شيئاً منها ..

وبانحناءة رشيقة من رأسك الجميل تركتني ذاهلاً عند مدخل النادي ، دون ان تنتظري مني كلمة شكر واحدة .

« بقيت طيلة ذلك اليوم مخدر الحواس .. وفي المساء كتبت الى والدي رسالة اطلب فيها ثمن ثياب جديدة .. وكنت على يقين من ان هذا الطلب سيسبب لهم الضيق والحرج .. وحين اتيت بعد ذلك باسبوع تقريباً لابحث عنك ، دخلت الجامعة « دخول الفاتحين » .. تصورت انك تنتظرينني على مقعد في الحديقة ... يا لسخف تلك الخيالات المسرفة ! لقد تربصت ساعتين حتى استطعت ان اصادفك منفردة .. وحين ناديتك .. التفت الي ذاهلة .. ثم ارتسم ذلك النوع من الذعر الفطري على محياك . لقد قدرت تلك المشاعر التي ساورتك : مشاعر الخوف ، وأدركت انا ايضاً ان قلبك هو ابعد ما يكون عني .

– لا تخشي شيئاً ..! قلت متكلفاً الضحك . « كل ما في الامر هو اني اتيت لأعرب لك عن شكري .. اعتقد انك لم تنسي ذلك اليوم.. »
فنظرت الي بحيرة خلتها مصطنعة :

– أي يوم ..؟

– يوم انقذتني بسيارتك من العاصفة ..؟ فرحت تتفحصين هيئتي ..

– آه ، حسناً لقد تذكرت ..! ورمقتني بنظرة غائمة فيها تحد ، كانت تعني : « وماذا تريد ثمناً لذلك؟ لا تحاول ان تقدم نفسك ... » لقد ادرك قلبك الحساس انني كنت ابحث عن الحب بطريقة مقنّعة »

« لقد ازداد الجدار علواً ، والهوة نفوراً ، حين شعر كل منا ان الآخر قد اهانه بعمق وقسوة ، اهنتك في محتدك العالي وحساسيتك المفرطة وأهنتني في شرفي وكبريائي .

***

« هذه هي قصة الحب ، رويتها لك بكل تفاصيلها ، وهذه هي ايضاً قصة البحث عن السعادة ، وقد كانا كما ترين فاشلين تماماً .. لقد خلفت هذه القصة مرارة سامة في قلبي وفي فمي ايضاً .. انه سيء طعم هذه المرارة للذي يتذوقها اول مرة . .

« ماذا فعلت في دمشق ، هل حققت حلم استاذي الطبيب ، أهكذا يرتفع المرء بنفسه وبقيمه؟ كلا ، انه انحدار .. واي انحدار ..!

« انني لم احملك اية تبعة .. فالذنب لم يكن ذنبك ابداً ، ان تصرفك كان متسقاً مع حياتك ، لكن لندع هذا الحديث الآن : سأحدثك عن اشياء اخرى ! دخلت حياتي فيما بعد .. لقد رحت اسائل نفسي : ما السعادة ؟! أترتبط السعادة بالقلب ، أم انها تتصل بالمثل الاعلى ..؟ سوف احدثك عن السعادة التي حصلت عليها .. انها نوع غريب من السعادة ، مرهفة كحد السيف ، تراود النفس في غير ساعات الحب ، انها ينبوع هادىء تنبثق منه المحبة باستمرار . أما هذه المحبة فهي محبة الشهداء واصحاب المبادىء ، والقديسين ، وأما هذه السعادة فانها نوع من الانسجام ينشأ عن تحقيق المثل الاعلى . لا شك في ان حاتما الطائي قد شعر بمثل هذه السعادة

حين ذبح فرسه للضيوف ... كما شعر بها راسكولنيكوف حين اعترف بالجرم ...

« انها السعادة التي يخلقها الانسان بيده وبارادته اذن ، ورغم انها على هذا القدر من البساطة ، فهي عسيرة الفهم في كثير من الاحيان ، فانا مثلاً لم اقترب منها الا في ذلك اليوم ، الذي وجدت فيه فرصتي الوحيدة ، يوم تقدمت الى فرع اكتتاب التطوع بجيش الانقاذ العربي .

« احتشد طلاب الجامعة في مظاهرة عنيفة لم اشهد لها مثيلاً في حياتي ، أتدرين لماذا .. ؟ سأذكرك على كل حال.. لقد قامت العصابات الصهيونية، وخاصة عصابة « الهاغانا » بهجوم على احدى القرى العربية.وبينما وقف الجنود البريطانيون على « الحياد » اندفع اولئك المجرمون يدمرون كل شيء ويبقرون بطون النساء ويذبحون الشيوخ والاطفال على السواء . وثار الرأي العام العربي ، على هذا العدوان الذي ينافي الخلق الشريف . لقد كان جنودنا من جيش الانقاذ مثالاًللشرف في كافة المواقع، كانوا يحترمون الشيء الانساني وان كان معادياً .. ان هذا يثير ، يثير على نحو رهيب ، انها معركة قيم قبل كل شيء ، فعلى ارض فلسطين يقتتل شعبان قتالاً لا هوادة فيه ، اولهما عادل، عربي يقاتل في سبيل قضية شريفة،وثانيهما مستعمر يحاول ان يسلب الارض من مواطنيها ، وعلى تضحياتنا وعزائمنا نحن يتوقف المستقبل..!

« عندما دخلت الجامعة عصر ذلك اليوم ، كان ذلك يعني زيارتها للوداع ، انت لا تدركين ماذا كانت الجامعة بالنسبة الي .. لقد كانت وستظل في عيني رمزاً للحياة الجديدة . كانت الشمس تنعكس على ارض الحديقة ، التي بدت في الربيع المبكر اكثر عذوبة منها في اي وقت مضى، وبينما ساد الهدوء واخلد الجميع الى الصمت ، اخذت مكبرات الصوت تنقل لحني المفضل « كونشترو الكمان ، الثانية لتشايكوفسكي» . واخلدت الى الصمت بدوري ، فقد كان هذا الحادث الصغير يحمل معنى عظيماً بالنسبة لي ...

« وقفت وراء الباب الحديدي المغلق ، القي آخر نظرة على الجامعة .. وفي تلك اللحظة اقبلت اربع طالبات باتجاه النادي ، وكنت انت واحدة منهن ، وعندما اختفيت في مدخل النادي، استدرت لاتابع طريقي نحو حياتي الجديدة .

***

« لقد استطعت ان اجد هنا صديقاً وفياً . انه شجاع وطيب ، ولكننا لا نتحدث الا قليلاً .. كلانا يبدو راغباً في الانصراف الى نفسه . ولا ادري ان كانت له هو الآخر قصة تجعله يستسلم الى الوجوم.انه يوحي الي كسائر المجاهدين باحترام عميق ، لقد اتى اكثرهم بدافع بسيط هو الدفاع عن ارض الوطن ، ومن هنا اختلف عنهم اختلافاً يجعلني احس بالخجل بينهم ، انا اتيت ومعي قصة ، من يدري ، ربما كنت الآن في دمشق لولا تلك الخيبة،أليس في هذا ما يكفي للدلالة على نقاء تلك المواطف التي حملتهم على المجيء .. انهم اكثر تواضعاً واستبسالاً ..

« اننا نحيا حياتنا البسيطة ايضاً في غير ساعات القتال ، عندما نستظل اشجار الزيتون الخضرة ، في هذه الحقول العالية ، بعضنا يرمق الشمس الغاربة بنظرة متأملة تطفح بالأسى ، والبعض يخلو الى تذكاراته وهو يدخن في صمت .. وهنالك مجاهد يغني لحناً ريفياً بصوت شجي عذب كأنه الينبوع الجبلي ..

« ماذا ؟! ألم يحن الوقت الذي اختتم فيه هذه الرسالة .. انني في الحقيقة احن الى الزيادة، فهذه هي المرة الوحيدة التي نجتمع فيها على نحو حقيقي.. ساعترف لك اذن ، بأن ظلاً منك يلازمني دائماً ، ينتقل معي الى قلب المعركة ، وستظل هذه الصورة الرحانية تقود خطاي .. حين تطل علي بوجه صبوح ذي عينين ، سوادهما عميق بريء ، وضفائر شعر بني تتناثر مع الريح ..

« انني اسألك ، ان تمنحيني الثقة ، التي لا اجدها بين حين وآخر ، فاسلم نفسي الى قلق معذب . انني لا اعني الحب ، ان المسألة هي : هل اقتربت من مثلي الاعلى ..؟!. هل حققت حلم استاذي بأن اكون : « عنصر تجديد .. وواحداً من رجال الثورة .. » ؟.. اما ما عدا ذلك ، فعبث باطل ..

« لقد قلت كل شيء ، لقد احببتك وسأحبك طيلة حياتي ، واذا كنت قد لجأت اليك كما يلجأ الملاح الى ابعد ميناء تقع عليهاعيناه ، فليس ذلك لاسألك شيئاً او لألزمك بأمر .. اجل لقد لجأت الى الحمى الذي تؤوب اليه القلوب المتعبة في ختام الشوط .. ولكنك ، لن تعرفي هذه الامور كلها الا بعد ان تكون السفينة قد تحطمت في اللجة البعيدة – ادهم .. »

***

بقيت اقلب الورقة الاخيرة ذاهلاً ، ولكنني اخذت القلم وكتبت حاشية صغيرة في اسفل الورقة جاء فيها كما اعتقد : « مسكين ادهم ، لقد سقط شهيداً في المعركة الاخيرة،ودفن بناء على طلبه في مقبرة المجاهدين بالقرية التي ستجدين اسمها على اختام البريد . اجل لقد رقد اخيراً بين عشرات المجاهدين حيث لايزين قبره المتواضع سوى غصن من السرو غرسته والدته، والاسم المنقوش على شاهد القبر – صديق الشهيد . »

عندما وضعت الرسالة في البريد وعدت الى مركز السرية بقيت طيلة الطريق افكر في الامر ، لقد كان ادهم كئيباً دائماً، هكذا عرفته، لقد فهمت كل شيء،وقادني التفكير الى تساؤل غريب: كم هو عدد الجنود الذين حملوا معهم الى المعارك قلوباً كسيرة ؟! . ومهما كان الامر ، فلن يكون هؤلاء مجرد ارقام لا هوية لها .. انهم حقاً ابطال نضالنا المجهولون.. !

***

كنت امر بالقرية بين حين وآخر للتزود بالحاجات الضرورية، كالالبسة والتبغ والثقاب ، او لأضع رسائلي في البريد .. وفي كل مرة كنت اجمع من الحقول طاقة من الازاهير البرية لاضعها على قبر ادهم .

وفي ذات يوم مشمس ، عذب الرياح ، لقد كانت ظهيرة يوم الاثنين.. جمعت اكليلاً من الورود البرية ، وقصدت المقبرة ، وقد راعني حتى الذهول منظر سيارة « ترويبدو » اوقفت امام المقبرة . كانت سيارة بيضاء رشيقة فارهة . حسبت اول الامر انني في حلم .. ولكن لا ، فقد كان كل شيء حقيقياً .. حدثت نفسي وانا انقل النظر بين السيارة والاكليل : « يجب ان اذهب لزيارة بائع التبغ ، فهو انسان طيب .. » واستدرت عائداً ، لقد كان جسدي يختلج ، واحسست بالبهجة العميقة ، والفرح ، وبينما كنت اسير رأيت حلماً مسدولاً قصيراً ، رأيت : خصلات بنية وعينين سوداوين عميقتين ، ثم وجهاً مسجى ، عيناه الزرقاوان تحدقان في السماء تحديقاً عميقاً ، وعلى شفتيه اللتين انفرجتا قليلاً ، رفت ابتسامة عذبة نضيرة ..

سامي عطفه

قافلة الفجر

يا أيها الركب الغريب
يا ايها الركب المغني في طريق القرية
عند الغروب
هوّم كاطيار المساء على مغانينا اللطاف
وانثر بها الالحان والاهزاج من بعد
[الطواف

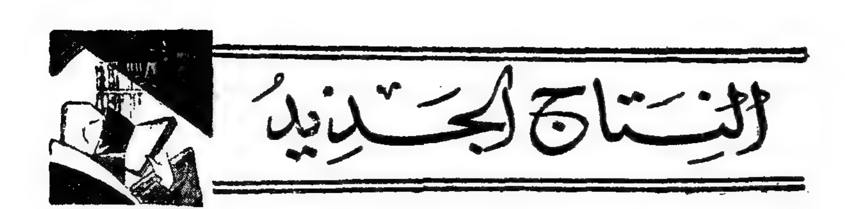
يا أيها الركب الغريب
هوّم بهذا الباب .. باب الحانة
هوّم بهذا الباب .. باب الهاربين
من امسهم .. من يومهم
من قبضة الزمن الرهيب
سرح دوابك في جوار السنديان
واترك صباياك الحسان
اترك صباياك الحسان
كعرائس الغابات في صمت المساء
يرقصن في لهف الحنين
نغماً .. يجاوبه التأوه من انين المندولين
يا ايها الركب الغريب
اني احب فنونك الحسناء واللهو العجيب
اني احب دبيبك العجلان فوق ثرى القرى
ودوابك العجفاء .. والعربات .. آخر ما
[يرى
منها مصابيح نحيلات الضياء
تهتز في الافق البعيد كانها ايدي الغريق
اني احب القامة اللفاء والشعر الطويل
وصدى الصهيل
ونباح كلبك كلما رقد الظلام على الطريق
وفتاتك السمراء (ازميرا) كنيران
[المجوس
لهب تجسد في حنيات وفر من العيون

لينام في قلبي ويسأل لا تنسيه الكؤوس
يا ايها الركب الغريب
انا لست انسى قصة الحب الخضيب
انا لست انسى قصة القدر العتيد
في ساحة السوق الكبير
في القرية الحمقاء حيث دوى النفير
للاحتفال الصاخب العربيد بالعام الجديد
كانت هناك
كالطفل يلتقط الورود
في رقصها المجنون .. في صخب الزحام
والمندولين ينوح في جوف الظلام
وعجائز الركب الوقوف على صناديق
[الخشب
يبسمن في مرح وفي جشع بليد
لنمو كومة هذه اللعنات من قطع النقود
ترمي من الصعلوك اجر حبيبتي
فتنيله – فوق الاصابع – قبلة عبر الهواء
وانا اضج بغيرتي .. وبثورتي
فمشيت أحتضن الالم
بين الحقول
والدمع في عيني يجول .. ولا يجول !
يا أيها الركب الغريب
علمتني من فلسفات الكون فلسفة الشجى
الحب .. خاب الحب .. وانتحر الامل
لم يبق الا جرحه الدامي يغرد للدجى
ويجرني للكأس اشربها فيشربني الاجل
ما كان لي الا العذاب
ففؤادها الرحال ما عرف القرار
كتب الشرود عليه
« ليس له ديار »

يا ايها الركب الغريب
انثر اساطير الطواف الداميات الراجفه
من قلبك العاني الكبير
ودموع هذا الموكب الموهون بعد العاصفه
انثر نجوم الحب .. حيرى .. آفله
فحوافر الخيل العجاف على القرى
كم قصة نسجت وغيّبها رحيل القافله
انثر على قلبي السكون
انثر على قلبي الخيال
فلقد سمعتُ بعودة الركب الغريب
سوانا هناك على التلال
فعدوت اسبق فرحتي
متسائلاً في القرية :
هل عاد ركب الراحلين مع الظلال
يا ايها الركب الغريب
يا تائهاً فوق الدروب القاسيات بلا وطن
يا راوياً اسطورة العيش الطريد
يا نجمة سقطت ليلقفها الظلام
من اين جئت ؟ وما مصيرك في الزحام
بين النفوس العاريات من الالم
في كل قطر قد مررت به والقيت الرحال
ومضيت تدفن يومك المنهوك ..
[قدسي الضلال
انا منك اصداء تنوح مع النجوم
وتود لو عاشت على العربات تفترش الهموم
يا ايها الركب الغريب
انا غريب
فانثر على قلبي السرور
من فلسفات حنينك الجوال والالم الطهور
اسطورة رددتها بالمندولين
فوق الدروب
للنجم .. للريح الغضوب
لتعيش في قلبي كأمنية يتوق لها سجين !

القاهرة **كمال نشأت**

من « رابطة النهر الخالد »



١ — مع الحياة

تأليف سلوى محمصاني مومنة

دار العلم للملايين ، بيروت — ١٨٤ ص

•

الادب النسائي في لبنان نزر نادر ، اذا قيس بوفرة الانتاج وغزارته لدى البلاد الراقية . وهذه « الندرة » تجعله ذا طابع خاص ، متميز عما يدور في اجوائنا الادبية الراهنة من احداث وقضايا ومشاكل . ووراء تميزه هذا ، سببان : اولهما انه نسائي ، وكونه نسائياً يعني انه صادر عن نظرة خاصة للحياة والمجتمع والشؤون العامة ، قلما نعرفها في بلادنا العربية، وقلما نحسب لها حساباً . والثاني إنه متصل بقرارة الحياة ، معني بتفصيلاتها ودقائقها ، معبر عن واقع لا يشوبه خيال،ولا يصرفه عن ادراكه وتصويره اشتغال بالاحزاب والسياسات ..

وهذا الكتاب الذي ألفته السيدة سلوى محمصاني مومنة ، يؤكد بشكل واضح تقريراتنا تلك ، ويضعها موضع اليقين ، فهو مجموعة « حكايات » تعرض فيها السيدة المؤلفة حياة المجتمع البيروتي الخالص ، خلال هذه الفترة من تاريخه ، عرضاً موفقاً رائعاً ، في صور هي الصدق، وهي الواقع،وهي الخفي من المعاني والقيم عن اعين الناس .

يضم هذا الكتاب بين دفتيه خمس عشرة حكاية هي : الحاجة حنيفة ، اطلت من الشباك ، اليتيمة ، آديل ، المسافر ، شملة تنطفيء ، المغدورة ، اولمت لنا قطة ، برسم الايجار ، الاخوان ، كبش الفداء ، بائع الكعك ، لصوص الظلمة ، الضحية ، الصبي .

وترى في مدخل كل حكاية جملة تلخص الفكرة التي تفصح عنها ، وتفضي اليها ، ولكنك لا تهتدي لتلك الفكرة من تلقاء مطالعتك ، وانما هي التي تحملك على المطالعة ، وتقودك اثناء سيرك فيها .

ارجع الآن الى تلك الفكرات واحدة واحدة ، وقل بعد ذلك من الفصل الذي يتلوها — وهو الحكاية التي انبثقت منها الفكرة — وراقب العقل النسائي في التقاطه لما يمج به سطح الحياة من آراء وافكار ، تجد المرأة ، وهي ممثلة هنا بالسيدة سلوى ، تلتقي مع كبار المفكرين وجهابذتهم ، دون ان تحاكم الاحداث ، او تتفلسف في شأنها ، او تدور حولها .

لن اطيل عليك في الاستشهاد ، وانما اكتفي بهذه الجملة التي وردت قبل حكاية « أطلت من الشباك » وهي : « إن اعمال الانسان في مستهل حياته تكون السبب الاول لما يحمل مستقبله من سعادة او شقاء » .

هذه الفكرة التي استقتها سلوى من الحياة المدرسية التي رافقتها — والفرنجة يقولون : عاشتها — تلخص اكثر ما انتهى اليه الفلاسفة وعلماء النفس من افكار حول الصيرورة والمستقبل والمصير، تلخصه بوضوح وبساطة ويسر في التعبير .

تأمل ما يقوله كايزرلنغ ، الفيلسوف الالماني الشهير : « كل نزعة تحمل في نفسها حدودها الراسخة ، وكل شيء يحمل في ذاته كل ما يمكن ان ينجم عنه . ولذا ، فان من الممكن مبدئياً ، ان نعيد دوماً بناء المصير ، كما يمكن ان ننتظره قبل وقوعه . »

قارن الآن هذا الكلام بتلك الجملة التي وضعتها السيدة سلوى مدخلا الى حكاية « اطلت من الشباك » ولك وحدك ان تحكم ..

الامر الذي اريد ان ابينه هو ان المرأة فكراً — لم نحسن بعد الافادة منه — يشارف القمة في كل موضوع ، ويسبر النفس البشرية في تلمسها لخفايا المجهول ، وادغال الوجود . وهذا كتاب « مع الحياة » ينهض بالبرهان على ما اقول .

واليك هذه الفكرة التي تجدها قبل حكاية (شملة تنطفيء) : « ان شهوة المال في الناس ، كثيراً ما تكون سبباً لانحرافهم عن العدل . ومضيعة لانسانيتهم في مجاهل الاثم » . الا ترى فيها التعليل الصحيح لموقف الغربيين من اليهود وتأييدهم لهم في عدوانهم على فلسطين ؟! الا تجدها الاساس الذي يفسر كثيراً من المآسي الاجتماعية الدائرة في محيط المدنية الحديثة ؟!

بقي ان احدثك عن الجانب الفني من هذا الكتاب ، وفنه انه مجموعة « حكايات واقعية » منتزعة من حياة بيروت العائلية — الاجتماعية ، وفي الاحياء الاسلامية منها خاصة . فهي لا تختلف في قليل ولا كثير عن حكايات « النسوان » حين يستعرضن الحياة وما فيها . والحكاية فن نسائي محض ، لا اعتقد انه اتيح لرجل ان يبرع فيه براعة النساء ، فهو غير القصة ، وغير الاقصوصة ، وغير الرواية ، وغير الامثولة ، تقوم فيه الحركة على السرد ، اكثر مما هي الحادثة في نشوئها وتطورها وتأزمها وانحدارها نحو منتهاها ، ولا تنتخب فيه التفاصيل انتخاباً حراً ، وانما تفرض نفسها من خلال السرد فرضاً يجعلك تحس بقيمتها ولو لم تكن لها اية قيمة ، والمهم في فن الحكاية ، ان كل حكاية توصلك الى فكرة ، شأنها في ذلك « شأن الدرس » الذي يتلقنه الطالب في مادة الاخلاق او العلوم المدنية ، دون ان تعرض للفكرة ، او تشير اليها :

تأمل ان « الحاجة حنيفة » حكاية خادمة ماتت جوعاً ، وكانت قد تعهدت رجلا غريباً معذباً وكفلت طفلا يتيماً محروماً . و « اطلت من الشباك » حكاية فتاة كانت عابثة وعلقها شاب نبيل ، شريف وعلقته ، ولكنها رفضت ان تقترن به كي لا تلوث اسمه وشرفه . و « اليتيمة » حكاية فتى احب فتاة ماتت ، واختفى هو وكمكانه عن الحي بعد موتها ، واخذ يزور قبرها خفية عن الناس . وهكذا .. الى آخر الحكايات !

انت اذن امام احياء ، امام اناس ، امام اشخاص من لحم ودم ، تجدهم يعانون الوجود معاناة تامة ، كاملة ، عميقة ، وكل واحد منهم يعاني وجوده بعواطف خاصة ، وافكار خاصة ، وشخصية خاصة ، في محيط متميز خاص ، له تقاليده وعاداته وامكاناته المادية والادبية على السواء .

وابدع ما في هذه الحكايات ، تلك الدقة في الوصف ، وصف الثياب والازقة ، والاثاث ، والحالات النفسية بحيث تجد في كل حكاية « لوحة » ترسم امامك بيروت ، وحياة الناس فيها . وهي لوحة يتمثل بها العقل النسائي ، في احسن ما يمكنه ان يعطي من افكار وصور وملاحظات ودروس ، ممزوجة مزجاً هو « فن الحكاية » ، ولا سبيل الى وصفه بغير ذلك ...

٢ ــ احاديث من القلب

تأليف السيدة اسمى طوبي

مطبعة قلفاط ، بيروت – ١٥٨ ص

•

وهذه اديبة ثانية ، فلسطينية النشأة والهوى ، اتخذت من الطرس مناجيا ، تنقل اليه في صمت هادىء احاديث من القلب ، عن حياة فلسطين وابناء فلسطين ، وبنات فلسطين ، فهي ، وقد شهدت الكارثة ، ومرت بها ، وتمثلتها ، وفكرت فيها قبل وقوعها ، وبعد وقوعها ، وادركتها آلامها حين وقوعها ، تعيش من ذلك كله في دنيا لا تفرغ ابداً من علامات الاستنكار والاستفهام والاستغاثة والاستنفار ..

ذلك بان الكارثة اصابت هذا « القلب » النسائي الحاني ، في صميم آماله الوطنية العالية ، وهدمت كل ما يمكن ان يبنى في المستقبل ، بعد ان طاحت بكل ما بني في الماضي ، ولم تدع للحاضر غير الالم والحسرة والذكريات المريرة ، المثيرة ، المصعقة !

ولكن .. ليس بهذا كل شيء ! هناك .. الى جانب ذلك القلب ، عقل نير ، ينظر للحوادث نظرة هادئة لا تخلو من نفاذ وجلد ، على ما يغلفها من توثب وقوة وحماسة .

جاء اهداء هذا الكتاب كما يلي :« الى تلك التي كانت كلها بلادنا ... والتي سنظل نغمس اقلامنا بدماء قلوبنا ، لنكتب عنها » اي ان فلسطين لا تزال كلها بلاد الفلسطينيين والفلسطينيات من ابناء العروبة وبناتها ، وستظل هي الهوى ، وهي القلب ، وان نزحوا عنها ، وستظل مدار الاحاديث ، ووجهة الكتب ، في كل حديث وكل كتاب .. ولا اثر بعد ذلك للكارثة !! هذه هي الوطنية الصحيحة !

قدم هذا الكتاب الشاعر القروي -- وهو الاديب اللبناني المغترب – متعجباً لاختيارها اياه في هذه المهمة ، قائلاً بعد مقدمة قصيرة : « انها احاديث قلب كبير ، يرين عليه عقل كبير ، فهي الى ما تتسم به من رزانة وجد ومنطق ، جامعة اشتات النفاسة والجمال . احاديث شفافة ، هفافة ، قريبة بين المطلع والختام ، مقتصدة في اللفظ ، سخية في المعنى ، ينتقل فيها الطرف من باقة الى كأس الى قلادة ، فلكأنها اسارير في وجه الادب تفصح عن اعمق المشاعر ، بألطف الملامح .. »

لم يكن الشاعر القروي مغالياً ، ولا اضفى من عواطفه على الواقع شيئاً في تقريراته تلك ، بل احس انه عبر بما شعر ، من غير زيادة ولا نقصان . ولكن ما هي هذه الاحاديث التي جمت « اشتات النفاسة والجمال » ؟

انها مجموعة مقالات وزعت على اربعة اقسام هي : ١ – وطنيات ٢ – انسانيات ، ٣ – نسائيات ، ٤ – نفثات ، بعضها نشر في صحف لبنان والعراق ، وبعضها انتظر هذا الكتاب فكان موعد نشرها وانتشارها .

والمقالة هي النوع الادبي الذي حظي في البلاد العربية باوفر العناية ، ونالت من الجهود ما لم ينله غيرها ، لا لانها سهلة ، ولا لانها في متناول كل كاتب ، في كل موضوع ، بل لان الصحافة العربية عملت على استثارها ، ومهدت لها اكثر مما جهدت في سبيل القصة مثلا او المسرحية ، فكان من الطبيعي ان ينصرف ذوو المواهب الادبية – واديبات العرب على الاخص نحوها ، وان تطغى على ما عداها من الانواع الادبية .

الى القراء

•

الرجاء ان يأخذ الادباء والقراء علماً بأن صندوق بريد مجلة « الآداب » قد اصبح يحمل رقم ٤١٢٣ ، بدلاً من الرقم السابق ، كما ان رقم التلفون قد اصبح ٣٢٨٣٢ فيرجى الاتصال بالمجلة بواسطة هذين الرقمين الجديدين .

اشير الى هذه الظاهرة في تاريخ ادبنا الحديث ، وانا اتحدث عن مقالات السيدة طوبي ، لاني لمست خلال مطالعتي كتاب « احاديث من القلب » افانين في القول ، والتفكير ، والتخيل ، تصلح لما هو ارحب افقاً من المقالة ، وارقى في سلم التأثير في الناس ، وافعل منها في التوجيه والارشاد . لمست اني امام اديبة لا تكفيها « آلة التعبير » التي تستخدمها اعني المقالة ، في بيان ما تقول ، وما يمكن بعد ان تقول ، فهي اغنى فكراً مما تظهر ، واقوى عاطفة مما يبين .

خذ مثلا مقالة « ادب القوة وشعراؤنا » حيث تنقد الشعر العربي الجديد في موقفه من احداث التاريخ العربي المعاصر ، وتنعى على شعرائنا انخذالهم الشعري ، وضآلة احساسهم بالكارثة. خذ هذه المقالة تجد انها تقول فيها اشياء كثيرة ، فلو توسعت بها لخلصت الى وضع مقاييس جديدة في النقد الشعري تجعلها في مصاف كبار النقاد . ولكنها كانت تراعي الصحيفة ، والاثر الصحفي ، والوقت الذي هو في متناول يدها، والقراء. اي انها كانت تكتب مقالة ، وتصميمها الاساسي هذا هو الذي ضيق ، ويضيق امامها آفاق البحث والتعمق ! وذلك لا يعني انها مسؤولة عن ذلك وانما يعني ان سهولة المقالة تضيع على الادب العربي كثيراً من الدراسات والمواهب .

ثم خذ بعد ذلك مقالة « دنيا بلا نساء » التي تعرض فيها امكان التحكم في الجنين وجنسه ، وتفترض ان « العلم وصل اخيراً وتحكم تماماً في الجنس فما الذي يحدث في الدنيا ؟ ستكون بادىء الامر ثورة . كل سيدة وخاصة في البلاد الشرقية ، ونحن منها ، تريد ذكوراً ... وتمر الاعوام فاذا بالاناث قلة ، واذا بالمرأة تحتل عرشها كشيء نادر الوجود ، وتبتدىء مشكلة عويصة ، ولكنها معكوسة ..

أرأيت الى طرافة الموضوع ؟ اية مسرحية رائعة ، مضحكة ، مغرية ، طريفة ، كان يكتبها حوله برنارد شو لو خطرت بباله ؟

قلت : برنارد شو ، ولكن ماذا يمنع ان تكتبها السيدة اسمى طوبي

مثلا لو كانت قد وجهت نحو نوع ادبي آخر غير المقالة ؟!

كل ما في هذا الكتاب من افكار منثورة ، وخواطر مبثوثة ، وآراء القيت هنا وهناك حول عديد المشاكل الاجتماعية والانسانية ، يؤكد ان ادب المرأة العربية مدعو للتخلص من « المقالة » والوقوف عندها . واذا وفقت الاديبة العربية ، ايا كان بلدها ، الى تخليص العرب ، الى انقاذهم من حلقة المقالة التي لا تزداد طولاً ولا عرضاً ، استطاعت ان تقود الرجال الى المجالات الواسعة وان تجعل من ادبهم شيئاً مفيداً ...

المهم ان تبدأ . وفي يدها ان تبدأ . هذا ما يكشف عنه كتاب « احاديث من القلب » .

عبد اللطيف شرارة



٤ كتب من تونس

نداء للعمل : ابو القاسم كرّو – نماذج بشرية : احمد رضا حوحو – مع الشابي : محمد الحليوي – تحريك السواكن : محجوب بن ميلاد

سلسلة « كتاب البعث » – تونس

●

معركتنا العربية هي معركة المصير ، المعركة التي تحاول بانتصارها ان تخلص المجتمع العربي من الكيان الزائف الذي علق به بعد ان توضحت فيه رسوبات الاوضاع الفاسدة منذ عصور الانحطاط . فهي ليست ابداً معركة سلبية تهدف الى التخلص من الاستعمار فحسب ، وانما هي في الوقت الذي توجه فيه الى المستعمر ضرباتها الجبارة في كل بقعة من الوطن العربي ، تقوم ببناء الاسس السليمة للكيان العربي سواء في الحقل السياسي او الاجتماعي او الفكري .

وتقوم بهذه المعركة جماهير الشعب المتوثبة في كل جزء من الارض العربية حيث يزداد عدد المشتركين في المعركة يوماً عن يوم وحيث يجد المستعمر نفسه بالتدريج في المأزق الذي لا بد له منه لينتهي الى الابد . والشعب العربي يدرك الآن بنضوج في بحر نضاله المنيف ، ان النضال السلبي الذي يهدف الى طرد المستعمر ليس سوى جزء من المعركة التي يقودها والتي يضع جميع قواه وامكانياته فيها .

ومظهر من المظاهر المشرفة لمعركتنا ضد المستعمر ، معركة المغرب العربي حيث يقدم للمعركة ما تستحق من بذل وسخاء وحيث يقدر الشعب تماماً في تلك البقعة العربية اهمية نضاله فيهرق الدم الغزير على مذبح ذاك النضال مليئاً بالبطولة والثقة بالنفس .

وفي غمار هذا النضال المشرف ، وفي الوقت الذي تنطلق فيه رصاصة البطل المدوية بحقه في الكرامة والحياة ، ينطلق تفكيره بتصميم لحياته المقبلة ، لمجتمعه السليم الذي يقوم ببنائه تحت وابل الرصاص ويدعمه بوابل الرصاص .

فالمعركة العربية هناك بالمنظمات العمالية والمنظمات الاجتماعية المختلفة والمحاربين على قمم الجبال ، تظهر بوجهها السلبي والايجابي واضحة الملامح عنيفة الاتجاه .

ولعل سلسلة « كتاب البعث » التي يقوم بتغذيتها بعض الشباب العربي في تونس ، نوع من المساهمة في الحركة النضالية . قد لا يستطيع هؤلاء الشباب ان يفوا مسئوليتهم النضالية حقها ، ولكن ما يهم ! انهم يقدمون باخلاص ما يستطيعون تقديمه .

اذكر في هذه المناسبة مطلع محاضرة القاها الاستاذ عبد الكريم زهور في سلمية ، فقال بأنه قد لا يجيد في محاضرته التي يودّ ان يلقيها ولكن ما يهم ! اننا مبتلون بمرض الاجادة : فالخطيب لا يلقي ما لم يقل ابلغ الكلام والشاعر لا ينظم ما لم تكن قصيدته في الاوج والكاتب لا يكتب ما لم يقدم خير ثمرات الفكر ، بينما مرحلتنا النضالية لا تنتظر ولا ترحم وكل لحظة من حياة امتنا العربية تتطلب النضال ، النضال المنيف .

الاجادة بالطبع ليست شيئاً ثانوياً ، بيد ان الاخلاص يجب ان يكون الرائد الاول للعمل ، والاجادة تأتي حسب الاستطاعة التي يمكن تقديمها .

تهمنا سلسلة البعث اذن من حيث هي عمل نضالي ، وتهمنا ايضاً من حيث تصل القارىء العربي بتفكير تلك البقعة العربية التي اسدل عليها المستعمر حجاباً وفصلها فصلا كاد ان يكون تاماً لولا ان شقه عرب تلك البقعة بنضالهم البطولي فاصبحوا يعيشون في قلب كل عربي وتفكيره في سائر اقطار وطننا . واذ احاول ان اتناول السلسلة بكلمة ، لا بد لي من ان اعترف بأن هذه الكلمة لن تكون سوى مجموعة ملاحظات سريعة قد لا تتصف بالموضوعية ، لان المواضيع التي تتناولها هذه الكتب متعددة ، والوضوح في الحديث عنها لا يأتي في بضعة سطور .

لنتناول في البدء « تحريك السواكن » للاستاذ محجوب بن ميلاد . وهو يتناول ضرورة بعث الفلسفة الاسلامية ويتكلم عن اهميتها ويقوم بعمل اولي في هذا السبيل فيستعرض بايجاز تأثير الحضارات الاخرى في الفكر العربي ويتناول بصورة خاصة طريقة التفكير اليونانية وتأثيرها ويأتي بمنطق المعتزلة كمثال على هذا التأثير ويعطي المامة لا بأس بها عنه . ويلمس القارىء في هذه المحاولة للاستاذ محجوب غيرته المنيفة على الفلسفة الاسلامية ، والمه لحظها العاثر الذي ابعدها عن الجمهور العربي وعن تأثيرها على الجمهور العربي ليعيش في اجوائها ويتصل عن طريقها ببنائه العضوي ، بنيه ليحافظ على الاستمرار في بنيته عبر التاريخ . ويلمس القارىء شيئاً اخر هو ايمان الاستاذ محجوب بالبناء العضوي لهذه الفلسفة العربية في العصر الاسلامي ، البناء الذي يدعو الى ابرازه بعد ان انكر وجوده زمناً طويلا والتبس امره بالفلسفة اليونانية التي غذته فلم تدرك ملامحه الصحيحة او ملامح الفكر العربي فيه . فمحاولة الاستاذ محجوب هي دعوة للعمل في هذا الحقل القومي فيها الكثير من الاخلاص والحماسة .

ولكن ليسمح لي الاستاذ محجوب هنا بان امر مروراً سريعاً على بعض النقاط الاساسية المتعلقة بطبيعة العمل الذي يدعونا اليه . فنحن غالباً ما نضيع النظرة الرئيسية مهما حسنت النية حينما نحاول فهم البنية العضوية لفهم التاريخ العربي ، باقسامه المختلفة ، السياسية والفكرية والحضارية .. لسبب اساسي هو اننا نقصر هذا التاريخ على مجال زمني ضيق هو عصر الاسلام . صحيح ان انتفاضة الاسلام كانت جبارة جداً تدفقت فيها الامكانيات العربية تدفقاً قوياً وطفت بعنفها وقوتها على تفكيرنا وعاطفتنا معاً ، بيد ان هناك حقيقة لها اهميتها القصوى هي ان التاريخ العربي لم يبدأ مع الاسلام فقط ، الوطن العربي كان طيلة حياته الحضارية مقراً لموجات عربية ضخمة ترافق

التاريخ القديم ، بل ترافق اقدم الحضارات . والحضارات المختلفة التي انشأها العرب في مراحل تاريخية مختلفة تكون حلقات من سلسلة مستمرة وتكون بمجموعها البنية العضوية للتاريخ العربي .

هذه النظرة الرئيسية للتاريخ العربي ليست ضرورية من اجل المفخرة القومية ، وانما من اجل فهم تلك البنية العضوية وفهم طبيعة الامكانيات التي تتمتع بها الامة . واذا فقدنا هذه النظرة فاننا نفقد ملامح التمثال ولا نرى سوى جذعه ، فنفقد بذلك الانسانية العميقة التي يزخر بها هذا التمثال . وفي حالة البحث الفلسفي ، او البحث الفكري بالاحرى ، لا بد ان تصل حلقات التاريخ ببعضها لان الفكر اقوى الظاهرات الحضارية تمثيلا للاستمرار .

بدهي اني لا اتهم الاستاذ محجوب بالتقصير ، لان هذا عمل الامة العربية بكاملها في مرحلة حضارية كاملة حيث تتناول تلك الاوراق المبعثرة التي تناولها الاستاذ محجوب من بين ايدي المستشرقين ومن اعماق الارض اذا بقي في الارض من جديد ، وتبني التاريخ العربي من جديد ، بعد ان تسلط عليه اضواء جديدة . وبهذه المناسبة ، اوافق الاستاذ محجوب على ان المستشرقين تعبوا كثيراً في التنقيب عن التاريخ العربي والاسلامي وجمعوا وثائق لها اهميتها ، بيد انهم لم يستطيعوا ولم يحاولوا محاولة جدية ان يبنوا التاريخ العربي . لقد جزأوه كما جزأت دولهم الوطن العربي ولم يعطونا منه سوى قصاصات حضارية هي رغم هذا رائعة .

يخيل لي ان الاستاذ محجوب يربط اسم الفلسفة بالفلسفة اليونانية فقط وهنا ارى انه يجب الوقوف قليلا .

صحيح ان حظ الفلسفة اليونانية والحضارة اليونانية بمجموعها كان قوياً فانتقلت الينا انتقالاً شبه كامل ، وصحيح ايضاً ان الفلسفة اليونانية كانت خطوة جبارة في تاريخ الفكر الانساني حيث قدمت ، عدا نظرتها في تفسير الظاهرات ، اسلوبها في بناء تلك النظرة ، واعطت لفلسفتها التعريف وقدمت فلسفتها منسوبة الى فلاسفة ، وهذا كله ما جعل لها شخصيتها القوية التي طغت واثرت في الفكر الانساني بمجموعه لا سيما في القرون الوسطى وفي العصور الحديثة . اما اليوم وقد فتحت امام الفكر آفاق واسعة جداً ، وغيّر هذا الفكر جميع المفاهيم وبنى مفاهيم جديدة متجددة سواء فيما يتعلق بمواضيعه أو فيما يتعلق بتصنيفه لمعارفه . فان انكار الفلسفة على الحضارات القديمة لمجرد انها لم تقدم فلسفتها على الطراز اليوناني ، أمر لا يسلم به بسهولة .

ولا اخفي ان الاستاذ محجوب لم يقل هذا صراحة ، بيد انه خيل الي ذلك عندما مر عابرا على أن العرب في جاهليتهم لم يكن لديهم فلسفة ..

ان نكراننا الفلسفة على الحضارات القديمة لمجرد انها لم تقدم تفكيرها بالاسلوب اليوناني يشبه نكراننا الفلسفة على اليونان انفسهم ، لان تعريفنا اليوم للفلسفة يختلف ، او يختلف الى حد ما على الاقل ، عن تعريفهم . صحيح ان الحضارات القديمة لم تقدم لنا (فلاسفة) ولم تقدم (فلسفة) بالمعنى المصطلح عليه بيد انها قدمت نظرة للوجود وتفسيراً للظاهرات المختلفة الانسانية والطبيعية ، وتجارب انسانية عميقة . ورغم انها لم تقدم دوماً تلك النظرة صراحة ، فان هذه النظرة موجودة وعلينا نحن ان نفتش عنها . كل حضارة تنطوي على نظرة فلسفية وتقوم على مجموعة مسلمات فلسفية وتستحق هذه النظرة مهما كانت بسيطة وبدائية ان نعطيها الصفة الفلسفية لاننا اليوم بالذات لا نفهم الفلسفة سوى نظرة تكمن في المحاولات الانسانية .

ولا اقصد هنا ان اخالف الاستاذ محجوب في ان يضع حكم مبعثرة في الشعر الجاهلي لا تكون فلسفة . صحيح ان الشعر الجاهلي لا يكون فلسفة وانما الحياة الجاهلية بمجموعها تكون نظرة في الوجود وبالتالي تكون فلسفة ولكن لا بالتعريف اليوناني .

لعل الاستاذ محجوب يفهمني هنا تماماً ، ان الفلسفة اليونانية لا تمثلها آثار ارسطو فقط ، فالفكرة التي ينطوي عليها زيوس مثلا جزء من الفلسفة اليونانية ...

***

لن نقف طويلا عند الحلقات الاخرى من السلسلة ، فان « مع الشابي » للاستاذ الحليوي يمثل كما يقول نظرته الخاصة للشابي ، وكما يقول ايضاً ليست النظرة للشاعر عامة بالضرورة لان الشاعر يتصل باعماق الانسان لا بمنطقه واسلوبه في التفكير فحسب . ولا بد ان اسجل للاستاذ الحليوي هنا دفاعه عن الادب العربي وتوضيحه بعض النقاط الضرورية للتأثر سطحياً بالادب الغربي ، بيد اني لا اجد ما يمنعني من ان اقول ان الموضوع اعمق بكثير واعتقد انه لم يوف حقه .

اما « نماذج بشرية » ، فان الاستاذ حوحو قدم فيها بالفعل بعض نماذج رائعة ، بيد ان تناولها لم يكن فنياً بالمعنى الصحيح ، وكان الاستاذ حوحو في هذا التناول ملاحظاً اجتماعياً لا قصاصاً مع ان بعض نماذجه تستحق العناية الصادقة والتعب في سبيلها . واسجل له هنا اعجابي بعائشة والعصامي والعم تتيش .

اما « نداء العمل » فهو مجموع محاضرتين للاستاذ كرو ، تؤلفان بالفعل نداء للعمل في ذلك القطر العربي ، وقد استعرض فيها النوادي والجمعيات في العراق حيث اتم تحصيله العالي وامكانيات العمل في تونس حيث شمر عن ساعديه في الحقل النضالي .

دمشق

محمد الجندي



شهر في روسيا

بقلم احمد بهاء الدين

منشورات دار النديم ، القاهرة — ١٦٠ ص

•

هذا الكتاب — وقد يكون واحداً من عدة كتب في طريقها للظهور — هو نتيجة لزيارة الوفد الصحفي المصري الى الاتحاد السوفياتي . وقبل ان اتحدث عن الكتاب ، لي رأي خاص في تلك الوفود التي تتقاطر الى الاتحاد السوفياتي من مختلف الهيئات في البلاد العربية .

الحقيقة ، ان هذه الوفود على انواعها انما تحدث لغرضين اثنين :

١ — توثيق العلاقات السياسية بين الاتحاد السوفياتي من جهة والبلاد العربية من جهة ثانية .

٢ — اطلاع هذه البلاد على مدى ما حققه الاتحاد السوفياتي من تقدم.

اما بالنسبة للغرض الاول ، فهو يتحقق مهما كانت نوعية الوفد. ولكن ما يخلق المشكلة ويوجدها هو الغرض الثاني بجميع ما يحيط به من ظروف وملابسات !

ففي حالة الوفد البرلماني مثلاً ، او حتى الوزاري ... ماذا تكون النتيجة ؟

النتيجة هي عودة كل فرد من افراد الوفد حاملاً معه بعض التأثرات والمشاهدات المعينة ، التي قد يحتفظ بها لنفسه ، او يتحدث بها الى بعض معارفه واصدقائه .. واخيراً قد يدلي ببعضها في احاديث صحفية متقطعة .. ثم يموت كل اثر لذلك !.. ولكن بالنسبة للوفد الصحفي فالحالة جد مختلفة ! فالصحفي بعد عودته ، يجد نفسه مضطراً للكتابة ، وذلك بدافعين :

١ – ايجاد المادة الصحفية .

٢ – مطالبة جماهير القراء إياه بابداء الرأي حول الاحوال القائمة .

ومع ان كل مـــا يمكن ان يكون قد رآه في هذه الرحلة لا يتجاوز بضعة نصب وتماثيل ، وكولخوزين او ثلاثة ، وبضعة مصانع ، واخـــيراً بعض المتاحف المتناثرة .. اي ان كل ما رآه من الاتحاد السوفياتي لا يتعدى اخيلة تتراءى من وراء ستار .. مع كل هذا ، نراه ينغمر في كتابة اشياء كثيرة .. عن الحرية .. والدين ، والمرأة والعمل ، والحكم .. الخ .. في الاتحاد السوفياتي ! وهو في كل هذا الذي يكتبه (والذي يكتبه بعمق!) يكون واقعاً في الحقيقة تحت تأثيرين مختلفين :

١ – تأثير المشاهدات والمظاهر الخارجية التي قد لا تحمل الشيء الكثير من الحقيقة .

٢ – تأثير مطالعاته الخارجية عن هذه البلاد ، والتي قد تكون صحيحة او منحرفة تبعاً للعوامل المختلفة التي تحددها .

ولو ان هذه الكتابة كانت عن اميركا او فرنسا او انجلترا مثلاً ، لما كان هناك اي اعتراض ، على اعتبار ان هذه الدول بنظمها واحوالها المختلفة ، وبجميع مـــا يحيط بهذه النظم والاحوال ، انما هي شيء واضح محدد ، ومعروف لدى الجميع . ولكن المقياس يختلف بالنسبة للاتحاد السوفياتي ، حيث تقوم هناك – كما يقول الاستاذ احمد بهاء الدين – اخطر تجربة اجتماعية عرفها التاريخ ، وذلك لان هذه البقعة من العالم بجميـــع نظمها واحوالها المختلفة سياسية كانت ام اقتصادية ام اجتماعية ، تقف اليوم كاستفتاء ضخم في حياة الانسان المعاصر ، وكل كلمة ، حتى ولو كانت نتيجة انطباع غير مسؤول ، لا يمكن الا ان تفسر على اساس انها رأي حول هذا الاستفتاء القائم .. على الاقل بالنسبة للجماهير الشعبية العربية – وكلنا يعرف مدى تأثير الصحافة في توجيهها – وذلك لان هذه الجماهير ، تقف اليوم على ابواب تجربة حية ايضاً ، وهي كثيراً ما تحاول التطلع الى ما يجري هناك .. في هذا الاتحاد .. ونظراً لضآلة ما يتسرب من معلومات ، تجد هذه الجماهير نفسها مدفوعة الى الايمان بكل ما يقال ، فقط .. مجرد ان يقال .. حتى يصبح شيئاً ثابتاً لدى هذه الجماهير .. ليدخل بعد ذلك في توجيه تجربتها الحية .. تلك التي تتهيأ لخوضها الآن .

ولكن مع كل ذلك ليس بامكاني ان اتخلى تماماً عن التحفظ في سؤالي: هل هذا هو ما يبغيه الاتحاد السوفياتي من وراء هذه البعثات .. وعلى الاخص البعثات الصحافية ؟!

ولكن .. مهما يكن من امر ، فمن هنا تنبع اهمية الكلمة المسؤولة في مثل هذه الاحوال ، اذ فلينظر كل فرد الى ما يمكن ان تحققه من انحراف وتشويه بضعة كلمات طائشة لا تقوم على اية مسؤولية تعتمدهـــا تجاه حياتنا القائمة ! فقط كل ما تقوم عليه هو انها مجرد ادب رحلة او مشاهدات !

ولكن ذلك ، تمنيت – بعد فراغي من قراءة الكتاب – لو ان الاستاذ احمد بهاء الدين لم يخرج علينا بهذا الكتاب !

والاستاذ احمد بهاء الدين آمن منذ البداية بانه لن يكون بامكانه الوصول الى الحقيقة .. انما كل ما يمكن ان يطمع فيه هو ان يسجل انطباعاً اميناً عما يشاهده هناك .

ولكن هذا الانطباع قد يكون اميناً بالنسبة للاستاذ بهاء الدين ، على اساس انه يقف كحالة استقبال او تلق ، ولكن هذا الانطباع يظل بحاجة الى تمحيص ، لمعرفة مدى امانته بالنسبة للحالة التي يعبر عنها من الجهة المقابلة ، والتي تقف كحالة ارسال في هذه العملية . هذا من جهة ؛ ومن جهة ثانية نشاهد ان ابرز ما يميز هذا الانطباع – على امانته او انعدام هذه الامانة – هو سطحيته التي تأتيه من المشاهدة العابرة والتطلع السريع ، ولنأخذ مثلاً الكولخوزات كمثل هام يوضح لنا هذه الناحية .

فكلخوز (كالينين) هو احد الكولخوزات التي زارها المؤلف ، فاذا كان بامكانه ان يكتب نتيجة هذه المشاهدة السريعة ؟!.. كل ما كتبه المؤلف عن الكولخوز لا يتعدى الاشياء الظاهرة والسطحية: «مساحة الكولخوز .. عدد سكانه .. نسبة العاملين .. عدد الحيوانات التي يملكها ، ثم اشراف ادارة الكولخوز على العمل ، وتوزيع انتاجه على الافراد في صورة اجر يتناسب مع مقدار العمل .. » .. ثم لا شيء بعد ذلك !

ولكن مثلا .. ارتباطات الافراد بالادارة ، وما يمكن ان يحدد هذه الارتباطات في مختلف الاحوال ، ثم الاسس التي تقوم عليها علاقة الافراد بعضهم ببعض ، وارتباط كل من الافراد والادارة بشكل واضح محدد .. كل هذا لم يكن بامكان المؤلف ان يذكره .. وبالتالي فـــان ذلك الوصف السطحي للكولخوز سيظل يسيطر على الاذهان ، وسوف يحدد بالتالي – بالنسبة لنا – كل ما يتعلق بهذا الكولخوز ، وذلك على اساس من هذا الوصف السطحي ! ومن الجلي ان عدم توفر الامكانيات المختلفة للمؤلف ، للنفوذ الى الحقيقـــة ، لا يبرر هذا العرض السطحي الجزئي لها !

ومن كتابة المؤلف ، سواء عن كولخوز كالينين ، او عن الكولخوز الآخر الذي شاهده في طشقند .. يستطيع الوصف ان يحملـــك تحس بالارتياح والدعة .. حيث يمكنك ان تعمل بالقدر الذي تحدده لنفسك ، ما دمت ستأخذ ما يتناسب مع عملك من اجر ، وعلى كل الاحوال فانت تعيش في بيت نظيف مزود بالكهرباء ، وحوله مساحة نصف هكتار .. وحيث يمكنك ان تأكل حتى التخمة ، وان تنعم برئيس لطيف (كعمر اقول) ، ضخم الجثة ، تزين صدره الاوسمة والنياشين !

لقد ذكر المؤلف ذلك ، ولكن لم يكن بامكانه ان يكتب عن تلك المزرعة التي عاش فيها الشاعر السوفياتي ياشين ، وعن الطريقة التي كان يعاقب بها رئيس المزرعة .. يوم امحلت الارض في احدى السنوات ! لم يكن بامكانه ان يسجل ذلك ، لانه لم يشاهده او يتصل به .. ومع ذلك فهو يظل كجزء هام من الحقيقة التي تحدد طبيعة الكولخوز وكيانه في الاتحاد السوفياتي .

وهكذا ، فان هذا الانطباع – على امانته بالنسبة للمؤلـــف – ظل بحاجة الى التمحيص لتحديد مدى امانته بالنسبة للصورة الـــتي يعبر عنها !

ولكن هناك اشياء كتب عنها الاستاذ بهاء الدين ، واستطاع ان ينفذ الى حقيقتها .. تلك هي الاشياء المادية التي تشكل في الحقيقة الموضوع الرئيسي لرحلة خاطفة من هذا النوع .

وهذه الاشياء تنحصر في : الشوارع ، الحدائق ، النصب ، المتاحف ، والمواقع والمدن والاثار ..

اما الفصول التي ضمت هذه الاشياء التي استطاع المؤلف ان يلم بها في هذه الرحلة ، فهي : (كييف ، كنوز موسكو ، الشارع في موسكو ، مصيف ستالين ، ستالينجراد ، لينجراد) . اما بقية الفصول : « من الذي يحكم روسيا ، الفن والصحافة والادب ، والمرأة والزواج والحب .. » هذه الفصول كانت نتيجة حتمة لمطالعات المؤلف الخارجية ، والتي كان باستطاعة المؤلف ان يكتبها دون ان يحمل نفسه مشقة السفر الى تلك البلاد .

فالاستاذ بهاء الدين لم يكن بحاجة الى السفر إلى الاتحاد السوفياتي حتى يعرف مثلا ان ستالين كان ديكتاتوراً ، وان النظرية هي التي تحكم روسيا ، او ان الادب لا ينمو في جو من الحرية ! وعلى هذا الاساس ، فالمؤلف كان يعتمد في كثير من الاحيان عن جو الرحلة التي كان من الواجب ان يكتب الكتاب من خلالها .

ومرة اخرى اقول ، لو ان الاستاذ بهاء الدين احتفظ بهذه الانطباعات ، او حتى لو انه جاء بها في نمط آخر .. في نمط الصفحة الاولى مثلا ، التي اهدى فيها الكتاب الى نورية اسماعيلوفا .. تلك التي كانت اجمل شيء في الكتاب ، وفي الرحلة على ما اعتقد ..! لو ان هذا حدث .. اذن لكان بين ايدينا كتاب آخر .. جد مختلف عن هذا الكتاب الذي يطالعنا الآن !

طرطوس عبد الله يونس



امرأة ورجلان

تأليف ليونارد فرانك – ترجمة الاستاذ منير البعلبكي

دار العلم للملايين ، بيروت – ١١٢ ص

•

فرغت مؤخراً من قراءة قصة « امرأة ورجلان » او « كارل وانا » للقاص الالماني الكبير ليونارد فرانك ، وهي من كنوز القصص الانساني العالمي التي تصدرها دون انقطاع دار العلم للملايين والتي يتولى ترجمتها الاستاذ منير البعلبكي .

والقصة تستدعي التأمل العميق لما تحتويه من معان انسانية شاملة تغنى بها شعوب الارض على اختلاف بيئاتها وتفيد منها كل امة شقيت بالحروب واصطلت باوار الحديد والنار .

وهذه القصة لا تعدو كونها قصة كتبت على سبيل الاخبار كما يظن للوهلة الاولى ، فموضوعها وان كان من الحياة مستمداً لا يعني ان ليس لكاتب فضل غير فضل الوسيط الذي ينقل الى حيز الكلمة حوادث جرت في جو من الواقعية والصدق . بل فضل الكاتب انه جعل الواقع بما خلع على ابطاله من رسوم حية تحكي الواقع والخيال القصصي في وقت معاً ، وبما ادخله على قصته من « حواش » قد تكون من حيث المحصول قليلة الفائدة ولكنها بالنسبة الى السرد والتكامل النفسي جليلة القدر . فالشوكة ذات الاسنان اللامتساوية ، والاواني المنزلية الاخرى التي يأتي ذكرها مراراً وتكراراً لا تؤثر على ما اعتقد في موضوع القصة ولكنها على اي حال تؤكد لنا ان الكاتب لم يرد ان يرتفع عن الواقع ليظل التكافؤ قائماً بين الموضوع العام المستمد من الحقيقة الالمانية ، وبين النوافل من شروح واوصاف هي في رأي بعضهم – كمباس العقاد – من مزيدات القصة يستطيع الكاتب ان يسويها حسب ذوقه الخاص لتعلقها بالاطار ولعدم تأثيرها على الصورة وهي هنا الموضوع الا من الخارج .

والذي يحمد عليه الكاتب ايضاً البساطة في التعبير وفي الاداء ، ثم حسن الدراسة النفسية لابطاله الثلاثة وخصوصاً « انا » . فقد تلبست هذه عدة شخصيات وارتدت عدة وجوه . فهي تارة وجودية لا تعبأ بالقيم الاخلاقية عندما تأمرها بالصبر وتدعوها الى التضحية على حساب العيش الهنيء ، وهي تارة اخرى جبرية لا تستطيع شيئاً امام العوارض الطبيعية والالهية ، بل هي مجرد امكانية . فانظر الى قولها مخاطبة « ريتشارد » وقد ارادت ان تبرر انحيازها نحو « كارل » : « انا لا استطيع ان اعيش مع احد سواه ! لقد قدر علي ذلك يا ريتشارد ، لقد قدر علي ذلك . » فاين وجودية « انا » هنا ؟ لقد سحقتها آلة القدر الجبارة . وقد نراها في بعض الاحيان متعلقة بالارض تحتكم الى الواقع في كل شيء فلا مكنة لها عن ان تحيد عن المصير المحتوم اذا داهمها وقطع عليها منافذ الخلاص « .. مهما يقع فليس في استطاعتي ان اصنع شيئاً اذا ما قتلني عند عودته فلن افر بنفسي من ذلك المصير .. »

وهكذا نجد نفسية « انا » تتأرجح بين وجودية وجبرية وواقعية ، خطوط في الفلسفة ثلاثة تمثل من خلال شخصية « انا » النزعات الالمانية بعد الحرب فالوجودية هي تيقظ النفس الالمانية على نداءات « ياسبير » و « هيدجير » ، بعد ان سارت زمناً على مبادىء « كنت » الاخلاقية . ثم جبرية متطاولة غذتها في الشعب الالماني روح دينية ، ولكنها ما ان تضاءلت قبل الحرب على يد النازيين والنزعة النيتشية ، حتى عادت غداة انتهائه وقد اثبتت بدعائم قوية . والقدر الذي آمنوا به لم يكن ليجرهم الى التواكل والقنوط والكفر بسنن الحياة ، بل انه ظل يدور عليهم من خلال العقائد المجردة لا ينزل الى مجال التطبيق او يمس الواقع الحياتي فيبدل في مجراه . اما الواقعية فهي الميزة التي لم تفارق الشعب الالماني لا قبل الحرب ولا بعده . ومما زادها رسوخاً تكاثر الحوادث وتوالي المصائب ، فعلق الالمان بالارض وآمنوا بالواقع ايمانهم بوحدة المصير .

هذه الجولة القصيرة حول شخصية « انا » لم تكن الا لتبرز الناحية النفسية للقصة . « فانا » هي مدار الجدل لما تبيت في ذاتها من احتمالات وتضارب اقوال . فن قائل انها لم تكن على علم بان « كارل » هو زوجها عندما احسنت وفادته ، ومن قائل انها كانت على علم . ومهما يكن فشخصية « انا » هي اعمق بكثير من شخصية « كارل » و « ريتشارد » كما انها اقرب الشخصيات الى قلوب القراء .

واخيراً فالشيء الذي لا بد من ذكره في هذا المجال هو عدم تقيد كاتبنا بفزيولوجية القصة عكس ما يفعله كثير من الكتاب المعاصرين ، فانهم قبل الشروع في التأليف يجهدون في ابتداع عقدة لرواياتهم ويدأبون في تسيير الحوار حسبما تمليه القوانين المدروسة ، ثم يعملون بعدها على ايجاد طريقة مؤاتية لحل الانشوطة في النهاية . وكثيراً ما تعود دراسة كهذه

كتب وردت الى المجلة

(وسينقد بعضها في اعداد قادمة)

* الخطيئة — بقلم رضاء الدين حيدري
قصة – توزيع مكتبة الامل،
بغداد – ٨٠ ص

* نذير العاصفة — بقلم عادل الاعور
مجموعة قصص – توزيع المكتب التجاري – ١١٦ ص

* الحياة الحزبية في سوريا — بقلم محمد حرب فرزات
دراسة – منشورات دار الرواد بدمشق – ٢٦٤ ص

* الدوامة — بقلم جان بول سارتر
ترجمة مروان الجابري – المؤسسة الاهلية للطباعة والنشر – ١٦٨ ص

* حديث اليوم والغد — بقلم محمد العربي الخطابي
ابحاث – تطوان – ١٠٠ ص

* الشيرازي — بقلم جعفر آل ياسين
دراسة – مطبعة المعارف، بغداد – ١٤٧ ص

* الشعر وقضيته — بقلم ابراهيم العريض
دراسة – منشورات صوت البحرين – ١٦٨ ص

* زورق الغياب — بقلم رياض معلوف
ديوان شعر – المكتبة العصرية بصيدا – ١٢٠ ص

* العالم وانشتين — تأليف لنكولن بارنت
ترجمة محمد عاطف البرقوقي – سلسلة « اقرأ » – ١٢٨ ص

* العيون الظماء للنور — بقلم يوسف الخطيب
ديوان شعر – المطبعة العمومية بدمشق – ١٠٢ ص

* الكاظمي شاعر العرب — بقلم عبد الرحيم محمد علي
دراسة – مطبعة الغري الحديثة (النجف) – ١١٢ ص

* الوجود والماهية — بقلم الاب بولس مسعد
دراسة – مطابع دار « الصياد » – ١٣٢ ص

* التضليل الشيوعي — بقلم سليمان عواد
دراسة – ٨٤ ص

* شفق الاحلام — بقلم محمد سعيد المسلم
ديوان شعر – مطبعة دار الكتب بيروت – ١٢٨ ص

* من القصص الانكليزي — ترجمة نعمان ماهر الكنعاني
مجموعة قصص – شركة التجارة والطباعة، بغداد – ١٢٠ ص

* الهند والغرب — بقلم علي ادهم
سلسلة اخترنا لك – دار المعارف بمصر – ١٣٠ ص

* الملك سيف — باشراف علي ناصر الدين
دراسة – دار الحكمة،
بيروت – ٧٦ ص

* مثلهن الاعلى — بقلم عبدالله العلايلي
دراسة – دار الحكمة – ١١٨ ص

* اربع نساء — بقلم ناجي حمدي
رواية – مطبعة المعارف، بغداد – ٩٨ ص

* مجلة معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية
المجلد الاول، الجزء الاول – مطبعة مصر – ١٦٠ ص

* زوايا — بقلم سلمى الحفار الكزبري
قصص وحكايات – دار المعارف بمصر – ١١٦ ص

* في زحام المدينة — بقلم انور شاؤل
مجموعة قصص – شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد – ١١٠ ص

* شهريار — بقلم عزيز اباظه
مسرحية شعرية – مطبعة مصر بالقاهرة – ١١٥ ص

* محاضرات في اقتصاديات سوريا — بقلم الدكتور احمد السمان
منشورات معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة – ١١٦ ص

* مصادر الحق في الفقه الاسلامي — بقلم الدكتور عبدالرزاق السنهوري
منشورات معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة – ٢٤٢ ص

* محاضرات في اقتصاديات العراق — بقلم الدكتور عبدالرحمن الجليلي
منشورات معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة – ٢٦٦ ص

* وثائق ونصوص (١) — دساتير البلاد العربية
منشورات معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة – ٤٣٠٠ ص

* احوال السكان في العالم العربي — بقلم الدكتور عزة النص
منشورات معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة – ٣٢٦ ص

* اوراق اديب — بقلم علي الزين
دراسات – دار الفكر، بيروت – ٢٣٦ ص

* من روحي — بقلم جوزفين بايكر
شعر عامي – مطبعة النصر، بيروت – ١٦٠ ص

* الغرفة الصينية — بقلم فيفيان كونل
ترجمة انيس صايغ – منشورات المؤسسة الاهلية – ٢٦٤ ص

* اباطيل — بقلم يوسف نمر ذياب
مجموعة شعر – مطبعة المعارف، بغداد – ٦٦ ص

بالويل على الاثر ان لم يكن في حوزة القاص قبل البدء في التاليف رصيد لا يستهان به من الثقافة ومن الاصالة وخصوصاً من الخيال الجنح. وكلما سار الكاتب في ركاب النواميس والضوابط كلما اتت قصته خالية من كل حياة، لا ماء فيها ولا رواء، فيها عنت شديد وتصنع لا سبيل الى انكاره. اما «ليونارد فرنك» فيمكننا ان نعده بحق من رواد القصة الحديثة التي لم تقطع صلتها بالمدرسة القديمة اي بمدرسة « دستويفسكي » و « اميلي برونتي » و « جين اوستن » و « بلزاك » وغيرهم من كبار القصاصين الذين لم يدرسوا على ما اعتقد قبل الشروع في الكتابة فيزيولوجية القصة، او الموا قبل البدء في العمل بدقائق الحوار، بل اتت اكثر قصصهم نتيجة لتجربة حياتية معينة: فاعملوا عندئذ خيالهم واخذ بعضهم « كاميلي برونتي » توسع دائرة المجهول وتغوص على سرائر النفس الانسانية بتدرج سليم؛ فتمر بالعقدة مروراً عفوياً طبيعياً ثم يتوالى الحوار في نسق موحد واخيراً تنحل الانشوطة بدليل التهيئة والسياق البحثي المنظم.

على يد هذه المدرسة تتلمذ « ليونارد فرنك ». فاقام قصته على حس الانتظار، خلة من خلال الرواية تبين لنا مبلغ صدق الكاتب في صياغة قصته، وابتعاده عن الصنعة والتكاف. ولي كلمة اخيرة اقولها في نهاية هذه السطور وهي ان يركن الكاتب الى ذاته في التأليف وخصوصاً كاتب القصة وان لا يحل محل الوجدان قاعدة او مبدأ نهله من خارج، ليكون له بعد ذلك « ادب حق لا ادب صناعي ».

اميل المعلوف



كان الرجل يقول في عريضته :

(إنني صاحب اربعة اطفال ، وقد انهيت دراستي الابتدائية ، وعملت مأموراً للمخزن ستة عشر عاماً في الشركة الالمانية ، ولم تعد للجندية علاقة بي. ولي معرفة بالحروف القديمة، ويمكنني الضرب على الآلة الكاتبة ..واستعمال ماكنة الحساب .. فأرجو ..)

***

وكان الرجل في حوالى الاربعين،ذا شعر أغبر ووجه مجعد، ومحجرين مظلمين ، وعينين في لون السحاب الماطر .

كان خجولاً ... يدل وضعه وهو مطأطيء الرأس على أدب جم ..

– عملت ستة عشر عاماً يا سيدي ، ولدي وثيقة استخدام تثبت استقامتي واخلاصي في العمل .. فاذا شئتم ...

– ثم ؟

– ثم انتهى العمل ، عمل الشركة . وبقيت عاطلاً منذ خمسة أشهر .

وتوقف الرجل قليلاً ، ثم استمر في الكلام وهو ما يزال مطأطيء الرأس :

– عملت ستة عشر عاماً يا سيدي .، باستقامة واخلاص ، ولكم ان تسألوا . ثم إني اعرف الحروف القديمة، والضرب على الآلة الكاتبةواستعمال ماكنة الحساب .

***

كان معاون المدير قد ارسل الرجل الي لاختباره بصفتي رئيساً للكتاب، وقد فهمت من لهجة المعاون وهو يقول : أجر له تجربة ، بانه إنما يقصد (مداراة الأمر) .

قلت للرجل :

– اذن تعرف الضرب على الآلة الكاتبة ؟

فأجاب بصوت مضطرب : نعم يا سيدي .

وادار رأسه الى المناضد المجاورة التي وضع عليها ثلاث آلات كاتبة سوداء ...

وكأني به وهو ينظر اليها يقول : « رفقاً بي ، لا عمل لي منذ خمسة أشهر ... وعندي اربعة اطفال . »

وكانت الآلات السوداء .. ساكنة جامدة ، لا يهمها أن يكون الرجل اربعة اطفال ، وأن يكون عاطلاً منذ خمسة أشهر .. وان .. وان .

ومديرنا لم يهمه أمر الرجل كثيراً ، فأحاله الى معاونه الذي اراد مني ان اداري الأمر .

وقبل خمسة عشر عاماً .. كانت الالات تنظر الي ... هكذا تماماً .

والمدير المتكرش البطن كان متعالياً كمديرنا ، وكان الرئيس الذي وقفت امامه ينظر الي من طرف عينيه .. نظرات حادة .

كنت شاباً في السابعة عشرة من عمري ، وكان قد مر وقت قصير على وفاة ابي .. وتركي المدرسة الثانوية بعد رحيله عنا .

كنت خجولا .. اقف كل يوم امام رجل (ضخم) اطالب عملا ، شيئاً من (الخبز) ، فأجد نفس التعالي واللامبالاة في كل من اقف امامه .

لم يكن احدهم ليختلف عن الآخر . وكانت اسئلتهم كلها واحدة : كم عمرك ؟ ما هي مؤهلاتك ؟ ما سبب تركك المدرسة؟ ما العمل الذي يمكنك تأديته ؟

وكنت احس بغصة في حنجرتي قبل ان اجيب على اسئلتهم ... فأوشك ان ابكي .

كنت في ربيعي السابع عشر .. تعصف براسي عواصف الحياة والخبز.. لا نسائم الشباب.

***

هذا الرجل يعود الى داره كل يوم صفر اليدين منذ خمسة اشهر . وزوجته تنتظره كل مساء ... (لعله يجد عملاً مناسباً اليوم !)

والاطفال الاربعة الصغار ينظرون الى يدي ابيهم الفارغ كلما عاد .

إني اعرفهم .. هؤلاء الاطفال .

كانت امي قد انتظرتني مع اخوتي خمسة اشهر . وكنت قد عدت الى داري كما يعود هذا الرجل كل مساء .

يا الهي ..

إنني ارى نفسي كلما نظرت اليه ، ويختلف مظهري وسلوكي .. عن حقيقة شعوري نحوه .

فأنا كالرئيس الذي نظر بحدة من طرف عينيه ، وكالمدير اقف متجاهلا امره ، بلا مبالاة .

– على اي نوع تجيد الطبع ؟

وينظر الرجل الي بامتنان .

واتذكر المدير القاسي والبطن المتكرش .. ونفس هذا السؤال . وتتعلق عين الرجل بالآلات الكاتبة ثانية .. ثم يقول :

– كانت في شركتنا الالمانية آلات Ideal .

– عندنا مثل هذا النوع.

***

وناديت كاتب (الطابعة) علي بك وطلبت منه ان يخرج ورقتــه من الالة ، لتجربة هذا الرجل ، فهو يجيد الطبع على ذلك النوع ..

انكم لا تعرفون (علي بك) ..

إنه يحصل على قوته من اطراف اصابعه هو الآخر . وقد نظر الى الرجل ، وهز رأسه . ولم يكن في عينيه وهو يخرج الورقة بريق قسوة شديدة ، او رغبة في انتقام .

ولكن كان .. يتململ على كل حال . عندما جلس الرجل على مقعده، ونظر بعينين تراءتا اكثر سواداً في وجه جامد اصفر .. الى الآلة .. والى مضارب الحروف .

وكنت ارى الارتجاف البادي على يديه المعروقتين ، والابتسامة على شفتي علي بك ، وهو ينظر الي نظرة لا تخلو من غرور .

– اعطه ورقة يا علي بك ، وهذه الكتابة ايضاً .

ثم قلت للرجل ،

– ستكتب هذا ، فاجتهد على ان تكون الكتابة دقيقــة نظيفة . ولا تنفعل :

وتحركت شفتاه في انفراجة جامــدة هي بين الضحك والبكاء ، فبانت اسنانه التي تساقط بعضها .. جائعة .. صفراء ، قبيحة المنظر .

– ربما يكن .. فالانسان .. ينفعل بعض الشيء ...

– طبعاً ... طبعاً .

وتملكه شيء من الشجاعة وعاود التفوه ببعض الكلمات المضطربة :

– منذ وقت بعيد .. اي .. منذ خمسة .. لو ستة اشهر .. وانعدم استعمالي للآلة .. لا بد ..

وقبل خمسة عشر عاماً .. كنت قد ذكرت مثل هذا الكلام تماماً، وكان الرئيس المتعالي قد اعطاني ورقة بيضاء واخرى مكتوبة .. وكان المدير المتكرش البطن يقف عندي :

– لست اطبع منذ شهور ، ولعل يدي تستعيد سرعة الضرب .. بعد ايام قلائل .

وقال المدير المتكرش البطن للرئيس :

– لاحظوا الساعة عندما يشرع في الطبع .

... وكنت الآن اقول (لعلي بك) بدوري :

– انظر الى ساعتك .. كي يبدأ الصديق .

وتغير وجه الرجل ، ونظر الى اصابع يديه ، والى الآلة ، ومضارب الحروف .. والورقة التي امامه والاخرى المكتوبة .

ثم نظر الي .. والى علي بك : وارتفع صوت الآلة الكاتبة ينقل كل ما في اصابع الرجل من حذر ودقة : جاط .. باط .. جاط.. باط .

***

وفي اطراف اصابعي كنت قد وجدت (رزقي) اول مرة . كنت اكتب مثل هذا الرجل تماماً..ولم تكن عيناي تريان مضارب الحروف .. والكتابة .. والورقة ، ولا الذي يقف بجنبي .. والذي يجلس امامي .

كانت اذناي منجذبتين الى الصوت الصادر مــن الآلة ، الذي كان استمراره وسرعته دليل خير لي .

اني اعرف ما يخطر بذهن الرجل الآن ، فحياتي قبل خمسة عشر عاماً اعيشها الآن من جديد .. يداي ترتجفان ..

يقف عندي المدير المتكرش البطن، وامامي يجلس الرئيس المتعالي..

وعلى يساري ساعة الحائط ، وفي ذهني : خبز حار .. ووجه امي الاسمر الناحل، الذي تطالعني فيه احزان الحياة ، الوجه الذي يضحك لاول مرة منذ شهور . وبغتة .. ارى اخوتي الاربعة الصغار ، الذين لا يتعدى عمر اكبرهم العاشرة ، وشقيقتي الناحلة .. انها تنظر مثلما تنظر امي..وتبكي مثلها .. وتضحك .

ويرن في اذني صوت الرجل البدين:

– انتهى . اخرج الورقة !

وانتبه .. وانظر الى الساعة واقول للرجل :

– انتهى . اخرج الورقة .

شفتاه جافتان ، وعلى جبهته قطرات صغيرة من العرق ، وقلبي يخفق كما خفق قبل خمسة عشر عاماً ، عندمانظر المدير الى ساعته والى الورقة .. والي ، وقال :

– احضر غداً للعمل .

وكانت نفسي تفيض بالألم وتهتز انفعالاً وقلقاً ، فـــانفجرت عواطفي المكبوتة .. عندما اسندت رأسي الى الآلة .. ورحت اخفف من اضطرابي وألمي فأبكي .. وابكي في هدوء .

***

الرجل ينظر الي واقفاً امامي .. سيكف قلبه عن الخفقـــان ، وسيجلس ليبكي .. دون ان يعير (للاربعين) والرجولة اهتماماً .

ونظرت اليه وقلت :

— كتابتك جيدة .

على الرغم من انها كانت سيئة جداً ، لا بدايات للأسطر فيهـا ولا نقاط .. وفوارز . ولم يكن قد كتب ثلاث كلمات من سطر واحـد ، وقال الرجل :

— شيء من الانفعال .. فمنذ مدة طويلة ، وان لم تكن الكتـابة جيدة ، غير اني .. ستة عشر عاماً .. اكتب الحروف القديمة .. وماكنة الحساب ...

كان يعرف رداءة ما كتبه ، وعدم تمكنه من كتابة الاحسن،ولكنه كان يريد الخبز .

صوت المدير المتكرش البطن يرن في اذني :

— احضر غداً .. للعمل .

وانظر الى الرجل .. عيناه في عيني ، وكأنهما تهيبان بي أن اسرع في الكلام : (لم تقف هكـــذا ؟) .. (تكلم .. لأفرح قليلا .. لابكي قليلا . تعال غداً .. وابدأ العمل ، قله .. كي اسرع الى زوجتي، وأقبـل اطفالي . لابتاع لهم سكراً بالدين وجبناً وحلوى . قـل بربك ، احضر غداً .. وابدأ العمل !) .

ولم اكن استطيع قول ذلك ، والمسكين يعتقد بأن كل شيء يبـدأ وينتهي عندي .

ودق الجرس . واستدعاني معاون المدير ، وقال :

— كيف وجدته ؟

— يضرب جيداً على الآلة الكاتبة ، ويعرف استعمال ماكنة الحساب . وقد حل عملية حسابية بشكل صحيح . ثم انه يعرف الحروف القديمة، وقد سبق له العمل في الشركة الالمانية ستة عشر عاماً . والالمان كما تعرفون .. لا يستخدمون الا اصحاب الكفاءات . انه رجل مستقيم .. وله اربعة أطفال . وقد مضى عليـه خمسة شهور دون عمل ، ويمكننا استخدامه في وظيفتنا الشاغرة ، فاذا امرتم ... فليأت غداً .

ونظر المعاون في وجهي وقال :

- لأتحدث مع المدير .

— والرجل .. ماذا اقول له ؟

— قل له .. بأن يراجعنا بعد بضعة ايام !

— ......

— هل هناك شيء ؟

— كلا يا سيدي !

***

« .. اجل .. حسناً .. ليأت بعد بضعة ايام .. لأتحدث مع المدير .. لافكر .. أليس كذلك ؟ »

كان يتعذر علي افهام الموقف المعاون ، كما كان يتعذر عـلي ان اقول للرجل : راجعنا بعد بضعة ايام . وسننظر في امرك . لانه كان ينتظر مني ان اقول : احضر غداً .

وكانت اسارير وجهه قد طفحت ببشر مفاجيء عندمـا قلت له بعد ان عدت الى غرفتي :

— احضر غداً .. لأبدأ بمعاملاتك ، وما يتبقى بعد ذلك فأمره يسير!

كركوك — العراق **ترجمة سنان سعيد**

بحث الشهر

الإنسان في التاريخ

بقلم محيي الدين محمد

ان تاريخ الحضارة ليس الا مجموعة الرفوض ضد تبرئات الاخلاق، والدين، والعلم.. ليس الا التنحية المستمرة لانسان الفصيلة، كما يتحتم على انسان الوعي ان يثبت قدراته.. وليس عمل المؤرخ اجتذاب ادلة تعين الخط الهابط الذي حفره لانفسهم بشر السلالة، وهم من ظنوا ان معنى التقدم ليس الا محض الارواء المتدفق لعطش الفقراء ورغبتهم الثاوية بالاثراء. ان عمله يكمن في الحصيلة التي يخرج بها ازاء تطور الانسان الاقتصادي والاجتماعي.

.. اما الانسان الوعي فقد ترك لهمه في ان يجتذب لنفسه الف دليل على بؤسه، وفقدانه الصارم لكل امل، وكان بامكانه ان ينام ليله رخياً هانيء البال.. فيما لو ترك لرغبة او رغبتين ان تحكماه، وان تعطيا لحياته معناها.. ولكنه كان اكثر نظافة ونضوجاً من ان يدع الاشياء الصامتة تعلو فوق مستواه الوجداني: لقد رفض احبولة التقدم التي هيأها له بشر اعطوا للاشياء معنى فوق معناها، ووافق ان يثبت في مقدمة قضاياه مشكلة الحرية الانسانية.

.. فاذا كان عمل المؤرخ هو تنظيم ردود الفعل التي قامت بتأثير جمود الاشياء امام تقدم الانسان، بصورة تطور عجيب فان جهودنا نحن بالبحث عن [الانسان] في غيم الاوضاع الراهنة، ليس الا رفض انسان السلالة الذي يهم المؤرخ، وقنص انسان الوعي الذي يُنحّى باستمرار.

كان الفكر، على مر العصور، يجتذب لنفسه [انسانه المطلوب] من معكوس الانسان [كما هو] ونقيضه.. فلم يكن يسمح لاهواء الانسان العادية ونزواته ان تكون عنصراً داخلاً من تكوين انسانه في واجب وجوده. ولم يكن غريباً بعد هذا، ان يصبح هذا الانسان (المطلوب) مجرد دعوى قائمة في اذهان مبتكريه.. بينما كان البشر العاديون يسبحون في تيارهم الرتيب، رافضين ذلك الانسان (المسلاة..) والذي ظل يشنق في عقل كل مفكر.. على مدى الزمان.

***

الانسان المطلوب في العصور القديمة.

لم يستطع البشري المؤلف من غرائز وعضلات وروح أن يعيش حياته بدون مثل.. فان تأملاته التي فرضت عليه فكرة انه المخلوق الاسمى في هذا الكون، جعلته يحاول تنمية فكرة الانسان السلطة... والمسيطر على كل تلك الصحارى والاقطار... بما فيها من حيوان ونبات وصخر...

وساعدت الميثولوجيا الشعبية المتمثلة في اغاني الشعراء المتجولين واساطيرهم في خلق ذلك الانسان البطل، سليل اولئك المردة من رجال (هيلاس) الذين سقطوا تحت أسوار طروادة... وكان لا بد من خلق ذلك الانسان – كما هو في الالياذة والاوديسة والرامايانه – لان فكرة (النموذجي) قد تطورت في البشر، فبعد ان كانت (الوحش الاكثر توحشاً) اصبحت (الانسان الاكثر إنسانية) ١، فنظر بالتالي الى امكان خلق الفرد الذي يعلو على الفردية، الانسان الذي يخطو بعيداً عن التمثل الحيواني، رافضاً غريزته التي تدفنه راغماً بجوار (وحيد القرن، والفهد الهندي الاسود). فاذا كانت حياة البشر لا تختلف عن حياة الحيوان فوق هذه الارض، فلا بد من وجود (فكرة) ترقى بهذا الانسان العاقل – والذي يفوق الحيوانات ادراكاً – من بربرية وضعه الى وضع آخر يتفق ومركزه.. وخلق الانسان العجيب: هرمس. اجاممنون. اخيل. اجاكس.. الانسان الخرافي، البعيد عن التعين.. والذي ليس الا قريباً للاله، وكان مستحيلاً ان تلغى عن هذا الانسان كل غرائزه، اذ كانت الآلهة نفسها تسكر، وتحب، وتخطف العذارى..

واضطرت الثقافة تحت إلحاح المعقولية ان تبحث عن إله جديد، سكن في (مُثل) إفلاطون: فهو لا نهائي، وهو فكرة خارجية تقابل التخيل الداخلي، وقد اضطر الى فصل العقل عن المادة، لاستحالة الجمع بينهما في

---

١ يرى (تايلور) خطئاً، ان الاستحياء Animism هو اصل الاعتقاد بالاساطير والآلهة..

جوهر واحد ١ . فوجد الاله الفكرة ، وبجانبه المادة وحدها ، وكان يمكن للثقافة ان تفترض الهاً خارجياً يمزج بين الفكرة وبين المادة التي عزلت . ولقد رفض (افلاطون) الانسان العادي في جمهوريته (الانسان الاناني - الساذج - الغريزي - الحيوان) ودفع في اول قائمته بالانسان الفكر المجرد ، الفيلسوف ، الباحث عن جوهر (جوبيتر).. ولما رفض الانسان العادي اصبحت الوسائل الطبيعية الوصول الى الانسان الفكر غاية في التعقيــد ، فقد صلب في صميم الصحراوات والكهوف ، واصبح التأمل في الكواكب وما وراء المظاهر قانوناً لتعطيل مواهب الانســان الحي وجعله مثلية . وكان مستحيلاً ان يصل البشر العاديون لهذه المرتبة : رفض العالم .. وابتعد الانسان الفكرة عن الانسان الحي ..

وسنلاحظ فيما بعد ان ظهور الابيقورية ، والتي ليست مرحلة الا لانها مجرد رد فعل ، كان ضرورياً بالنسبة للمحنة السابقة ، والتي حاولت الوقوف على قدم واحدة باثارة فكرة الروح وحدها ٢ .. ان ما هو صميمي في الانسان لا يستطاع مجرد رفضه ، وازالته على اساس فكرة او سواها .. وقد أنبأنا (بونافوس) ٣ فيما بعد ، ان (تاييس) كانت بالنسبة له كل شيء ، فهي الفكرة ، وهي الغريزة ، وهي المادة ، وهي الروح .. وقد فطن المسكين الى هذه الحقيقة في اللحظة التي كانت تموت فيها.. فهل يستطيع وقف الزمن ..؟!

كان مستحيلاً اذن ان ترفض القوة المستمرة الحميمة في الانسان، وبقي اولئك النفر الذين اختاروا العزلة الصـــارمة ، في قلب صوامعهم يجترون افكاراً معادة ، لا حلول لها ، ويخالقون نظرات غيبية فيما وراء الطبيعة، ولم يصلوا للانسان الرب .. الذي كان مختفياً باستمرار في نفوسهم الداخليةولم يكن يظهر لهم الا عندما تثار قضية الحرية ..

وقد عمدوا الى اختيار الانسان الجسد ، لفترة ضئيلة جداً في التاريخ ، ولكنها اخرجت لنا الانسان (الردة) الحيوان .. والذي لم يستطع تحمل عبء انسانيته ، فحـــاول بث معنى وجوده في محض شبعه الجنسي والعضلي ..

وقد استقبل ذلك الانسان في تلك الفترة اللاهبة من التاريخ أسوأ استقبال ، وكشط من قائمة البشر النبلاء.. لانه – اخيراً – لم يكن سوى ابن عم للأورانج اوتان ..

***

الانسان المطلوب في العصور الوسطى .

لما رفض انساناً الروح والجسد ، ادارت الثقافة رأسها كيما تخلق قبلة جديدة وفي نفس الوقت كشفت قانوناً هاماً : ان الانسان المطلوب لا بد ان يكون قريباً جداً .. بين انسان (افلاطون) المبعد في السماء، وبين

١ قصة الفلسفة اليونانية : احمد امين . زكي نجيب محمود .

٢ رأى الابيقوريون ان كل ما هو حسي اساس للحقيقة في العالم ، اما الجانب العملي من الحياة فقياسه الشعور باللذة والالم. وقالوا بأن اساس السعادة هو التحرر من فكرة الخوف،ولا يوصلنا لهذاالتحرر الا ادراكنا لميكانيكية هذا العالم المادي ؛ فليس هناك مـــا هو فوق طبيعي ، وفوق انساني ، وليس البشر في هذا الوجود الا الحرية بعينها وليست الاخلاق عندهم الا اللذة فهي غاية الانسان ، وهي وحدها الخير . اما الالم فهو الشر الذي يجب تجنبه .. (المصدر نفسه) ولم تكن هذه الفلسفة الا رد فعل مباشر ضد فرط جمود الاخلاق عند الرواقيين ، وافلاطون خاصة ..

٣ من (تاييس) لاناتول فرانس .

انسان (ابيقور) المنحط في الارض ..

وكان لا بد للثقافة ان تهيىء ديناً آخر ، يصبح ابطـــاله ثبوتاً في السموات ، مجرد فكرات غير متعينة ..

ووجد الدين الجديد : دين الرب الجالس على عرشه السرمدي ، دين الملائكة المجنحين ، دين الاساطير .. والذي اعتمد على خيال الانســان الرعديد كيما يثبت قوائمه : فكيف نثق في خضوع البشر اذا لم تكن هناك اقطار تغرق ، وحضارات تصيبها الصاخة ، ومدن يبيتها الطاعون! .؟ ولم يكن البشر بحاجة الى كل تلك الخوفات ليدخلوا ذلك الدين افواجاً ١ .. فقد عمدت الثقافة لتهيئة فردوس غير ارضي ، واختيرت رغبة انسانية بعناية فائقة .. هي رغبة الخلود ، ووشيت جيداً ، ثم دفعت في وعي البشر : «إما خلود في جهنم .. واما خـــلود في فردوس .! » وقد كان هذا كافياً لخلق الانسان في العصر الوسيط .. لم يكن هذا الانسان الا عبودية كاملة . لم يكن روحاً ولم يكن جسداً .. بل كان رقيقاً .. اصبح الانسان الذي كافح كل تلك السنوات كيما يثبت حريته ، عبداً مرة اخرى في سبيـــل وشاية عجيبة.. ذلك الانسان الذي حارب في ارضه لمنع فضول الهكسوس والمغول والحثيين والبربر ، يصبح الانسان الخاشع الذي تستعبده كلمة ..

وقد احنى رأسه لفكرة تقول بأن اختياراته [حتى اختياراته] ليست الا بأمر ذلك الكائن المتوحد في قلب كل شيء : لقد سلبوه حريته المرة الاولى ، ولبث حائراً : اني اقف هنا ، على الساحل .. واترك مائة من سرطانات البحر تمر .. ثم اختار بمحض مشيئتي السرطان الواحد بعد المئة ثم اقتله برمية حجر ..

لقد اخترت انا .. فما دخل الله في هذا الامر ٢ .؟!

وكان واضحاً ان القضية تزداد سوءاً ، وكانت الردود على مثل هـــذه الاحجية وسواها غير مفحمة ، ولا منطقية .. ولكنها بررت تبريراً سقيماً : فان ما هو عقيدة يجب ان لا يناقش بالمنطق ،وفصلوا بهذا الشكل الحاسم بين الايمان والعقل..وكان هذا سبباً لنشوء ثقافتين ، احداهمالاهوتية تتصل بعلم الله ، والاخرى علمية تناقش وتنظم وتكشف اسرار العالم الارضي .

ولما سيطرت الكنيسة على الدولة ، بدأت في قمع كل حركة فكرية٣، بوسائلها الوحشية ، وقد راح ضحيتها [كوبرنيكوس . جاليليو . كبلر] وهم من شاركوا مشاركة اكيدة في دعم صلتنا بالكون وبالتاريخ البشري وفي التقدم العظيم الذي بلغته الانسانية من تلك المرحلة الدقيقة من التاريخ.

١ كان تعذيب الاباطرة الرومان للمسيحيين من الاسباب العظيمة التي هيأت لذلك الدين ثباته ، وقد قورن بين فجور تلك الحضارة ، وبـــين الحب الذي يدعو له هذا الدين ، ولم يجد البشر امام هذه النظرة التي تبشر بطعم للحياة جديد ، الا حقيقة راسخة يجب الصراع من اجلها .. وقد كان وجود (القديس بطرس) صاحب المسيح الاثر القوي في دعم الدين الناشيء (حرية الفكر . ج . بيوري) .

٢ المصدر السابق نفسه .

٣ « القتل .. القتل او الكثلكة، وبين صيحات السباب والانتحاب اخذوا يشنقون الناس ، رجالا ونساء .. من الشعر ومن الاقـــدام ، على اسقف الغرف او منحنيات المداخن ، وكانوا يعذبونهم باستنشـــاق دخان القش المبلول ، وينتفون شعر اللحى والرؤوس ، وكانوا يلقون بهم في نيران اشعلت خصيصاً لهذا الغرض ... »

ص ٨٥ (ازمة الضمير الاوروبي) بول هازار – الكاتب المصري .

لقد حاول اولئك الرجال فك اسر العقل البشري من مخالب محاكم التفتيش ، ومن اضحوكة صكوك الغفران ، ومن احابيل اولئك الذين امتهنوا حرفة الكهنوتية فاثروا من ورائها ، واقتنوا الضياع وتناولوا طعامهم في صحاف الذهب ..

حدث كل ذلك بتأثير تلك القضية: فصل الايمان عن العقل. وقد اضطرت الثقافة بعد اعادة البحث من جديد ، لان تلقي نظرة فاحصة على قيمتها السابقة ، وخاصة بعد اثارة قضية حرية الانسان ، وبعد ان اصبح للعقل كل السيطرة ، حتى انه بدأ في مناوشة العقيدة ، والحط من قدرها ..

كان الانسان المطلوب في ذلك العصر ، فرداً لا يمت بصلة للبشر ذوي التاريخ المتطور ، كان مخلوقاً اختص بالعناية الالهية . وقد بنيت الكواكب والحجارة والشمس والبصيلات لتسخر في خدمته .. وقد كان المسكين بحاجة لهذه الحجة كيا يثبت من كبريائه .. وقد علموه ان لا معنى للتطور وانه قد خلق هكذا منذ البدء ، بسحنته ، واعصابه ، ولحمه .. وقد كان لهذه القضية وجهان: احدهما المعنى الظاهري ، والآخر هو المعنى الدفين : ستظلون هكذا ، ولن تصلوا لمرتبة اسمى .. دونكم الارض والسماء .. فلا تحاولوا الوصول لله .. لا تحاولوا ..! وقد كبت البشر فضولهم ، واحنوا رؤوسهم ، وبعثروا جهودهم في محض تقديس السر الالهي قابعين في سكون الصحراوات الاليم ..

.. لم يكن امام الانسان الحقيقي الا ان ينسحق تحت هذه الوطأة المنيفة ، ان يلبث في جوده الميت .. منتظراً ان تلتفت نحوه الثقافة مقيمة له هدفاً آخر .. وقد بنيت فكرتا الخلاص والزهد السماويتان ، على ان يرفض البشر العالم ، آملين في طهر العالم الاخر .. وقد قابت البشرية شفتها السفلى محتقرة كل (زيف) الارض المتمثل في الحياة الطينية الثرية ، وفي اجتناب رفض ما هو انساني كأحكام الغريزة الجنسية ، وفي التمتع بكل جمال العالم كما هو ..

وخلق الانسان (النسخة) اي ذلك المتكرر ، والذي تعطى لحياته معنى ، تلك الخطوط البادئة بحركة (النهي) : لا . ! لا تفعل . لا تزن . لا تسكر . لا تمش في الارض مرحاً ..!

اخيراً .. لقد وجد الانسان تلك العصا التي تخزه وتدفعه وتسيره ، وترتب له حظوظه ، ثم تعاقبه في النهاية .. ولم يفطن المسكين لمنتهى التناقض في هذه القضية اليسيرة . فلو كنت مسؤولاً عن حياتي – وهذا وحده يعطي المعنى لعقاب الله لي – فذلك لانني حر .. فلو كنت في الحقيقة مالكاً لهذه الحرية ، في التصرف بقدري الخاص .. فما هو عمل الاله .. وكيف تسبق معرفته لافعالي ونواياي ؟!

وبقي الانسان النسخة حبيساً في صومعته ، حتى اطل بصيص خافت من نور اولئك الذين صلبهم واحرقهم ومثل بجثثهم ، وكان مستحيلا ان يوجد الانسان الطاهر البريء في وبال هذا العالم الحيواني ..

وكان رفضهم للعالم الارضي سبباً كبيراً في ان فئة ضئيلة من (العقلاء) رسخت هذه التعاليم ناشرة اياها على اوسع نطاق ، لانها كانت الفئة الفريدة التي استفادت من هذا الوضع العجيب .. وجعل البشر يتشبثون بمحاولة ظاهرة الفساد : ان يصبحوا في براءة الانبياء .. محاولين في يأس وصلابة بتر عواطفهم ونزواتهم وشهواتهم ، وقد باءت محاولاتهم المتكررة لاثبات امكان وجود مثل هذا الانسان بالفشل الكامل ..

لم تكن النتيجة الخارقة والتي حدثت عقب فرض الانسان العقائدي على الضمير البشري ، الا لازمة عنيفة لكل ضغط فوق حرية البشر ،

وقد اضطر رجال الكنيسة الى افتراض خوارق غير طبيعية كيا يوائموا بين العقيدة والعصر العقلي الذي بدأ في فتح اذنيه واستعمال منطقه الخاص .

فقد ظهر رجال من أمثال (جاليليو . كبلر . هالي . برادلي) كي يفحموا انسان العقيدة . وفي الوقت الذي بدأوا فيه صنع تاريخ جديد للبشر ، كان انسان العقيدة يؤمن بأن الارض هي الـ Hosp Kurper أو الجزم الرئيسي في الكون[١] ، وان النظرية الجديدة للفلك (كوبرنيكوس) تناقض التنزيل[٢] ، وان الله لغرض يخفى علينا قد خدع المفكرين خديعة كبرى بأن خط على لوحة الارض كل مظاهر النشوء خلال عصور متطاولة من القدم ، بينا في الحقيقة قد خلقها خلال ستة ايام لا غير ، كل منها نهار وليل[٣] ، وان السماء قبة زرقاء من معدن صاف وان فوقها شيئاً كحوض الاستحمام يقطر الماء الى الارض[٤] ، وان ثرى فلسطين تفيض لبنا وعسلا[٥] ، بخلاف من يرى انها ارض بور جدباء ، وقد اجبرت (طائفة السوربون اللاهوتية) عالما – كان قد بدأ يقرر اوليات جيولوجية بسيطة – ان يكتب انكاراً مشينا في كتابه : « اني ارجع عن كل شيء جاء في كتابي خاصاً بتكوين الارض ، وعلى وجه عام كل ما يمكن ان يكون مناقضاً لقصة موسى[٦] ..» وان الله (لوى) الطبقات الجيولوجية وصدعها ثم امالها وعقصها بعد ان نثر في جوفها وخدش في ظاهرها خدوشاً تمثل المجاري الجليدية ، ثم امر شلالات (نياجرا) بان تنصب بكل ما فيها من قوة . كل هذا في غمضة عين .. لغرض لا يمكن تعليله ، ولكن ليظهرنا على جلاله[٧] ..» ولما اصبح عدد انواع الحيوان يزداد اثر كل اكتشاف جديد ، فقد اخذوا يوسعون من حجم سفينة (نوح) يوماً بعد يوم[٨] ..

وقد بان منطق العقيدة المتناقض ، عندما سلم الماء كأصل للكائنات : الاصحاح الاول من سفر التكوين اية ٢٠ واولها « .. وقال الله لتفض المياه .. » ثم عادوا وآمنوا بأن الارض هي الاصل في الخلق : الجزء الثاني المعروف باسم (الرواية الهووية) في الاصحاح الثاني آية ١٩ : « .. وجبل الرب الاله من الارض كل حيوانات البرية ، وكل طيور السماء[٩] ..»

وكان واضحاً بعد ان رسخت اصول نظرية التطور ، ان العقيدة اصبحت في مأزق ، ثم تجدنا امام منطق جديد : ان المرء يمكن ان

---

١ هذه الفقرة ، والفقرات التالية لها ، والمرقة هي من كتاب (الدين والعلم) والذي وقع بيدنا عارياً عن اسم مؤلفه ..

٢ (بوسيه) اسقف مو .

٣ (جوس) في سبيل التوفيق بين الجيولوجيا وسفر التكوين .

٤ الراهب المصري (قوزماس انديكوبليوسيتس) .

٥ في سنة ١٥٥٣ حوكم (ميخائيل سرفيتوس) لانه طبع نسخة من كتاب (جغرافيا بطليموس) تكلم فيها عن ارض يهوذا ، وذكر انها ارض بخلاف ما تقول التوراة ، جدباء وعاقر .

٦ (بافون) .

٧ قيل عن حيوانات بعض الحفريات بأنها تصاميم لحيوانات سوف يخلقها الله في المستقبل .

٨ اثبت علم (الزولوجيا) ان عدد الانواع التي تعرف عن الحيوان يزداد يوماً بعد يوم .

٩ استقيت هذه النظرة من النبع البابلي عن طريق اهل فينيقية .

يكون نصرانياً وداروينياً في نفس الوقت ١ » وكان هذا هو القول الفصل ، بان انسان العقيدة قد انهار ، وان مشكلة الخلق قد وجدت لها فروضاً اخرى اشد منطقية وثبوتاً .. واخذ العلم ينال انتصارا بعد آخر ، وبظهور (نظام الكون العقلي) لكادورث ، وبكشوف (هرشل وفرونهوفر) وعلماء الارخيولوجيا ، والباحثون في السادات القديمة كجورج سميث وسايس وجنسون ٢ ، تمكن الانسان في العصر الوسيط ان يلقي نظرة اشد فحصاً لما كان يؤمن به من قبل .. واصبحت اسطورية ما كان يعتقده سبيلا كي يدعم النظرة الجديدة في الكون ..

فقد تراجع هذا الانسان الصادق عن فكرته الاولى ، واقام تمثالاً (لكوبرنيكوس) وفي مايو سنة ١٨٢٩ اجتمع جمهور عظيم من (فارسوفيا) ليدشنوا التمثال ٣ .

ولما ثبت اخيراً صدق (جاليليو) اصبحت الكنيسة في وضع خطير وزلق ، حتى نهض (ماريني) ليبث اكبر ضلالة في التاريخ : ان جاليلو لم يحاكم لهرطقته .. بل لقلة ادبه !!

وكان واضحاً من تراجع العقيدة ٤ هذا التراجع السريع ، ان الثقافة تمهد لخلق قبلة جديدة ..

وما تكون .. غير العلم .. والذي ساهم مساهمة قاضية في اثبات حق العقل الانساني ؟!

الانسان المطلوب في العصر العقلي (ما بعد الوسيط) .

لما تهيأت الاسباب لجعل المنطق العقلي قيمة ثابتة لكل علم ، نظر الى الانسان في الكون ، بعكس نظرة (بوسويه) والتي يضمنها مؤلفه (ابحاث في التاريخ العام) والذي قال فيه : « إن الارض لم تخلق الا للانسان .. » ، اي اصبح الانسان المتطور من الارض .. هو الحقيقة التي انشأت نفسها في العالم متخطية بنفسها سلالة الحيوان ، وجنون الغريزة .. واصبح يطمح في امساك الانسان الادراك ، انسان العقل المطلق ، والذي شغلته هذه الفكرة فرفض لزمن طويل كل بواعث الحياة الزخمة ، وعطل روحه في جحيم الصبار والرمال ونخوم النجوم (عندما اصبح متصوفاً) وقد حاول في هذا العصر الجديد إلغاء نفس الانسان الذي طالبت العقيدة بالغائه : الانسان النزوة .. وقد هزءا لوقت طويل ، تلك الانتصارات الرائعة التي أثبتها رجال امثال (لالاند . ألفونسو اوف كاستيل . فوكل . نيوتن) .. واصبح لها الحق ان تقيم انسانا جديداً على حساب الانسان السابق ، والذي أصبح مرفوضا بالمرة ، فملئ تناقضات القيم القديمة وسخ البشر الجدد اقدامهم ..

كانت الميتافيزيقا القديمة ، تبدأ من الله نازلاً حتى البشر ، واصبحت الميتافيزيقا الحديثة بتأثير (ديكارت) تبدأ من الذات صعداً حتى الله ، من الفكرة الى الروح .. من الانا الفردي الى الانا المطلق . وكان واضحاً ان ديكارت ، مع تقدمه الرائع لم يثبت في الحقيقة الا وجود الأنا الفردي ، فالحقيقة عنده تنتهي عند اول شطر (الكوجيتو) : افكر .. فانا اذن موجود .. وعلى هذا فكل استنتاج يأتي بعد هذه الحقيقة زائف وغير صحيح ..

رُفض الانسان الجسد ، كما رفض الانسان الروح ، وخلق انسان العقل ، نتيجة لذلك التقدم الهائل الذي فرضه العلم ، وظُن تبعا لهذا ان نظريات (نيوتن وفاراداي) في طريقها الحاسم لحل لغز الكون .. ولم ينظر الى جسد الانسان الا كوسيلة لمرور (فكره) في التحقق الزماني والمكاني ، وبرز انسان (روسو) الذي اصبح له (الحق) في امتلاك حرية عجيبة .. « فحرية الاخلاق هي الوحيدة التي تجعله سيد نفسه ، فان في اتباع النزوة عبودية ، في حين ان طاعة القانون ، هي الحرية .. ١ »

وقد اصبح الانسان (الروسوي) موهوباً للدولة التي تضع في يده حريته على شروط .. واضحت الدولة هي (العقل) تبعاً لنداء «روبسبير» فكل ما هو لا عقلي ينحى ، اي كل ما هو غير منطقي فهو مرفوض ، وسُخر بالفلسفة القديمة ، وخاصة (افلاطون) . ان المذهب العقلي في الحقيقة يبدأ مع (ديكارت) الذي ينتصر له تلامذته (مالبرانش . سبينوزا . ليبنتز) ويطلق عليه (بوسويه) « الدعامة العقلية للعقيدة المسيحية .. » . لقد رفض (ديكارت) الميتافيزيقا الاسطورية كما كانت ، وجعلها « تابعة للطبيعيات ناشئة عنها » ٢ ، وكذلك فانه يمهد المطلق كيما يعطي العقل الانساني فرصة ايجاد الحقيقة . لقد فكر (ديكارت) كما فكر (بيكون) في عصر العقل الانساني « عصر الصناعة والآلات والتقدم العلمي .. » ٣ وكان الانسان الحق في نظره ، هو طالب العلم والفضيلة معا ٤ ، ذلك الانسان المستحيل ، القريب من انسان كونفوشيوس الذي عذب الشرقيون انفسهم لادراكه ..

وقد اصبح الكوجيتو نصاً حقيقيا للادراك ، ومنه نفذ (ديكارت) للميتافيزيقا الحقيقية .

ان الادراك العقلي لا يهتم الا بالعام ، بالافكار الكلية التي يؤمن بها العقل كله .. الانسان حيوان مفكر مثلاً .. وليس حيوانا (ابيض) لان البياض صفة خارجية ، تتبع المظاهر البيولوجية والجغرافية ، ولكن حقيقة الفكر ملموسة في كل انسان ابيض أو اصفر او اسود باختلاف البيئة والفسيولوجية .. اي ان جميع الاحكام الخارجية حقائق ثابتة منفصلة عن النسبية الانسانية منفصلة عن ميزة التفرد الانساني التي تضع حقيقة خاصة لكل فرد .. «حقيقته الذاتية» .

ان العقل لا يهتم بزهرة اللوتس الفردة ، والتي وجدت عند ضفاف جزيرة (الوراقين) على النيل ، والتي أنبتتها ظروفها الخاصة .. والخاصة جداً ، وهو لا يهتم بزهر اللوتس كله .. ان غايته تكمن في (النبات)

---

١ قال (جيمس ماكوس) بأن كلمة اللاهوتيين التي تقول بأنه اذا ثبتت صحة نظرية داروين فان النظرة اللاهوتية تموت .. لا يجب ان تنشر في الناس لخطرها ..

٢ حل هؤلاء الرجال رموز كثير من النقوش التي عليها من مكتبة (آشور بانيبال) من مدينة نينوى Nineveh ووقفوا على رواية في اصل الكون تطابق الاقاصيص التي ذكرت في سفر التكوين .

٣ نعم .!! كان (ثور والدسون) هو صانع التمثال ، وصانع فكرته ، ولكن تجاوب البشر العظيم كان رمزاً المغفرة يصدره الاف الناس الذين ساهموا بصمتهم ، وسكوتهم من تعذيب (كوبرنيكوس) وقد قدموا من كل اقطار الارض ليشهدوا ذلك الرجل النبيل الذي استحال صخراً ، بعد ان احال (صخرته الخاصة) .. حقيقته .. الى علم عام ..

٤ « ان السواد الاعظم من القوم المصريين يعتبرون الكنائس متاحف للديانات الميتة ، وموقف السائحين الذين يزورون اوروبا يدل بوضوح ، كيف ان الاحساس الديني قد استؤصل تماماً من الحياة المصرية ..» [الانسان ذلك المجهول (كاريل) ترجمة شفيق اسعد فريد ص ١٦٥] .

١ جان جاك روسو (العقد الاجتماعي)

٢ ، ٣ ، ٤ (قصة الفلسفة الحديثة) احمد امين . زكي نجيب محمود.

ككل .. في (الإنسان) مثلاً ، لا في (حسين التهامي) ، والذي هو سلسلة طويلة من عذابات اجداده وآمالهم،وضغط المحتكرين والاستعماريين على مصنعه لدبغ الجلود ،وحبه الجارف لرائحة البترول ، وغرامه الجنوني بالنكات الجنسية .. ان هذا الفرد يشجب ببساطة ، ويبحث في امكان حشره مع البشر الآخرين ليصبح واحداً له نفس خلال (بول وراغب وجيمس) ، أليس مؤلفا من نفس الغرائز ؟ أليست اذنه بنفس تعاريج الآذان الاخرى ؟ أليس له شارب ؟ وعلى هذا فان كرهه لابيه ليس الا (عقدة اوديب) * بدون ادنى شك !

ولما ضغط البشر في احكام الضرورات الوراثية والحتمية التي تضع لهم قالبهم المعين.. ابصرت الثقافة بالفخ المنصوب ، وعدلت في اللحظة المناسبة عن اتخاذ قرارها التاريخي .. وهو : وضع العقل كقيمة مطلقة .. وتلفتت تبحث عن مطلق جديد .. لايعزل عن الفرد فرديته ليقيم دولة افلاطون، وروسو ..

كان مستحيلاً فرض (الانسان العقلي) على البشر .. فقد اخذت حقائق (نيوتن) و (اقليدس) تتوارى ، وتبحث لها عن اركان مظلمة ، فقد تناول البشر المحدثون (الهندسة القديمة ، ونظرية الجاذبية) وبحثوا ونقبوا حتى فطنوا اخيراً الى حقيقة رهيبة : « إن من الواضح ان عين الانسان المحدودة لا تستطيع ادراك كل الموجات الموجودة في الطبيعة ، ولما كانت معلوماتنا عن الكون تعتمد على الحواس الناقصة (حكم العلم التجريبي) فان ادراكنا للحقيقة الخارجية كان ناقصاً ، فازدادت الهوة بين الانسان والكون بتأثير تلك النظرة الخاطئة ، وهي الاعتماد على حواس الانسان وعقله ١ . » وقد تقهقرت هذه النظرية التجريبية في بدء سنة ١٩٠٠ عندما وضع (ماكس بلانك) النظرية الكمية والتي اعتمدت على الرياضة المحضة (اي الحقائق الخارجية التي لا تفترض عقلا لايجادها ، فهي موجودة سواء فكرنا بها ام لم نفكر (٢ + ٢ = ٤) وقد تناول (بلانك) ومن بعده (انيشتاين) الرياضة القديمة ، اي هندسة اقليدس ، وجاذبية نيوتن – واثبتا ان الاعتماد على عقل الانسان الناشيء وحواسه بمداها الضيق قد هوى بالحقيقة الى واد سحيق مما اضطرهما الى اتخاذ الارقام المحضة – الخارجة على العقل الانساني ، وان كان نفس هذا العقل هو الكاشف لها – وسيلة لتتبع الحقيقة ..

« وقد ثبت ان النظرية الكمية ٢ ، ولو انها تحدد بشكل دقة ، العلاقات الرياضية التي تربط الوحدات الاساسية للاشعاع والمادة الا إنها قد زادت الغموض في معرفة الكون ، وقد مال معظم علماء الطبيعة الحديثين الى الاعتقاد بانه لا تمكن معرفة حقيقة اي شيء .. ان العلم لا يستطيع الا اثبات مشاهدات ، وان الفاصل بين الانسان والحقيقة قد اتسعت فجوته ، وذلك بعد ان اتضح عجز حواس الانسان . ان الطبيعة الكمية تهدم اساسين من اسس العلوم المعروفة منذ زمن ، هما اساس التعليل واساس التحديد .. وذلك لاننا اذا اعتبرنا الاحصائيات والاحتمالات ،نجد ان النظرية الكمية تبتعد عن كل رأي يقول بأن طبيعة الاشياء تتبع فكرة السبب والمتسبب ٣ ...

* اقام (فرويد) علم النفس ، على ان يكون منطقا عاماً ، تنطبق احكامه على كل البشر .. وقد اصبحت هذه النظرية مشكوكاً في صحتها ..

١ ، ٢ ، ٣ من الكتاب الهام جداً (العالم وآنيشتاين) ترجمة (عاطف البرقوقي) سلسلة اقرأ . العدد ١٥٤ ٢ من المعلومات المعروفة للجميع ان الاجسام عندما تسخن تتوهج وتبعث اشعاعاً احمر ، ثم اذا ارتفعت درجة الحرارة بعد ذلك ، فان لون اللهب يتغير الى برتقالي ثم الى اصفر ثم ابيض . وقد حاول العلماء محاولات مضنية خلال القرن الماضي لاستنباط قانون يبين العلاقة بين الطاقة المشعة من الجسم الساخن وبين طول الموجة ودرجة الحرارة . وقد فشلت جميع المحاولات حتى وفق العالم (بلانك) الى ايجاد معادلة رياضية تتفق مع النتائج العملية . واغرب ما في معادلته انها اسست على الافتراض القائل بأن الطاقة المشعة تنبعث لا في ينبوع متصل ، بل في وحدات متقطعة كل وحدة منها تسمى « كا » .
٢ و ٣ المصدر نفسه ص ٣٨/٣٧/٢٦ .

ان عصر العقل يثبت فشله ١ ، فليس من حقيقة عامة يستطيع ان يملنا اياها ، وقد اكتشف البنسيلين ، والاورانيوم ، وشق قلب الذرة ، ولكن البشر لا يعلمون عن الكهرباء الا انها وسيلة تتخذها الاشياء .! وان الجاذبية ليست الا قوة تحددها هندسة المجال الخاص لكل جسم في الفضاء .! وقد خدش سطح الارض ، وتكون بهذا علم الجيولوجيا ، واستنبطت اهم معادلة تاريخية في حياة العالم وهي ان (الطاقة = ك×س٢) ولكن ما زالت دفائن واسرار مطمورة على بعد مخيف من قلب الكون، والارض نفسها . مجهولة ومطلسمة .!

وقد ينجح البشر في الكشف عن كل خفايا الارض٢ ولكن بعدم الدائم عن اكتشاف حقيقة جوهرية واحدة ، سيثبت لهم ان لا شيء يسبب هذا الفشل الا اعتمادهم على احكام العقل القاصر ، ومقاييسه الضيقة والتي وضعت كي تتخذ لعالمنا هذا الارضي : ان العقل في الحقيقة ، لا يعطي للبشرية الا (الكشف) . انه يلقي بضوئه على ظواهر الاشياء . انه يسأل : كيف صنع هذا الشيء ؟. وينسى الاستفهام الصميمي : لماذا صنع هذا الشيء . وهو انما يضيف للطبيعة ، يلهث مسرعاً خلف المجرى الضيق الذي اتخذته لنفسها اوضاع الاشياء .، وهو لا يستطيع ان يبتكر شيئاً .. ومعظم (ترقيعاته) لا تسهم مباشرة في جلب السعادة للبشر ..والا .. فما هو في الحقيقة ذلك الاثر المباشر الذي صنعه (قانون جاذبية نيوتن)في (وانتنج) الفلاح الصيني الذي يزرع الارز في وادي اليانجتسي .؟ ما الذي افاده (الله جابو) صانع الفخار السوداني من نظرية حيود الضوء .؟

ان العلم يبتعد رويداً عن الواقع الانساني ، وسيصل قريباً الى مرحلة الميتافيزيقيا القديمة ، ويصبح تطبيقه على واقعنا الارضي مستحيلاً . ومغالى فيه ..

وبذلك رفض هذا الانسان ، سليل اولئك الابطال الذين نحوا انسان العقيدة .. وانشأوا انسان النور .. ولكن .. اليس قفص الذهب ، او

١ « ان فشل علم الصحة والطب حقيقة غريبة . فعلى الرغم من التقدم الذي احرزته والتهوية واضاءة المنازل وعلم التغذية والحمامات ، والالعاب الرياضية ، والفحص الطبي الموسمي ، وزيادة عدد الاطباء الاخصائيين زيادة كبيرة ، فان يوماً واحداً لم يزد على الحياة البشرية » الانسان ذلك المجهول ص ٢١٤ .

٢ ان حضارتنا الشرقية لم تزل في الحقيقة ، محتاجة للمرور في عنف هذه التجربة اللاهبة ، والتي مرت بها الحضارة الغربية ،فهي وان لم تعط كل شيء ، مانحة لنا قوة المظهر المادي ، والذي يكمن في (وجوب) انهاض فلاحينا ، وصناعنا ، ومدارسنا .. وعبوديتنا على اطلاقها ..

سجن النور .. ، سجناً آخر تضغط فيه ، كأي سجن قذر .. ملكـــة الانسان ؟!

لم يستطع الانسان الانضواء تحت الاحكام العامة ، ولم يستطع رفض غريزته [١] ، وتفرده الذاتي .. فاخذ العقـــل يبتعد عن ان يكون السبيل الوحيدة لخلق انسان العصر فيما بعد الزمن الوسيط ..

الانسان المطلوب في الحضارة الحديثة

لم يُرفض انسان العقل [٢] ، بل خطت الثقافة خطوة اخرى في نفس السبيل كي تستوثق من صلابة الطريق ، واتخذت خطة عجيبة في خلق الانسان الحديث : فقد قرنوه بالآلة .. الانسان الذي لا هو بالروح ولا العقل .. الانسان الاداة ، الذي (يُستخدم ، ويُنحى ، ويُقتل ! .) .. نشـــأ هذا الانسان بسبب من فشل الاديان والاخلاق في معالجة الاوضاع الاجتماعية البشعة ، ففي مقابل الحرية الفردية ، أُعطي الانسان وعداً ، بأن يعيش سعيداً وآمناً حتى يموت .. ولم تنشأ الآلة قديماً الا لتكون صلة بين الانسان والارض .. اما الآن ، ولفرط اعتماد الحضارة الحديثة على دقة الآلية والميكانيكية ، فقد اصبح الانسان هو الصلة بين الآلة والارض !! . ان ما كافح من اجله البشر طيلة هذه القرون يُشجب في هذه الاعوام . فاذا ما قام تحقيق الانســـان الحديدي ، على مجرد رفض المجتمعات لكيانه الداخلي ، فان انسانيتنا اذن تحتاج ، كيما تصبح انسانية حقة ، ان ترفض ماضينا الثقافي والحضـــاري برمّته كي تبدأ من جديد بوضـــع خطوط للبشر الجدد غير قابلة للتطور .. فليس تاريخ الانســـانية الا تنحية مستمرة لكـــل فكرة تقوم على قتل ذاتية الانسان . وفي هذا العصر المريب ، يقف الفرد امام هوة شيطانية تدعوه لها في كل لحظة ، واغراؤها يكمن في هذا النداء : (لا نحتاج منك الا عملـــك اليومي . !) .. وقد خلقوا من الرتابة والتكرار قانونهم الاول ، فلكي تنزع عن الانسان الحي ، كل فكرة عن الروح والنفس ، فانك يجب ان تبدأ بقتل الجدّة وروح التعطش للمجهول في نفس البشر ، يجب ان

---

١ « فالعقل والجسم يشتركان معا في الانسان مثلما يشترك الشكـــل والرخام في التمثال ، فالانسان لا يستطيع ان يغير شكل التمثال دون ان يحطم الرخام ..» الانسان ذلك المجهول ص١٧٢

٢ وقد لا يرفض هذا الانسان الى الابد ، فحاجتنا ، وخـــاصة في الشرق ، لم تزل ماسة الى انسان العقل الذي يكتشف ، ويصمم ويهيء للجماعة البشرية سكناً انظف ، وطعاماً اشد فائدة ، ونزهات اكثر حلاوة ولكن اعتمادنا عليه كوسيلة نهائية نتوصل بها الى ادراك كل شيء قـــد ثبت عقمه ...

تستبدل ذواتهم بساعات دقاقة : السابعة طابور العمـــل . الواحدة طابور الغداء . الرابعة طـــابور الخروج . التاسعة الذهاب للمنتدى . العاشرة سماع نشرة الاخبار . العاشرة والنصف (طابور) النوم [١] !! وبهذا يتحول ، جديـــداً ، الانسان المؤلف من كل نقائضه ، الى انسان (انكسمندر) القديم ، والذي ليس الا مادة كالخشب سواء بسواء ، وليست ذاته الداخلية وخياله العجيب الفذ الا صرخات لضرورات الغريزة امام الجوع والانتشاء ..

كانت القارة السوداء ، هي المنبع الاعظم لكل رقيق الارض ، وزارعي التبغ والقطن في (جيورجيا . كارولينا . مسيسيبي) وكانوا يساقون من الكونغو واوغندة ومدغشقر ومن قلب تنجـــانيقا ، قاطعين عرض الاطلسي في سفن كالزرائب ليستقبلهم في الارض الجديدة طوفان هائـــل من الحقد والتعصب والاحتقـــار .. [٢] وكان هذا اثماً دُمغ به الانســـان في عصور سابقة ان يؤكد الرق البشري . ان يتحقق رخاء البيض بسواعد السود .. ان يبنى من جديد (برج بابل) على حساب الملونين والموتى والمصابين بالطاعون والتفويد ، من بشر افريقيا .. وكانوا بحاجة ان يثروا على حساب اولئك البسطاء البرابرة [٣] وقد اثروا حقيقة : فمن هي الدولة الاولى في زراعة القطن ؟ ومن هي الامة الصناعية الاولى ؟ . ومن يملك افظع وسائل الابادة . ?!. ومن .. ومن . ? !! ..

كانت هذه الوصمة حقيقة كبرى في تلك السنوات : تعبيد

– البقية على الصفحة ٧٦ –

---

١ ما يرعبنا هو الشبه الكبير بين هذا الانسان ، وبين الدمـــية الميكانيكية التي تخرجها مصانع (واكاياما) في اليابان ، فعندما يبدأ عمل (الزمبرك) الآلي ، تمشي الدمية في خط مستقيم ، وتمد ذراعها وتغمز بعينها ، فاذا ما وضعت مائدة في طريقها فانها تصطدم بها وتقف .. جامدة صوانية كما كانت .. فاذا كان الفرق بين البشر الاليين ، وبين دمـــى (واكاياما) متمينا في قدرة البشر على امكانهم تجاوز الموائد الخشبية ، ومفارق الطرق .. فان حضارتنا الحقيقية اذن لتوشك بالانهيار ..

٢ اننا نسخر من الامة الاميركية المنجرفة لانها تضطر الزنجي الى مسح احذيتها ، ثم تدلل على انحطاط الزنجي الادبي والمادي ، بأنه ماسح احذية « من مقدمة الانسان والسوبرمان » (برنارد شو) .

٣ انهم يصفقون لالبرت شفايتزر في كل مكان . شفايتزر الانساني ، طبيب الزنوج ، الرجل الذي نزح الى الغابات كي يضمد جراح زنجي ، وكي يشفي اخوانه الزنوج من الحمى والملاريا . انهم يصفقون لشفايتزر .. ومع ذلك يحتقرون كل زنجي .. في كل مكان ..



اذا اردنا ان نؤرخ للمسرح المصري المعاصر، فلا مندوحة لنا عن ذكر اتجاهين غلبا على طابعه : الاتجاه الاول هـو الاتجاه الرومانتيكي الكلاسيكي الذي سار فيه معهد التمثيل العالي ومسرح الفرقة المصرية وعلى رأسها يوسف وهبي . أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه الواقعي الذي سـار فيه مسرح الريحاني . فمدرسة معهد التمثيل تعتمد في تكوين الصياغات الفنية على الاستعراض في الايماءات والاشارات ، والتهويل في الحركات والتفخيم الصوتي والترتيل في الالقاء . وربما ساعد على هذا، الجو التاريخي للرواية او النظم الشعري الذي صُب فيه الحوار المسرحي. ولكن يوسف وهبي لم يستطع الخروج عن هذا اللون حتى في الروايات العصرية ، فتورط في كثير من الاخطاء التي كادت تطيح بسمعته الفنية، منها انه اتخذ من المسرح – بلا مبرر – منبراً للخطب الرنانة ثم قفز من هذا الى مجال فسيح اجاد فيه المواعظ الجوفاء والحكم الجوفاء.

اما الريحاني فقد اصطنع منهجاً واقعياً يقوم على التعبـير « الطبيعي » الشائع المساير للسجية السلسة ، والفطرة السليمة ، التي نلمسها في ميدان الحياة العادية . كما ان الاداء الانفعالي عنده أداء حي ، تشهد له التجربة الاجتماعية ، بما يتضمن من لواعج وخلجات لها دلالاتها في الاعيان . وسر ثراء هـذه الشخصية الفنية يرجع في الواقع الى التجارب الفنية التي مارسها الريحاني في اكثر من مجال ، ثم استوعبها جميعاً وتمثلها حتى تكوّن لديه هذا الوجدان الخصب ، وهذه الحاسة الجمالية التي ينم عنها كل ذوق سليم ، ودراية فائقة . فقد استمد الريحاني تجاربه من واقعنا الاجتماعي ، ثم عمل على تنميتها وتطويرها في إطار واقعه المسرحي ، هذا فضلاً عن انه استفاد كثيراً من خبرات الآخرين كشارلي شابلن وتوتو وفرقة الكوميدي الفرنسية . ولعل استفادة الريحاني من هذه التجارب ، ترجع الى قدرته على التحليل الذاتي ، او الاستبطان ، والوقوف على نقط الضعف ومركبات النقص ، والعمل على التنفيس عنها في غمار النشاط المسرحي مما يعين على الحمـاس في الاداء ، والاحكام الفني ، والاخلاص في التعبير . ولقد بلغ الريحاني من عمق الانفعال والقدرة على الاندماج مبلغاً عظيماً في فيلم « غزل البنات ». واني اذكر تلك اللقطة السينمائية الخالدة ، التي كان يبكي فيها الريحاني ، وكانت عيناه مفعمتين بالدموع السخية الوضاءة ، تسيل مدراراً بغير حساب . هذه استجابة فنية رائعة لا نجد لها مثيلاً الا عند شارلي شـابلن او بول موني او لورنس اوليفييه او من على شاكلتهم من عمـالقة الغرب . ولقد افلح الريحاني كل الفلاح في مسرحيته « حكاية كل يوم » لانها كانت تمثل مأساة حياته الزوجية ، كما حاز انتصارات فنية كثيرة في جميع رواياته على العموم، لانها كانت ادوات تنفيسية ناجعة خففت عنه وطأة الافكار المكظومة ، ولأنها كانت مجالاً خصباً استطاع ان يحيا فيه بكيانه كله، وان يستجيب فيه بادق الاحاسيس .

والشخصية التي كان يقوم بها الريحاني عـلى المسرح في مطلع حياته الفنية هي شخصية كشكش بك عمدة « كفر البلاص » ، ولقد ذاع صيت هذه الشخصية وذاع معها صيت الريحاني. الا ان الريحاني لم يلبث ان تخلى عن هذه الشخصية وذلك لعدة اسباب منهـا أنها كانت من العقم والضحالة بحيث لم يكن من اليسير عليها ان تشبع الآمال التي كان يهدف اليها الريحاني . زد على هذا ان الريحاني إضطر ان ينمو مع المجتمع الذي يعيش فيـه ، وان يتطور مع مشاكله ومعضلاته ، فيتفهمها ويقف على مضمونها الحقيقي . فلا جرم ان ظهر بعد هذا على رأس فرقة جديدة وقد خلع قفطان كشكش بك وعمته وصار مطربشاً أفندياً – يلبس بذلة – من الطبقة الوسطى . وحاول الريحاني بشتى الطرق والوسائل ان يصور المتاعب والآلام والمخاوف التي تكتنف

حياة الطبقة الوسطى في مصر، وهاجم الاقطاع في غير هوادة، وتهكم على طبقة الباشوات والامراء، واشاد بكفاح الطبقة الكادحة، ومجّد المصرية المناضلة، وازدرى العناصر الغريبة الدخيلة عليها. فهذه القفزة من شخصيـــة كشكش بك الى شخصية هذا الافندي من الطبقة الوسطى كانت ضربة معلم ولا جدال؛ فلم تكن امراً عشوائياً، بلا نكتة داعية ولا غاية منشودة ولا هدف مرسوم. بل ان هذا الانتقال الخطير الذي طرأ على الريحاني، انما يدل على حيوية هذا الرجل وطبيعته الديناميكية التي تتضمن في جهازها الداخلي قدرة هائلة على التكيف وتحقيق التكامل الفني.

ولقد كان نجيب الريحاني انساني النزعة، فقد إستطاع من خلال هذه الشخصية الخصبة (شخصية الافندي المصري الذي ينتمي الى الطبقة الوسطى) ان يعبر عن اسمى المعـاني الانسانية، فقد مجد السعادة واشاد بالحب، ونادى بالرحمة، ودعا الى التعاون ونبذ الغبن والاجحاف، كما لم يتعصب لدين ولم يتزمت بقومية، فلم يقل يوماً على مسرحه «مصر فوق الجميع»، كما قالها آخرون على مسرح رمسيس. بيد انه لم يخل من وطنية جارفة احياناً، فقد هاجم «عصبة الامم» في إحدى مسرحيات كشكش بك عندما استنكفت من مناقشة القضية المصرية، كما ذيل مسرحية «حسن ومرقص وكوهين» بنكات ساخرة على «مجلس الامن» الذي رفض إستجابة مصر الى مطالبها. وتتبدى انسانية هذا الرجل العظيم في مسرحية «حكم قراقوش» حينما طعن في «الملكية» وشهر بمظاهرها الكاذبة وانتصر لرجل الشارع الذي يعيش على الفطرة السليمة بمعزل عن اي تكلف أو تعقيـد. ففن الريحاني فن تشيع فيه الروح الانسانية. ويكفي لهـذا ان نحدد ماهيـة النكتة فيه: فنكتة هذا الرجل ليست نكتة «لفظة» بل هي نكتة «إنفعالية». فالنكتة اللفظية تتميز بالمحلية الاسيرة وبالقومية الخالصة، فضلاً عن انها تخضع في بنائها لقوانـين تداعي المعاني الحر، مما يسبغ عليها الطابع الميكانيكي البحت. وعلى العكس من هذا نجد الانفعال لغة عالمية، كذلك يُعد التعبير بالوجه والاشارة والايمـاءة من اهم الادوات لابراز الانفعال في ميدانه الموضوعي الانساني. كما ان التعبـير بالانفعال ليس صياغة آلية وانما هو بناء حي بكل ما تحمل كلمة الحيوية من معنى.

ومن السخافات التي نسمعها في هذه الايام قولهم بان فن الريحاني كان يتسم بالآلية المحضة، فقد صب سريعاً جميع ممثليه في قوالب من حديد وجعل كلّا منها على هيـــأة معلومة لا يتعداها في مرحـــلة إثر اخرى، وهذه السخافة مردودة. ولنضرب مثلاً بالأستـــاذ محمد كمال المصري (شرفنطح)، ولنستعرض معاً ادواره او بعضها في مسرحيات الريحـــاني لنجدها على تباين عظيم: فدور «نسيم افندي المطراوي» «الباشكاتب» الرجل الجاد المحتشم في مسرحية «الدلوعة» على نقيض «الشيخ حميسي» الرجل الخليع الهازل في مسرحية «الدنيا ماشية كده»، وهذا او ذاك لا يمت بصلة الى دور «مرقص افندي» القبطي القح الذي نزح من اعمال الصعيد الى ان حط رحيله في القاهرة جرياً وراء «الفلوس» التي لم يعرف من الدنيا غيرها والتي هي عنده المقياس الوحيد لتقويم الاشياء وتحديد مستويات السلوك الانساني، ورسم غاياته. بل وفي سبيلها يجوز على الضمائر تبرير الحيل والاحابيل. هذه ثلاثة نماذج لا اخالها متشابهة البتة، سواء بالنظر القريب ام بالنظر البعيد. ولا ادل على ترفع فن الريحاني عن الآلية من انه كان يعتمد على التلقائية الخالصة في الحركة المسرحية، فلم يفكر يوماً ان يضع تخطيطاً تفصيلياً لحركات الممثلين وايماءاتهم على نحو ما نشاهد في المسرحيات الكلاسيكية، بل كان يترك هذا الامر على الدوام رهيناً بالحيوية المتدفقة. واتجاه الريحاني اتجاه واقعي انساني؛ ولا ادري كيف يتفق هذا مع قولهم بانه فن تغلب عليه الروح الآلية. نعم إنه فن واقعي، لانه استعان بلغة الشعب في اصرار واعتداد، لغة العـــامل والفلاح والموظف، ومن ثم استطـــاع ان يحقق اهدافه الكوميدية من جهة وان يتفادى المآزق الحرجة التي تنشأ عادة نتيجة للحدود الضيقة التي تعيش فيها اللغة الفصحى. ثم انظر كيف استهل فيلم «لعبة الست» بنقد مر لفكرة السعادة كما يصورها اصحاب المذاهب العقلية من فلسفة الاخلاق، ثم كيف حدد ماهيتها بعد ذلك في مجالها التجريبي الاجتماعي.

والغرابة التي لا غرابة بعدها، انك تجد اناساً يجادلونك في واقعية الريحاني، فيزعمون بأن الصورة التي رسمها هذا الرجل للمجتمع المصري صورة شوهـــاء تنطوي على التزوير والتزييف، فاغلب مسرحياته مثلاً لم تخل من شخصية امرأة تركية عجوز ليضحك الناس من رطانتها العربيـــة، ثم

يتساءلون متعجبين : هل مجتمعنا المصري المعاصر الريحاني يضم امثال هذه الشخصيات ؟؟ كذلك يتقولون على الريحاني بأن المصريين في مسرحه قوم طيبتهم بلاهة وغزلهم «تلعيب حواجب» ، يحبون الحكم والمواعظ الفارغة ، سريع غضبهم يثورون للتافه من الامور ، فلو القيت على احدهم تحية الصباح لانحدر عليك سيل من « الردح والتشليق » ثم يندب السادة النقاد صارخين : حرام ان يوصف الشعب المصري بهذه الاوصاف !! ونحن مع تقديرنا لهذا الاشفاق على الشعب المصري ، نرى من الخير ان نرد على هذا التقول : فنذكرهم بأقرب مثل في متناول ايدينا وايديهم وهو افراد الاسرة المالكة التي كانت تحكم مصر الى عهد قريب ، فجلهم ان لم يكن كلهم فضلا عن الكثير من افراد الاسر المقربة اليهم ، كانوا نماذج صادقة لهذه المرأة التركية الشمطاء سواء في رطانة لسانهم ام في النعرة الكاذبة التي استبدت بنفوسهم . اما مسألة المصريين الذين طيبتهم بلاهة فلا تستقيم مع التسليم بأن الضحك عند الريحاني كان ذا دلالة ساخرة تنطوي على مفاهيم عقلية . كذلك « الردح والتشليق وتلعيب الحواجب » انما هي صور صادقة مستمدة من واقع احيائنا الشعبية ، وعرضها ضرورة لازمة تقتضيها الامانة النقدية . فالكوميدي عبارة عن تمثيل العيوب والرذائل التي تثير الضحك ، ومن شأن الحل في الكوميدي ان يكون مفتعلاً ، والفرق بينه وبين التراجيدي هو فرق من حيث الدرجة فحسب . فنفس الاحساس او العادة او الغريزة ، والنفاق والحب ، كل بحسب درجته من العنف وبحسب ما يسببه من حوادث بسيطة او شقاء محقق ، يمكن ان يكون اساساً للكوميدي او التراجيدي . والشأن في ذلك شأن المقادير المختلفة من العقاقير ، فقليل من القطرات السامة في بعض انواع السم لا تؤذي بل تشفي ، لكن الكمية الكثيرة منها تقتل .

والفن الهزلي عند نجيب الريحاني يتميز بسمتين اساسيتين :

ا - « سوء التفاهم » الذي كان يسود جميع رواياته ، فتداخل المواقف وتشابك الحوادث كان يلعب دوراً كبيراً في المعنى ، ومن ثم كان يتبدى الشيء المضحك كأنه ينطوي على جانبين : جانب لامعنى له ولا منطق فيه ، وجانب آخر طبيعي منطقي . وهذان الجانبان يصدران معاً . وهكذا لا نحس للنكتة بطعم الا اذا ادركنا الصلة بين الكلمات والافكار التي لم نكن ننتظر رؤيتها مزدوجة مؤتلفة .

ب - « التضاد بين امرين » بحيث يوجد فينا رد فعل خاص ، هو الضحك . فهذا الباشاتري غني ، جاهل امي في نفس الوقت . وهذا فصيح لا يني يستعمل الصور البيانية العتيقة التي مضى زمنها . وهذا كسيح يتبرع بآلاف الجنيهات لجماعة الرفق بالحيوان الخ ...

من هاتين السمتين تتضح لنا عقلية الريحاني كعقلية كوميدية من الطراز الاول ، فالمفارقة هي القالب الفذ الذي كان يصب فيه الريحاني جميع عملياته المسرحية في توفيق واحكام . ونحن لا نغفل فضل الكاتب الكبير بديع خيري في هذا المقام ، ولا ننكر الفضل الذي اسبغه على الريحاني ، بيد اننا لا نحسب ان اي تقريظ سيوفي هذا الرائد الفاضل حقه نظير ما تجشم من جهاد طويل مرير من اجل دعم اركان المسرح المصري المعاصر .

ويختلف فن الريحاني عن الفن الهزلي الحاضر سواء كما يبدو عند اسماعيل ياسين او عند نجوم « ساعة لقلبك » في اكثر من نقطة :

١ - كان الريحاني يقوم بدور كفاحي من شأنه ان يستثير الهمم ويستحث العزائم على حين ان اسماعيل ياسين يقوم اليوم بدور الترويح والعزاء ، حين يتواكل ويخوض الحياة بلا مبالاة ودون اكتراث . وليس معنى هذا ان فن الريحاني كان يخلو من عنصر المصادفة بل على العكس كثيراً ما اشاد بالبخت والحظ . بيد انه لا ينبغي في الوقت نفسه ان يتبادر الى الاذهان ان الريحاني كان يعول على الغيبيات في بناء تعبيراته المسرحية ، بل قصارى ما كان يهدف اليه هو بيان التفكك الاجتماعي الذي كان يعانيه مجتمعنا المصري ، فهو لم يقصد الى الحظ لانقاذ الازمات المسرحية بقدر ما اراد ان يعرض لظاهرة مرضية خطيرة اصابت مجتمعنا وهي التحلل وفقدان الروابط المنطقية لتنسيق علاقاتنا الداخلية .

٢ - لم يحدد الريحاني نفسه في اطار من اللوازم المعينة ، على نحو ما فعل اسماعيل ياسين ، ومن ثم استطاع ان يستوعب اكبر عدد ممكن من العمليات الفنية . وبفضل هذه المرونة ايضاً امكنه ان يخوض في اكثر من ميدان

٣ - لم تكن نكتة الريحاني نكتة لفظية ، كما هي عند نجوم « ساعة لقلبك » بل كانت نكتة انفعالية حية نامية ذات دلالة وظيفية في مجال .

وبعد فلعلنا ما زلنا منذ وفاة الريحاني الى الان نكابد مشكلة تدهور المسرح المصري .

القاهرة **محمد فرحات عمر**

النشاط الثقافي في الغرب

الاتحاد السوفياتي

الحب والجنس ... في النتاج الجديد

مضى اكثر من عام* على المؤتمر الاخير للكتاب السوفيات .ولكن كثيرين يتساءلون عما حل « بذوبان الجليد » الذي تحدث عنه ايليا اهرنبورغ في روايته وعن « المحاولات الجريئة التي تهدف الى تغيير القيم» التي اعلنها اسحاق دوتشر . ترى هل ظل هذا « التخمير » للافكار ، بعد ستالين ، قائماً ، ام انه اختفى تدريجياً ؟

اذا كان من الممكن مقارنة الادب السوفياتي المعاصر بادب عهد سابق ، فان فترة ١٩٣٨ - ١٩٤٠ هي التي تطفر الى الذهن . غير ان اجراء هذه المقارنة يظل سطحياً ، فقد شهد العام الفائت خطوطاً جديدة ذات مغزى في الادب السوفياتي .

ولا شك في ان كتاب شولوخوف « مستصلحو الارض » الذي يتناول حياة الكولخوز منذ خمس وعشرين عاماً يشكل مفتاح الموسم الادبي في الاتحاد السوفياتي، وهو يضم نقداً عنيفاً للسرعة المجنونة والاكراه الهدام اللذين يميزان العمل القسري الجماعي .

وقد اكتشفت الحياة الغرامية والجنسية من جديد في الاتحاد السوفياتي وينبغي الا نستهين بهذه الظاهرة . فطوال خمس عشرة سنة انشغلت الروايات والقصائد والمسرحيات السوفياتية بمعالجة قضايا الانتاج الصناعي والزراعي . فصورت المواطن السوفياتي في اثناء العمل كما كان او كما كان ينبغي ان يكون . وفي اثناء الحرب ، انتقل الاهتمام الى الجبهة ، وكانت الموضوعات هناك ايضاً تتعلق بالاعمال الثقيلة التي كان المصير يفرضها . صحيح ان الناس ، حتى في الكتب ، كانوا يتبادلون الحب ويتزوجون ، ولكن لم تكن هذه الا اعراضاً لا اهمية لها ، او انها كانت مكافأة للبراعة التي شهدتها الجبهة او الانتاج ..

ولا شك في ان القراء السوفيات كانوا قد تعودوا الاكتفاء بالقليل ولكن الحرمان الذي تعرض له الحب الجنسي او العاطفي في الادب قد بات غير محتمل على مر الايام . وقد انتهز الكتاب والقراء « ذوبان الجليد » الذي حدث عام ١٩٥٣ - ١٩٥٤ ، فكان لهم رد فعل عنيف تجاه هذا المظهر السلبي من الواقعية الاشتراكية . وقد ظلت هذه المعارضة حتى ايامنا وكانت لها بعض الثمرات . من ذلك ان متحدثاً رسمياً توجه الى احد المنتجين السينمائيين بقوله الجريء « ليس العمل وحده هو كل حياة الشعب » . والحق ان الشعب السوفياتي ، بعد سنوات طويلة من الجهود المرهقة والتضحيات الكبيرة ، متعطش قبل كل شيء الى الحياة الخاصة ، وليس « الاكتشاف » الجديد في الادب السوفياتي للحياة والحب الا مظهراً من مظاهر هذا التعطش . وقد وجب على الزعماء ان ينحنوا او ان يلتمسوا تسوية للحاجة العميقة الى « العيش الخاص » ، فاذا بنا نجد ان جميع الروايات التي صدرت ابتداء من عام ١٩٥٤ قد اصبحت تضم قصة غرامية بموازاة الدعاية المألوفة للانتاج ، بل ان بعض الروايات كانت تضم قصتين او ثلاثاً من القصص العاطفية . ولكن الطريقة التي يعالج بها المؤلفون هذه الموضوعات العاطفية تكاد تكون طريقة خرقاء .

لنأخذ مثلاً قصة « بعيداً عن موسكو » لمؤلفها ف . اشاييف V . Ashayev وهي رواية احرزت اكبر نجاح احرزته رواية بعد الحرب. ان تانيا تحب ميخائيل ، وكلاهما يتنزهان ساعات طويلة في موسكو ليلا واخيراً يصعدان الى منزل والدي تانيا اللذين كانا يصطافان في الريف. انهما اذن وحيدان ، وان اعصابهما ثائرة جداً حتى انهما لا يستطيعان الرقاد ولكننا نرى تانيا فجأة ضحية ازمة شري وحكاك ، وهنا يتوجب على ميخائيل ان يفرك لها ساقيها بالمنعشات ، غير ان ذلك يزيد في هياجهما ، فينسيان الشري وما اليه ، ويأخذ ميخائيل الفتاة بين ذراعيه فيقبل شفتيها وعينيها وكتفيها ، وتختلط انفاسهما الحارة ، فتقول تانيا بلهجة يأس وأسى « اننا وحيدان في البيت يا ميخائيل . ان والدي في المصيف ، وانا لا اريد ان انتهز غيبتهما . واني اخشى على حبنا ان يفسد » واذ ذاك يفهم ميخائيل الوضع ، فيبتسم ابتسامة سعيدة ،ويربت على كتف تانيا في سريرها كما يربت على كتف طفلة ، ويقضي باقي الليل وهو يتخيل نقاشاً مع والد تانيا الذي كان يدعي ان ابنته ما تزال صغيرة ولا تصلح للزواج وهذا كل شيء .

ولعل رواية « يلينا » للمؤلف ك . الفوفا K. Lvova هي التي اثارت اعنف نقاش في الاوساط الادبية . ان يلينا هي فتاة تهتم بالعلم ، متزوجة ولها .. عشيق . وقد كان يدور في نفسها صراع ، وكان ينبغي ان تختار بين الرجلين . ولكن يحررها من المأزق ارسالها الى مكان بعيد عن الاتحاد السوفياتي ، ولما كانت حاملة من عشيقها ، فقد حدث لها في الطريق حادث سيارة فاجهضت وتحررت بذلك من هذه المشكلة الثانية . واخيراً تخرج يلينا من جميع هذه الاحداث « بطلة حقيقية » .وليس من عجب ان تهاجم صحيفة الكومسومول هذه الرواية وتتهمها بانها « تمجد الانحطاط الخلقي » ومع ذلك فقد كان هناك كثيرون دافعوا عن يلينا ومؤلفها ...

على ان رواية دانيال غرانين D. Garnin « الذين يسيرون » قد احرزت اعظم نجاح في هذا العام . وهي تصف مغامرة مهندس وامرأة متزوجة تدعى ريتا ، وهي رواية جريئة من غير شك بالنسبة للروايات السوفياتية ، بما تصوره من غرام غير شرعي . وقد وجد البطل اخر الامر وسيلة ليضع حداً لاغراء تلك المرأة المنحطة .

وبوسعنا ان نجد امثلة كثيرة تنم عن عودة الجاذب الجنسي في الادب الروائي السوفياتي الحديث ، ومن ذلك رواية « الطريق الطويلة » ليلينا كاترلي Y. Katerl حتى ان المجلة الادبية « ليتيراتورنايا غازيتا » قد شكت في احد اعدادها الاخيرة من ان قصص الحب « البعيدة جداً عن حياتنا اليومية » اخذت تحتل تدريجياً المكان الاول في مسارح موسكو .وحتى المثالون اصبحوا يعرضون تماثيل عارية لهم ، كما ان فرع موسكو لاتحاد الكتاب السوفيات قد اجتمع مؤخراً ليعالج موضوع « التربية العاطفية ».

ولا شك ان حفرة قد انحفرت بين النزعة الطبيعية « الفوركية » التي

* راجع مقال والتر لاكور في العدد ٥٨ من مجلة Preuves .

النشاط الثقافي في الغرب

كانت تميز ادب سنوات العشرين (مثال روايات المراهقين ومنها « كوستاريابتسيف » و « بلا زهور الكرز ») وبين ارتخاء الحشمة السوفياتية . ولكن لا ينبغي ان ننتظر عودة الى روح التجربة والصدق التي كانت سائدة في تلك الفترة . ان تداعي المقدسات قد بلغ في ايامنا هذه درجة لن يتجاوزها الادباء في السنين القادمة .

كتب جديدة

• « راية الكرملين » قصة تاريخية بقلم ديمتري ايريمن D. Eremine يستعرض فيها حياة الامير ايوري دولغوركي مؤسس موسكو وجامع الارض الروسية .

• « الكاتب والحياة » مقالات ومذكرات ورسائل بقلم بيتور بافلنكو P. Pavliko تضم تأملات وافكاراً حول الحياة والفن ومقالات الناقد الادبي .

• مختارات ، من مؤلفات نيقولاي تيخونوف N. Tikhonov في جزءين اولهما يضم قصائد والثاني مجموعة قصص .

• « في سبيل القضية » رواية لفاسيلي غروسمان V. Grosman يروي فيها قصته من ايام الحرب .

ايطاليا

« بابيني » الاديب الانسان

نشر جواني بابيني G. Papini اخيراً كتاباً في التراجم والنقد سماه «رواق التماثيل النصفية «La loggia dei busti» وهو مجموعة ابحاث عن رجالات ايطاليين واجانب قدماء ومحدثين امتازوا في الادب والفن والدين والسياسة: من الامبراطور اوغوستوس الى القديس فرنسكو ومن شيشرون الى شاتوبريان وبرنارد شو واردنغو سفشي. وقد قال بابيني في مقدمته ،تلميحاً منه الى كبر سنه « هذه المجموعة آخر اثر اقدمه لقرائي » ولكنه في طراوة انشائه ، وحدة نقده وقوة تصويره،هو توأم كتابه « عشرون دماغاً » الذي نشره في سنة ١٩١٢ لما كان عمره ٣١ سنة ، وكان يعجب الناس بحيوية نثره وعذوبة شعره وبنقده الهادم وجهاده في تجديد هواء الادب الايطالي ، رافعاً لواء كل فكرة حديثة بيد كان قد شدد قبضتها بتمرينها على حمل اثقال الروائع الكلاسيكية .

ويبلغ بابيني اليوم ٧٥ سنة ، ولكنه يستمر على التأليف بغزارة وابداع يليقان بمن هو في عنفوان شبابه . واعجب من ذلك ان الرجل الذي باغتنا قبل ثلاث سنوات بكتابه الغريب في « الشيطان » هو صاحب «حياة المسيح » وهو يوافينا كل اسبوع في جريدة (بريد المساء) Corrierre della sera بتلك الملاحظات الدقيقة والتأملات العميقة التي يسميها « فلذات » ، ويهدي الينا اليوم هذه التماثيل المنحوتة في رخام انشائه الثمين ، ليس من اولئك الشيوخ غير النادري الوجود في العالم الذين لم تمسهم يد الزمن الا مساً خفيفاً، بل انه يقضي ايامه مسمراً على كرسيه لشلل احترم عقله ولكنه عم جسمه ولم يقتصر على وقف يمينه عن إمساك القلم ، بل ادرك لسانه، ولكان اعجزه عن الاملاء لولا حفيدته «آنا» التي تخصصت في تفسير الاصوات المبهمة الخارجة من فم المكموم ، فهي تقيدها كتابة وتقرأها عليه للتثبت من انها فهمت معناها ، ثم ترسلها الى المطبعة مقالات وكتباً . ومما زاد الطين بلة ان المسكين قد فقد ايضاً قوة بصره .

ولكن « بابيني » بطل لم يترك طول عمره ساحة القتال ، فلا يزال متمسكاً بالحياة تمسك من كانت حياته كلها في تفكيره ، متعزياً عن آلامه بمحبة قرينته وحفيدته ، اللتين تقرآن عليه الكتب والجرائد وتقفانه بذلك على كل ما يجد في عالم الاجتماع والثقافة ، ومفتخراً بحمله اصليبه حملاً جديراً بمن سبق ودعا الناس على التخلق بأخلاق المسيح .

فلندع « بابيني » نفسه يصف حالته الروحية في « فلذته » الاخيرة التي نشرها في « بريد المساء » في تاريخ ١٩ شباط ١٩٥٦ .

أسباب سعادة البائس

«يُدهشني احياناً من يَدهش من هدوء بالي وانا في الحالة التعيسة التي قذفني فيها المرض . إنني فقدت استعمال رجلي ويدي وما أكاد ابصر وأتكلم . فنسيت اذاً عن المشي وعن مصافحة صديق يزورني وعن كتابة حتى اسمي ، وعجزت عن المطالعة وكدت اعجز عن المحاورة والاملاء . ان كل ذلك خسران لا عوض له وثقل يشق تحمله على رجل مثلي ، كان مولعاً بالمشي مشية حثيثة ، وبالمطالعة في كل اوقاته ، وبكتابة كل شيء بيده ، سواء أرسالة كان ، أم مذكرة ، أم خاطرة ، ام مقالة ، ام مجلداً .

ولكن لا ينبغي الاستهانة بما بقي لي ، وهو الكثير والاحسن . نعم ، انه حق ان الاشياء والاشخاص امام عيني صور مبهمة وكادرة ، كأنها اشباح من وراء ستار من الضباب الرمادي، ولكنه حق ايضاً انني لم يُقض علي بأن اعيش في الظلام الكلي ، بل لم يزل في امكاني ان اسر بأشعة شمس تدخل في غرفتي فوراً دخول الهاجين سروري بعيد ، او ان افرح بكرة نور تنبعث من مصباح .. ولي ايضاً ان استشف بقع الازهار الملونة وتقاسيم وجه ، متى قربوها من عيني اليمنى كل التقريب . وهذه الفحات الضئيلة التي احتفظ بها بصر عاد كليلاً كأنها خوارق عادات تفعم القلوب ابتهاجاً في نظر رجل يعيش منذ عشرين سنة في خشية ظلام كلي ودائم .

ويجانب ذلك بقي لي سرور التمكن من الانصات الى كلام صديق احبه او الى قصيدة رائعة او قصة جميلة تقرأ علي ، اوالى اغنية مطربة او الى احد تلك الالحان التي تملأ وجود الانسان بحرارة جديدة .

وهذا كله لا شيء بالقياس الى مواهب اخرى ، تفوق في اهميتها العطايا المذكورة ، ابقاها لي الرحمن . نعم ، اني انجيت من الهلاك ايماني ، وعقلي ، ومذكرتي ، ومخيلتي ، وواهمتي ، وشغفي بالتأمل والتفكر ، وذلك النور الباطن الذي يسمى كشفاً او وحياً . نجوت بهذا كله ولو بجهاد يومي ، ونجوت ايضاً بمحبة افراد عائلتي ، وبصداقة احبائي ، وبمقدرتي على حب الناس ، ولو لم اعرفهم شخصياً وبالسعادة التي اشعر بها

اذا احبني من لم يعرفني الا من كتبي . ثم بقيت لي استطاعة تبليغ افكاري وعواطفي الى غيري ، ولو ببطء معذب .

لو كنت استطيع التحرك والرؤية والكتابة ، وكان ذهني مبلبلا وكليلا ، وعقلي خدراً وعقيماً ، وكانت مذكرتي بطيئة وعتلة ، ومخيلتي متثاقلة ومعتلة ، وكان قلبي جافاً وعديم الانفعال ، لكان بلائي اشد وأرهب الى ما لا نهاية له . اجل ، لكنت نفساً ميتة في جسم حي لا فائدة لحياته ، اذ ما هو الطائل من كوني ذا كلام مفهوم ، لو عدمت ما أقوله ؟ انني لم ان طول عمري اقول ان الروح تفوق المادة ، فلو غيرت رأيي وقت البلاء رزوحاً مني تحت عبء الآلام ، لكنت خاتلاً نذلاً . كلا ، انني كنت طول عمري ممن يفضل العذاب على البلاهة .

هذا ، وبما انني في حالة الاعتراف وكشف الستار عن ضميري ، اريد ان اتجاوز حد ما يسهل تصديقه واسوق نفسي الى حدود ما قد يُرى من المستحيل . ان علامات الشباب الذاتية ثلاث : الرغبة في الحب ، وميل العقل الى العلم ، ونزعة الروح الى المهاجة . فانا رغماً عن كبر سني ورغماً عن امراضي وآلامي ، اجد في نفسي حاجة قوية جداً الى ان احب النـاس واكون محبوباً عندهم ، وطمعاً لا يروى غليله في تعلم امور جديدة في كل ميادين العلم ، ولا ازال مستمراً على الكفاح والهجوم كلما وجب علي الدفاع عن القيم العليا . فمهما نسب الناس كلامي هذا الى الهذيان وضحكوا علي، انني اتجاسر على التصريح بأن مدد الشباب لا يزال يرفع روحي فوق امواج بحر الحياة المحيط . »

***

بارك الله صاحب هذه المقالة ولا فض فوه ينطق بمثل هذه الحكم والمواعظ ، واخرّ اجل روح تؤمن بحكمته ولطفه وترضى بقضائه وقدره ، غير ناسية، في جدها وراء كل ما هو جيل، انه سبحانه وتعالى وصف الصبر بالجمال .

مارتينو ماريو مورينو



شو ... ايضاً !

ما زال مسرح « الاولدفك » منهمكاً في مشروع السنوات الخمس لتمثيل الدورة الشكسبيرية بكل خشوع وتقديس : يوليوس قيصر، هنري الخامس ثم عطيل ، وذلك حتى تموز حيث سينقطع صوت الشاعر بصوت اخر . وهذا بين الانكليز اكفر من نتف ريش الحرس الملكي في صباح الاحد ! ومع هذا فيصبر الانكليز على ذلك ويحزمون الملابس الاليزابيتية في الصناديق ويجلسون بكل خشوع ليستمعوا الى سيل من السب على بريطانيا وتاريخها وتقاليدها ثم يصفقوا ويخرجوا شاكرين !! كلا ، ايها القارىء ، لا تعجب ، فان هذا بالذات هو ما سيحدث في الصيف عندمـا ستحتفل بريطانيا بميلاد برنارد شو المائة . ومن يكون غير شو يجلس الانكليز على الارض ثم يزعق في وجههم كالاطفال ؟

أن الاستعدادات جارية ، والى ذلك الحين موعدنا مع القراء ، لولا ان مسرح « الليرك » قد سبق بتقديم « Missaliance » فكانت اول طلقة ... طائشة . هذه المسرحية من اضعف كتابات شو . فهي خلاصة فقيرة لمسرحياته الاخرى ، وانها في الحقيقة لم تمثل منذ سحبها عام ٩١٠ بعد ثلاث ليال فقط . ولكن نيويورك اعادت لها وقارها هذا العام ثم رددته لندن . وقد قيل انها اختيرت جذباً للجمهور لهذا الاحتفال بجوها الانكليزي ولزوال مرارتها التي وصفها « بيربوم » اول مـا مثلت بالعفونة . فالعائلة الادوردية التي جعلها شو اضحوكته فيها اصبحت اليوم نكتة مسموعة . وسيادة الرجل علـى النساء امست الحلم الذي يراود بعض النساء ! ومع ذلك فما احسب المسرحية لاقية كل ذاك العناق اللائق بعودتها بعد نصف قرن . انها افتقرت الى القلب – النقطة المركزية – فهوت . طائرة تسقط في الحديقة لتخرج منها اكروبات روسية تصلح الحياة العائلية بالجمناستيك ! ورجل اعمال يحاول الخسارة ليعيش رومانتيكياً .. اكروباتيكيات شو لم تنجح هنا كما نجحت في Heartbreak House . ان هذا المنحى الروسي في تشتيت الموضوع والعقدة دون ما يصحبه مـن نفسيات الدراما الروسية كاف لشنق اية مسرحية في لندن !

عشرة اعوام من العمارة البريطانية

صورة مرعبة ، لا سيما للتلاميذ وقت الامتحان ، ثلاثون مليون من الشعوب العربية في عمارة واحدة! وإن كانت على ما يبدو الطريقة الوحيدة للوحدة العربية ! على كل حال هذا هو التصميم الذي رأيته قبل عامين في مسابقة R. I. B. A. للعمار . الحكومة تحت السلم والبرلمان فوق الحمام .. وليتخيل الشعراء !

ومع ذلك جاءنا المعرض المعماري الاخيرة « عشرة اعوام من العمارة

النشاط الثقافي في الغرب

البريطانية » الوجه الآخر لنفس السكة وصدى لـ Missaliance في فن المعمار . وهكذا قبض النقاد ايديهم الى صدورهم وزفروا : في ذمة الله البيت الانكليزي القديم بجرسه وموقده الحنون والوداع للعائلة الهادئة . اذ كان الاتجاه واضحاً نحو كتل من البنايات تجعل الدار الخاص والبيت الريفي صفراً على الشمال . نعم ، الوداع للفضائل الاخلاقية القديمة الجميلة !

ان المعرض يمثل العمارة البريطانية لما بعد الحرب. وهكذا ضمت درة الفن الانكليزي «قاعة الفستفال» ومشروع الضفة اليمنى من التايمس الذي سيشمل المسرح الوطني .

وبالرغم من هذه وتلك لم يستطع المعرض ان يخفي الفقر الانكليزي في العمارة . فمن ناحية : هجر المهندسون الجزالة القديمة فلم يلحقوا بالعمارة السوفيتية التي اطلعنا المعرض الرواعي على صور منها ، ولا هم لحقوا بموركبة الحركات الحديثة ، فاخرجوا لنا نظائر البنايات التي رأيناها في فرانكفورت ريون حيث تقوم حركة اعمار مشابهة. والظاهر ان الامل الذي ساور بعض المتذوقين بعد الحرب في اضفاء بعض الجمال على لندن قد تبدد . وكان ان صرح اخيراً رئيس الاكاديمية الملكية للفنون معلقاً على مشروع بناء شرق لندن بانه مشروع اجرامي لا يرضي غير ذوي الاعمال وكبار الملاك . فأثار تصريحه ضجة اطاحت بالمشروع الى الرف وحافظت على « الخراب » في شرق لندن .

في سطور

● فرغ لورنس برادشو من نحت رأس ماركس باربعة اضعاف الحجم الطبيعي وستحتفل النقابات بنصبة في مقبرة آل ماركس في هاي كيت — لندن .

● نشرت اخيراً منتخبات من النقد الادبي لدى د. ه. لورنس تظهر اتجاهه الحسي والذاتي المعروف عنه في قصصه .

● عاد شارلي شابلن الى لندن لاخراج فيلمه الجديد « الملك في نيويورك » الذي يصور ملكاً حاول اصلاح بلاده في وجه معارضة عنيفة اضطرته الى السفر الى اميركا طلباً للمساعدة فألقت عليه القبض بتهمة النشاط غير الاميركي .

● يجري الاحتفال بالذكرى المائة لهنريخ هاينه . وكان مما نشر في هذه المناسبة كتاب الاستاذ روز عنه . وقد احتفلت به البلاد العربية بهذين السطرين .

● ازداد الطلب على « عطيل » فضم هذا الموسم اوبرا فردي واخراجين لمسرحية شكسبير وفيلماً سينمائياً وآخر تلفزيون واذاعتين من الراديو للرواية نفسها .

لندن — خالد القشطيني

اشتات من العالم

● سئل الروائي المعروف فولكنر عن ابطال قصصه وكيف يتصورهم ، فأجاب :

« انني اكتب رواياتي لان الاشخاص الحقيقيين الذين خلقهم الله والذين أماشيهم كل يوم لا يعجبونني . فأنا احاول ان اصنع خيراً منهم ! »

● يقيم الكاتب البريطاني الشهير غراهام غرين في كابري منذ مدة حيث يشتغل بوضع كتاب جديد . وقد سئل في ذلك فأجاب ؟ « إنه اهم كتاب في حياتي » ثم اضاف بسرعة : « وهذا ما يقوله كل كاتب عن آخر كتاب يشتغل فيه ! »

● أجرت مجلة « لنوفيل ليتيرير » الفرنسية تحقيقاً جديداً عن « اروج الكتب الفرنسية عام ١٩٥٥ » ، موجهة السؤال الى دور النشر التي طبعت هذه الكتب ، فكانت النتيجة ان اروجها كان « البلدة التي لا تبلغ » لاندريه دوتيل (١٦٥ الف نسخة) ثم « المياه المختلطة » لروجيه ايكور (١٥٥ الفاً) ثم « موعد اسانديلين » لفريزون روش (١٠٠ آلاف) ثم « حاصدو الشوك » لجورج غوفي (٩٥ الفاً) وبعدها « الحقيقة تتجاوز الخيال » لايكار وفرانك (٩٠ الفاً) .

● نشر وزير المعارف في الاتحاد السوفياتي مؤخراً منهاجه الطباعي لعام ١٩٥٦ وهو يضم ٨٣٦ كتاباً للبالغين و ٤١١ كتاباً للاطفال ، ومجموع ما سيطبع من هذه الكتب ١٨٠ مليون نسخة . ومن الاسماء الاجنبية التي ستطبع كتب ماريه وويلز وستيفان زفايغ وبرنارد شو وادغار بو وكبلنغ ...

● سيحتفل هذا العام في الاتحاد السوفياتي بالذكرى العشرين لموت غوركي ومن اشهر افكار غوركي ، قوله : « ان الكتاب يبنون قصوراً في اسبانيا ، فيسكنها القراء وتقبض اجرتها دور النشر ! »

● صرح سومرست موم لأحد الصحفيين اخيراً بقوله : « لقد عادت عليّ كتبي بأموال طائلة ، واني ادرك ، وانا في آخر حياتي ، ان المال هو الحاسة السادسة التي لا تستطيع الحواس الخمس الاخرى بدونها ان تلمع ! »

مُناقشات

حول مقالة « الوحدة والاتحاد »

بقلم شبلي العيسمي

قرأت في العدد الثالث من مجلة الآداب تعليق الاستاذ عبد اللطيف شرارة حول مقالتين لي نشرتا في المجلة عن الوحدة والاتحاد . وفي الوقت الذي اقدر للاستاذ شرارة اهتمامه بهذا الموضوع واشكره على ملاحظاته الصائبة حول ضرورة تحديد مفهوم الكلمات وتقييد مضمون التعابير ، بل وفي الوقت الذي اقره على ضرورة التفصيل والاستقصاء الدقيق عند الخوض في مثل هذه « القضية الجليلة » ، لا يسعني الا ان ابدي دهشتي واستغرابي لسؤاله الذي ينطوي على معنى اللوم لخوضي في هذا الموضوع ما دمت قد اعترفت « بانه دقيق شائك وبأن ما عرضته حوله يفتقر الى جانب من الدقة والتركيز » . ولقد زاد من دهشتي واستغرابي ان الاستاذ المحترم ينسى او يتناسى انني ذكرت القصد من البحث فيه وقلت : « اننا نرجو من هذه المحاولة ان تثير اهتمام المسؤولين والمفكرين العرب وان تحملهم على تقديم ما لديهم من جد وجهد لتوضيح هذا الموضوع الخطير في اذهان الجمهور وحمله على تبنيه والنضال من اجله » .

واعتقد ان الاستاذ الكريم يقرني على ان موضوعاً كهذا على جانب كبير من الاهمية والخطورة ، وعلى قسط وافر من الدقة والتعقيد لا يمكن لفرد واحد – مهما اوتي من دقة التفكير وسعة الاطلاع ووفرة الوقت – ان يلم بوقائعه ويوفيه حقه من البحث والشمول والاستقصاء ، بل لا بد لذلك من ان تتضافر جهود عدد كبير من المفكرين المسؤولين . ثم ان الاستاذ ساطع الحصري نفسه والذي يستشهد به الاستاذ شرارة لا يسمح لنفسه – بالرغم من كتاباته المتعددة حول هذا الموضوع – بأن يدعي الالمام التام بدقائقه ومفاهيمه ووسائله .

واذا تجاوزنا معنى اللوم من تعليق الاستاذ شرارة وانتقلنا الى مطالبته لنا بالمزيد من الكتابة حول الموضوع وبتحديد مفاهيم العبارات والالفاظ ، وجدنا في هذه المطالبة معنى الحث والتحريض على الاستمرار في المحاولة ، ويكون بذلك قد استحق منا الشكر والتقدير مرة ثانية . ولكن يصبح من حقنا عليه ايضاً ان نطلب اليه الاسهام في هذا الموضوع والكتابة فيه بالشكل الذي يراه صائباً ومفيداً . وبناء على ملاحظات الاستاذ شرارة سنحاول في مقالة قادمة ان نبحث في الاشتراكية العربية آخذين الملاحظات المذكورة بعين الاعتبار .

السويداء — شبلي العيسمي

أسف

بقلم عبد المحسن طه بدر

حين نشرت مقالتي عن « الشعر والتجربة الانسانية » في « الآداب » كنت انتظر نقداً موضوعياً رزيناً يعتمد من ناحية على حسن ظن بالكاتب يجعلنا نتابع آراءه برحابة لكي ندرك باخلاص ما يرمي اليه ، ويعتمد من ناحية اخرى على الوعي العميق بما نقرأ لكي نقدر نواحي الغموض والنقص ونواحي الانحراف ، فنوافق المؤلف على القضية التي يقدمها او نخالفه فيها مخالفة موضوعية صريحة مدعمة ، حتى لا نسيء بذلك للقضايا العامة وننحرف منها الى قضايا جانبية ونساهم في زيادة جو القلق الذي يسود حياتنا الفكرية .

واني أعتقد ان هذا واجب كل مفكر مخلص في مرحلتنا الحضارية التي نمر بها ، وهذا التعاون الواعي بين المثقفين لازم بصورة جدية وماسة حتى نتخلص من النقد البطولي الذي يرتكز على انفعال ذاتي سريع ، وذلك حتى لا تختلط القضايا اختلاطاً يصعب التفريق بين الجدي منها والهازل .

وفي اللحظة التي كنا ننتظر فيها مثل هذا النقد ، يحز في نفوسنا ان نجد الاستاذ عبد اللطيف شرارة يقدم لنا نقداً يعتمد على القراءة السريعة الخاطفة ، فيحملنا اولاً مسؤولية قضية لم نقررها ، ثم يقدم لنا قضية ثانية غريبة عن الشاعر ، ثم لا يفهم اخيراً ما نقصده بالتجربة الانسانية ، لينتهي في النهاية الى تقرير نتائج هي نفس النتائج التي قدمناها في بحثنا ، وليحدثنا في النهاية حديثاً هازلاً عن الماضي والحاضر ... ويأسف الانسان حين يجد نفسه مضطراً الى المناقشة في هذه القضايا الجزئية والمواقف المتناقضة ولكن لا بد مما ليس منه بد !

ينقل الناقد عنا ما قلناه من ان ميزة الشاعر الخاصة تنبع من دقة احساسه وتنبهه للصراع القائم بينه وبين قوى نفسه من جهة وبينه وبين بيئته في ناحية اخرى .

وحين يناقش القضية الاولى يغفل تماماً كلمة « خاصة » الواردة في تعبيرنا ليدعي علينا باننا قلنا ان الشاعر ليس انساناً كسائر الناس ، وليقرر لنا بعد ذلك في شجاعة هذه الحقيقة الاولية التي استقاها من علم النفس الحديث . ولو تنبه الناقد لكلمة « خاصة » في تعبيرنا لوفر على نفسه وعلينا مؤونة كبيرة في مناقشة لا جدوى منها ، فلا يوجد اي مثقف مهما بلغ من السذاجة لا يعرف ان الشاعر انسان مكون من عقل وعاطفة وارادة . ولم يكن ذلك ليكلفه الا قليلاً من العناية بقراءة المقال .

وبعد ان يقرر الناقد ان الشاعر انسان مكون من عقل وعاطفة وارادة ينتقل الى القضية الثانية وهي ان الشاعر كائن عفوي يستجيب لمجتمعه استجابة مباشرة ، وكان الناقد الفاضل يسقط تماماً جانب الارادة في العمل الفني وكان الشاعر اشبه برد الفعل المنعكس ينطلق وحده كلما لامسه شيء . وانا احب ان اطمئن الناقد الفاضل الى ان علم النفس الحديث نفسه يقرر ان عملية التعبير الشعري تنبع سواء وعى الشاعر هذه الحقيقة ام لم يعها من رغبة الشاعر في تبرير نفسه امام المجموع ، نتيجة لاحساسه بنوع من الانفصال بينه وبينه ، وذلك نتيجة لتنبه الواعي او اللاواعي لاحساسات جديدة ، وتكون العملية الشعرية نوعاً من الرغبة في التلاؤم

بيان من « الآداب »

•

تعلن مجلة « الآداب » الى المتعهدين والمشتركين والوكلاء ان جميع المعاملات المتعلقة بها قد اصبحت من حق صاحبها ومديرها المسؤول ورئيس تحريرها الدكتور سهيل ادريس . فالرجاء الرجوع اليه في كل ما يتعلق بالتحرير والادارة والاشتراك .

مع المجموع بأن يدعوهم الى الاقتراب منه والتفاهم معه. واني ادعو الاستاذ الناقد الى قراءة كتاب الدكتور مصطفى سويف عن « الاسس النفسيـــة للابداع الفني » وخاصة في الشعر قراءة هادئة غير متعجلة لعله يرى هــــذه الحقيقة اشد وضوحاً .

وما الذي يدعو الشاعر الى التعبير عن موقف معين اذا لم يكن قد تنبه فيه الى احساس جديد ؟

وبعد هذه المناقشة الجانبية ، اسأل الناقد عن اثر عفوية الشاعر او لا عفويته في القضية الرئيسية التي اقدمها في المقال، وهي ان الشاعر العربي لم يتح لذاته ان تتحرر تحرراً كاملاً بحيث يعبر عن تجربة انسانية مكتملة بمفهومنا الحديث عن التجربة .

اظن ان الناقد لم يتبين تماماً ما نقصده بالتجربة الانســانية، وهي ان يتحرر الشاعر من القيود والمسلمات المفروضة على ذاته ، ليقدم موقفــاً انسانياً بصورة مكتملة . وخلط الناقد بين كون الشاعر نتيجة طبيعية للشروط الحضــارية التي تمر ببيئته وبين تعبيره عن تجربة انسانية حقيقية .

فما لا شك فيه ان الشاعر الجاهلي كان استجابة طبيعية لحاجات عصره ومجتمعه ، وهذا ما قررناه في مقالنا وخرجنا بأن الشاعر الجاهلي كان داعية لقبيلته ، وقرر الناقد حكماً مشابهاً لحكمنا حين قرر بأن الشاعر الجاهــلي كان صحافي عصره. واني اسأل الناقد هل يعتبر الشعر الحقيقي صحافة ، وهل يعتبر مثل هذا الشعر معبراً عن تجربة انسانية حية كما نتصورها اليـــوم ؟

ثم ان ابا نواس كان تعبيراً عن الظروف الحضارية التي مرت به وهذا مــــا قررناه في مقالنا وقلنا انه حاول الخروج من ربقة التقاليـــد ، ولكن هذه التقاليد ما لبثت ان شدته اليها . فهل يعتبر الاستـــاذ الناقد شاعراً كان يعاقر الخمر مع الامين في الليل ثم يصفه في الصباح بأنه أمير المؤمنين وحامي حمى الدين قد تحرر تحرراً ذاتياً كاملاً ؟ وقد عبر شوقي امير الشعراء عن تجربة عصره ولكن عصره هذا كان عصر اتباعياً يؤمن بالقديم ومسلماته ويخضع الذات خضوعاً كاملاً لسطوة هذا الايمان، فهل يعتبر هذا الشعر تعبيراً عن تجربة انسانية ، وهل فيه لمحة او دلالة على حيـــاة شوقي الخاصة ونفسيته، وهل هو اكثر من ترديد مستمر للقيم الاجتماعية السائدة في عصره ؟

هناك فرق بين تمثيل الشاعر للشروط الحضارية التي تمر ببيئته وبين ان يعبر الشاعر عن تجربته الانسانية . اما عبارة الناقد الاخيرة بأن مـا مضى فات، فلسنا معه انه بمجرد انقضائه ينعدم تأثيره في الحاضر وبدون التنبه الحقيقي للماضي لا يمكننا البناء السليم للمستقبل .

هذا وانا لنود باخلاص ان يعود الناقد الى المقال ليقرأه قراءة هادئة، وفي انتظار نقد موضوعي، ارجو من الاستاذ الناقد ان يقبل اسفي وتحيتي.

القاهرة **عبد المحسن طه بدر**

إلى الاستاذ ساطع الحصري

بقلم ناجي علوش

تحية العروبة

وبعد فانه ليسرني ان اقدم لك اصدق ثنائي واطيب اعجابي على كتابك الجليل (العروبة اولا) لما فيه من فكر عميق مستنير يستشرف القضيـــة العربية الاولى .. الوحدة العربية استشرافاً واعياً لا يدع جانباً مـــن جوانب الموضوع الا ويلقي عليه شعاعاً هادياً ولا يدع فكرة الا والقى عليها نظرة .. نظرة صائبة ثاقبة تخترق ما عليها من قشور وما يحيطها من ضباب لتلتقي بها على حقيقتها .. ومن ثم تسير بها الى محراب الحقيـــقة وتضعها في الميزان ..

لست مستكثراً هذا عليك ولا مستغربة .. وانت ذلك العربي الواعي الذي واكب القضية .. قضية الامة العربية فاحاط بها علماً ووعى كلياتها وجزئياتها. ولكن هنالك قضيتين احب ان اطرحهما عليك لما اعتقده في طرحهما من فائدة .

اولا – ذكرت في كتابك كلمة (الشعوب العربية) عدة مـــرات واعتقادي انك لا تؤمن بأن هنالك (شعوباً عربية) وهذا واضح بين في كل سطر من سطور الكتاب، والذي اردته من هذا هو ان بعـــض الاقليميين والشيوعيين قد اتخذوها حجة قاطعة على وجود شعوب عربـــية، مع ان كلمة (عربية) تجعل المعطى مستحيلا . فقد يكون هنالك شعوب اسلامية وشعوب مسيحية ولكنه من غير المعقول ان تكون هنالك شعوب عربية او شعوب انكليزية، وسبب ذلك ان كلمة (عربي) تعني كائنا فيه صفات العروبة بينا كلمة مسلم تعني كائناً اتخذ الاسلام مذهباً ولهذا ولمـــا اراه في هذه الكلمة (الشعوب العربية) من مخالفة لعلم الاجتماع وتشوه

الامم ولما فيه ايضاً من مناقضة للواقع .. احب ان تستبدل هذه الكلمة . قد تكون عنيت بها فروع الشعب العربي .. ولكن القضية لم تختلف لان بعض الناس يؤمنون بأنك تقصد (شعوباً) بمعناها العلمي .

اننا نسمع كثيراً من هذه الكلمات (الشعوب العربية) وحتى الامم العربية .. ولكن مجرد اعترافنا بأن هنالك عرباً يعني بأننا نؤمن بـأن هنالك امة عربية واحدة .. وشعباً عربياً واحداً وان كانت بين ابنـاء هذه الامة حدود وسدود .. وقامت حكومات ودول وتطورت دولـة اكثر من اخرى .

ان مثل هذا التطور لن يكون في النوع .. بـل في الدرجة .. في الاطار العام وما دام ليس هنالك الا امة عربية واحدة اي مجموعة من الناس يتكلمون العربية ويعيشون في الوطن العربي لهم تاريخ وتقاليـد وعادات وآداب و ... و ... فمعنى ذلك ان ليس هنالك الا شعب عربي واحد .. فكل امة شعب ولا يعكس .. ولعمري لو كانت هنالك شعوب لاستحالت الوحدة !

ثانياً – تكلمت عن الوحدة العربية وعن ضرورة الاتحاد وضربت الامثال وجئت بالبراهين ولكن هنالك نقطة كنت ابحث عنها ولم اجدها.. تلك هي ربط قضية الوحدة بقضية الحرية ربطاً وثيقاً. انا اعرف اننا كلما تقدمنا خطوة نحو الوحدة تقدمنا خطوتين نحو الحرية وكلما تقدمنا خطوة نحو الحرية تقدمنا خطوتين نحو الوحدة ومن هنا يجب ان تكون نقطة الانطلاق. وقد خلت انك تعني الوحدة « بأي ثمن » وفي هذا ما فيه من المغامرة .

قد تقول لي .. ان الاستعمار لا يقبل بالوحدة ولو كان يقبل بها لمـا جزأ البلاد العربية وهذا منطقياً صحيح لان الوحدة هي الوسيلة التي ينهض بواسطتها العرب ولكن .. وعلى هذا الاساس ، الا تعتقد ان الايمان بمثل هذا .. اي (بالوحدة بأي ثمن) خطأ لانه مبني على افتراض غير محتمل ؟. ثم الا تعتقد بأن الاستعمار يكيف نفسه حسب ما تقتضيـه الظروف وقد تجبره الظروف عـلى القبول بالوحدة فماذا نكون فعلنا اذا حدث هذا ؟

انا اؤمن بأن الوحدة خير من التجزيئية، ولكن ما فائدة الوحدة اذا لم يستفد منها العرب ما يريدون ؟ وماذا يستفيدون اذا لم تكن طريـق الخلود ؟ يجب ان نؤمن بالوحدة .. ولكن يجب ان ننسى الحرية وليس معنى هذا انني اؤمن بما يؤمن به الماذيون .. الا وهو النضال القطري حتى تتحقق حرية كل قطر .. بل انني اؤمن بالنضال العربي الجماعـي الواعي في سبيل الوحدة والحرية .. الذي يستوحي خطوطه من مصلحة العروبة لا المصلحة القطرية .. والذي يعتمد على ثروة الامة العربيـة في انطلاقه وتراثها وعلى ثقته بنفسه وبأمته وعلى الا يؤمن بأن هنالك ثمـناً للوحدة غير النضال البطولي .. وايقاظ الوجدان العربي هـو الوسيلة الاولى للثورة وهذا ما كان واضحاً في كتابك ..

هذا ما احببت ان اقوله – على اني لا اكتمك ان الكتاب انجيل من اناجيل الثورة .. يجب ان يقرأه كل من يدعي أنه عربي .. وقد كان في في فترة نحتاج الى مثله .. فترة انفتاح العربي على الحياة .. وعلى المبادىء التي اخذت تتزاحم لتتمكن من ذاته .. فجاء هذا الكتاب زاداً لـه .. زاداً يحتاج اليه في معركة الحرية والبقاء .

ناجي علوش



نقد شامل [1]

بقلم الدكتور عزة النص

لعلك اخطأت يا صديقي في المهدة الى من لم تدركه حرفة الادب بنقد العدد الماضي من « الآداب » .. فالمحترفون احذق يداً في الكشف عن مهاد الذهب ، وأملك لمعايير الوزن والتقييم . فما علي اذن ان اطوف في اروقة الشعر والقصص كما يطوف الهواة الغمر ، أترجم عن استئناس القلب بتمتمة الاعجاب ، وعن وحشته بازورار العين ، وأخلص من ثم الى ميدان « المقالات الفكرية » .

وهل علي من حرج اذا بدأت بالتساؤل عن نصيب الادب وسائرالفنون الرفيعة في دعاوتنا القومية ، وعن الانتصارات الفكرية التي تدعم مصيرنا السياسي ؟

الحق ، انه نصيب بالغ الهزال ، ومعركة فنية واحدة نكسبها في المدى الدولي تعدل ألف ظفر في مجالات السياسة والحرب.

واذا لم يكتب لادبنا بعد ان تكون له اصداء خارجية ، فلا اقل من ان تتوفر له مشاركة داخلية . وليس ثمة من ريب في ان الشعوب العربية تخطط الان منعطف تاريخها . بل لا اشك في ان الايام التي نعيشها سيضعها المؤرخون في بداءة تاريخنا الآتي. فاين لبنة الادباء في هذا البناء ؟ وهل يشف ادبنا عن هذا التحول الضخم ؟ هل يسجل تاريخ ادب العرب اليوم ثورة مماثلة لثورة تاريخ العرب ؟

لا زلنا نرتقب الاديب الذي ينسج الغد المأمول،ويدفع بقضيتنا الكبرى بضمة اميال الى الامام .

الشعر الجديد

ولا يجدر ان امعن في التجني ، فالحق ان نبتاً زكياً بدأت تتفتح ازاهيره في سهوبنا المقفرة . والشكر لمجلة « الآداب » على تخيرها لعبقري البراعم .

ففي العدد الماضي قصائد معجبة تساير الواقع العربي في احداثه الجارفة وفي نزعته الانطلاقية . واكثرها باقات من الشعر الجديد المتحرر من أخطبوط القوالب العتيقة .

واعترف انني كنت اشفق على الشعر الجديد ان لا ينتزع الخلود ، فقد كانت ولادته لا تطمع في بقائه ،وتبدّى حين تبدى نضواً مهزولاً ، تعوزه الركيزة الفنية والرجع الموسيقي ، فكأن رواده الاول في نقمتهم على إسار الشعر القديم قد انجرفوا الى التحلل من كل قيد ، حتى قيد المعنى .. ولا اعرف فناً لا يعرف القيد ، بل لعلي لا اخطيء اذا زعمت ان الفن هو القيد : قيد القواعد في ربط الالفاظ او مزج الالوان والانغام . والتطور في الفن هو تغيير قيد قديم معاف بقيد جديد غير مألوف . وقد بين صديقنا الدكتور عبد القادر القط – في العدد الماضي من « الآداب »– ان الشعر الجديد أخذ يخضع لقوالب تتكرر في معظم القصائد ، وتكاد تطبع الشعراء الجدد جميعاً بطابع واحد .

ومهما يكن الامر ،فان الشعر الحر – بقيوده المستجدة – قد أثبت حقه في الوجود ، وهو سيعيش الى ان تمله وتتلهف الى صنوف من القيود جديدة ...

واذا رجونا ان يلتحم الادب مع كيان المجتمع ،فليس يعني ذلك اننا نحب له ان يقصر هدفه ويحد مداه . ولن يؤدي الادب رسالته اذا انكمش في الحدود التي يريدونها له . وليس المجتمع السوي الذي نطمح من الادب ان يسهم في خلقه مجتمع محتاج الى من يلهب حماسته القومية فحسب ، بل هو مجتمع يعوزه جمال الحب ورفيف الخلق وتهذيب النفس وامتداد الخيال ورهافة الحس واستعلاء الهمة ، وكل نوع من الادب يفي بواحد من هذه المطالب فهو موف حق المجتمع عليه .

وأحسب ان ما تقدمه « الآداب » من نماذج ادبية خالصة لا ينقصه جمال التنوع ، وان كنت احياناً آخذ على رياحينها محاكي اللوينات وتشابه العبق ..

وفي العدد الاخير قصيدة تصويرية للأستاذ بدر شاكر السياب يهديها الى زعيم الانتفاضة العربية في الجزائر مصالي الحاج، وهي تقوم على فكرة من فكر «مارلو» في ان الحياة هي التشبث بالحياة . فقد صور الشاعر غفوة العرب بقبر دفنّا فيه مع الهنا ونبينا. ولم يبق من آثارنا سوى انقاض متذنة معفرة، ثم عاودتنا عزة الحياة فنفرنا من القبور مهللين الى الجهاد واذ بالهنا فينا ونبينا معنا . والصورة كلها حارة نابضة ، ولا يضيرها في شيء ان بعض مقاطعها تقليدية الوزن .

وثورة الجزائر المتأبية تتنزى دماؤها وتخفق اعلامها في قصيدة« ثائر وحب »للاستاذ ابي القاسم سعدالله:

.. وهذه الجموع زاحفه

بعزمة كالعاصفه

خفاقة البنود

الى الغد المنشود

ونعود الى حديث القبور والنشور في مقطوعة الاستاذ سمير صنبر «حق النفس الاخير » والقصيدة هنا تصف جراحاتنا في فلسطين – وما اكثر جراحاتنا – وثأرنا القريب :

بالامس كانوا يحفرون قبورنا خلف الحدود

---

[1] عهدت « الآداب » الى الدكتور النص في ان ينقد « الابحاث » جرياً على خطتها الجديدة في تجزئة النقد الى ابواب . ويظهر ان سوء تفاهم قد حصل بين الناقد الكريم والمجلة ، فأرسل نقداً شاملاً للعدد ننشره زيادة في الخير والبركة ..

« قلم التحرير »

وغداً سنحفر قبرهم .. شيء جديد ؟

فرعون انتهى .. نيرون مات
لم يبق الا مجد ابناء الحياة

لولا الشعور
لكنت قوقعة تدور
على القبور

والمقبرة تحتل مكانها ايضاً في قصيدة «هي والحرية والآخرون» للاستاذ كاظم جواد ، وهي هنا ايضاً مرحلة تسبق مرحلة الامل والخصب والحب والعزة .

والنسمات الرخية تنشقها في مقطوعة «لحن» للاستاذ صلاح الدين عبد الصبور . فهذا المصباح الوحيد الذي يحمل عبء مولده في العتمة ، وهذه الجارة التي تمد الى الشاعر من شرفتها حبلاً من نغم .. هي تهاويل بارعة تحمل خاتم العبقرية الاصيل .

القصص

يعجبني في القصة القصيرة انها لا تزحم المواقف ، ولا تضطر الى افتعال الحوادث . وحسبها عقدة واحدة تضمها في جوها المحدود ، وتحاول تتبع مساراتها وتشابك خيوطها .

ولكن الاستاذ مطاع صفدي سلك نهجاً آخر في قصة «دقت الساعة منتصف الليل» . لقد اراد ان يروي قصة راقصة من جبال الاندلس قال لها جدها انها من اصل عربي ، فحلمت بزيارة بلاد العرب والرقص في ربوعها ، وحققت املها الكبير ، ولقيت المؤلف في حانة ، وراقصته واحبته ، ثم سافرت مع فرقتها ، وخرج يودعها الى الطائرة ، فحاولت باكية ان تشده معها .

هذه هي القصة ، وكان يسيراً على المؤلف — بخياله الخصب وصوره الدافقة واداته المتمكن — كان يسيراً عليه ان يجتزيء بذلك . غير انه جعل من القصة ثلاثاً ، واضاف اليها اجواء دخيله بينة الاقحام : كان مع شلة من الصديقات والاصدقاء في سيارة تنقلهم الى حيث يقضون سهرة رأس السنة ، فتركهم فجأة ودخل وحده الى ملهى متواضع ، وجلس وحده يعب اقداح الويسكي ، ورفض بغضب ان يجلس الى منضدته اباشة من رواد الملهى الحافل ، واخذ يجتر بعينيه راقصة افرنسية تتلوى في الحلبة ، ثم جالسها وبادلها الكؤوس وراقصها .. ولكنه كان بعيداً عنها بروحه . يراقص جسدها وهو يفكر براقصة اسبانية كان له معها شأن قديم ...

هذه القروية الاسبانية السمراء هي مدار القصة .. عرفت انها من اصل عربي ، وتزوجت من عالم آثار افرنسي ... واطلعت بطريق الصدفة ... على مقال طويل كتبه في مجلة الآثار ... ينفي فيه اصالة الفن العربي في الاندلس ... فناقشته — على جهلها — وكذبته ... ثم ضاقت ذرعاً به وباصدقائه العلماء .. وتركت بيته وسافرت مع فرقة راقصة تجوب بلاد العرب .. حتى تلتقي بالمؤلف وتربط قلبها به بعض الزمن .

فلم لم كل هذا ؟!

اما ملهاة «معرفة قديمة» للاستاذ عبد الغفار مكاوي ، فابرز ما فيها رشاقة الحركة وفجاءة الاجوبة ، لكن عنصر الفكاهة فيها زهيد زهيد ...

الأبحاث

معضلة الترجمة

لن تجد يا صديقي سهيل من يعارضك في حاجة ادبنا الملحة الى ترجمة روائع الادب من الغرب والشرق . فقد ترجم اوائلنا في القرون الوسطى كتب الفلسفة والعلوم . وظل ادبنا وحده بمنأى عن التمازج العالمي ، وهكذا تجمد افقه وقل تنوعه وافتقرت اغراضه . واذا اردنا لهذا الادب الفاً جديداً فلن يكون ذلك الا بفتح اقنية له على خضم الآداب الاخرى . ولن تجد ايضاً من يعارضك في ان اكثر المتصدين للترجمة اليوم لا يملكون اداتها . والترجمة تتطلب حتماً من العدة والمواهب ما يتطلبه الابداع .

واعتقد ان خطأ مطبعياً وقع في جملتك التي تقول فيها : « الحق اننا نقبل على الترجمة ، من حيث الكم ، إقبالاً شديداً جداً يكاد لاول وهلة يوحي بانه خطر على الابداع او الانتاج الذاتي . ولكننا نحسب ان ليس في ذلك أي خير ، حتى ولو كان هنالك من يسيء الترجمة عن اللغات الاجنبية الى اللغة الام » . فانت قصدت دون ريب ان تقول : ليس في ذلك اي ضير . والترجمة السيئة اجدى على الادب العربي من فقدان الترجمة .

ولكنك تجد معارضين كثيرين عندما تجزم بان بضاعتنا قليلة من الآثار العلمية المترجمة .. وهذا وهم ظاهري لا يدعمه الواقع . والا فلماذا تدرّس جميع معاهدنا ومدارسنا وجامعاتنا؟ انت تعرف يا اخي سهيل اننا عالة على الغرب ، لا في تدريس العلوم الرياضية والطبيعية والفلسفة وحدها ، بل في تدريس تاريخ بلادنا وجغرافيتها ، حتى وآدابها ..

والوهم يكمن في اننا نضع على المنشورات العربية في هذه المواضيع كلمة تأليف ، وهي كلها في واقع الامر مقتبسة عن المصادر الاجنبية .

وفي رأيي ان التراجم الادبية الى اللغة العربية تزداد في النوع وفي الكم عندما نفرض تعليم الآداب الاجنبية بلغاتها الاصيلة في مدارسنا الثانوية ، وبذلك نخلق ملكة التذوق لهذه الآداب من جهة ، ونخلق المثقفين القادرين على الاضطلاع بترجمتها من جهة ثانية . ولعل تفوق لبنان في ميدان الترجمة مرده ضعف تعليم الآداب الاجنبية او فقدانه في مدارس

مصر وسورية والعراق والبلدان العربية السائرة . وكان شأن النشاط الادبي في سورية غير شأنه اليوم عندما كان تعليم الادب الاجنبي واجباً مفروضاً على جميع خريجي المدارس الثانوية . ولست ارى في ذلك اية سبة او غضاضة ، بل اذهب الى القول بان دراسة الادب العربي ذاته تنشط وتقوى عندما تراصفها دراسة مقارنة لادب آخر .

واما تخير ما نترجم من آثار الشرق والغرب ، فلست معك في قصره على ما يعالج قضايا تمت بنسب القرابة الى القضايا العربية .. ففي ذلك تضييق لآفاقنا الادبية ذاتها وحدّ من دائرة معارفنا وتقليص لذوقنا

والرأي عندي ان نعتمد اختيار اهل الادب ذاتـه ، فنترجم ما ينال الجوائز الادبية المعروفة كجونقور وفيمينا وجائزة القراء الخ . في فرنسا ، او نتكل على انتقاء المؤسسات الثقافية الموثوقة في الغرب ، التي تستفتي القراء والنقاد عن احسن الكتب الصادرة في عام او في عشرة اعوام او نصف قرن الخ ..

وشيء آخر لا منتدح لي عن الالحاح عليه ، وهو تصدير كل اثر مترجم بمقدمة عن مؤلفه وجملة آثاره ومنحاه الفني ومذهبه الفلسفي . وبذلك يصبح للقارىء العربي فكرة شاملة عن التيارات الادبية العالمية ، وتتجمع له ثقافة واعية تعينه على وضع الاثر المترجم في موضعه الزمني والفني .

اللغة والقومية

دعوت منذ هنيهة الى تدريس ادب اجنبي بلغته الاصيلة في معاهدنا الثانوية . واجزم ان دعوتي هذه لا تعارض في شيء دعوة الدكتور كمال الحاج الى تعميم اللغة العربية في مدارس لبنان وجامعاته . فالمحافظة على عفاف الشعور القومي والمحافظة على عفاف الشعور الانساني تقتضي النطق والتفكير والاحساس بلغة الوطن الام ، كما يثبت ذلك الدكتور الحاج امتن اثبات . والاستمرار في جزء من الوطن العربي على « التأجنب » اللغوي هو سفاح فكري لا يستقيم معه خلق ولا ينهض شعور ولا يتبلور كيان .

والذين تناهدوا للدفاع عن لغتنا الفصحى وامكان صقلها وتسليكها وتنمية قوتها الادائية ، والذين تجندوا لمحاربة انصار العامية كثيرون . لكنني معزهو بالاعتراف ان محاضرة الاستاذ الحاج عن اللغة والقومية وفيما يتعلق بمشكلة التعليم في لبنان قد توجت كل ما قيل قبله .

واحب ان اعتقد ان صديقنا الدكتور انيس فريحه -- والدكتور الحاج يضعه في طليعة المحامين عن العامية -- قد اخلى قلاعه المتداعية عندما تقبّل دون تحفظ المقدمة التي وضعها لكتابه « اللهجات العامية في لبنان » استاذنا الكبير ساطع الحصري .

واحب ان اطمئن الدكتور الحاج ان اللغة العربية ، حتى في شكلها الحالي ، لم تعد عاجزة عن ان تؤدي كل معاني الارتقاء العلمي ، فالتعليم في سورية ، بمختلف مراحله الابتدائية والثانوية والعالية ، وبتنوع فروعه الطبية والرياضية والطبيعية والفلسفية ، يبذل باللغة العربية وحدها .

ازمة القيم في المجتمع العربي

لا خلاف في الرأي بيني وبين الاستاذ عبد الجليل حسن في مقاله التحليلي عن « ازمة القيم في المجتمع العربي » . فالظهار بين ما يمكن ان اسميه بالجيل الغيبي وبين الجيل الوجودي هو ابرز ما يفصم الكيان العربي القائم . وفي كل بيت عربي يتعايش تحت سقف واحد وعلى غير تفاهم أب يفيء في سلوكه اليومي الى راحة السعادة في الرضى والتسليم ، وابن قلق متحرق ، تحلل من الولاء للمفاهيم التقليدية المعطلة للوجود الجدير بالوجود .

ولكن الصراع المرير ليس كما وضعه الاستاذ عبد الجليل حسن بين المؤمنين بالمشيئة الميتافيزيكية وبين الشخصيات الهامشية المتنكرة للماضي والمتطلعة الى لندن او باريز او نيويورك او موسكو .. بل هو الصراع بين المؤمنين بقدرة العرب على الاستمرار في البقاء خير البقاء ، المدركين ان الديانة -- كل ديانة -- لا تعارض القومية التقدمية ، وبين الذين اتخذوا الدين مركباً وطيئاً لارضاء نهم ذاتي وكسب منفعة شخصية . هؤلاء هم بلية الشرق العربي وعلة فساد النظم الديمقراطية فيه . وهم الذين استغلوا ولا يزالون يستغلون جهالة الجماهير ونزعتها التقليدية الموروثة .

القاهرة — عزة النص



القصائد

بقلم صلاح الدين عبد الصبور

شعر هذا الجيل هو – بلا غرور – الاتجاهة الصحيحة بالشعر العربي الى ارض الشعر. فقد كان شعراء الاجيال الماضية يحلقون بجناحين زائفين وربما هوّموا في غير ارض، وقد يحط احدهم حطة قصيرة ريثما ينقر نقرة ثم يطير في سماء جهام . اما هذا الجيل فهو جيل المخاطرات ، اقدامه مغروزة في الطين ، ويداه بالحياة غضتان ، وعقله كوني مستنير ، وقلبه مبتهج وقلمه شريف .

هذا الجيل يصنع اعمالا كبيرة . ولكن مجده الحقيقي انه يطمح دائماً الى الاكبر، والقفزة الرائعة قد تكسر عنق القافز ولكنها – رغم ذلك – مجد يوقظ الاعجاب الرائع او الالم الرائع .

ولذلك فلنا اخطاؤنا ، ولكن هذه الاخطاء هي وسامنا لاننا نرتاد قارة ونستكشف نهراً ، ونبني قلعة .. في ارض الشعر .

ويقول بعض الناس « لقد سقط شعركم في وهدة القالب ، واصبح افكاراً مكرورة . . » وهل نجا شعر من القالب ؟ لقد كان الفتى عندنا اذا بلغ مبلغاً ضئيلاً من العلم باللغة وجد حقاً له ان يقول الشعر . وكان نموذجه هو « قفانبك » و « رمى القضاء بعيني جؤذر أسداً » . واغلب الظن ان كثيراً منهم كان يجلس في منظرته وامامه اماليه واغانيه وعقده . ثم يهرش قفاه ويكتب ما شاء الله له . ويذيع ذلك في الناس فيسمعون متجملين اول الامر فاذا اثقل عليهم بشعره جبهوه بالقول الغليظ فاذا عاد فالفكاهة اللاذعة ، حتى اصبح الناس في واد وهذا الشيء الرفيع في واد آخر ، الى ان اتى جيلنا فصنع وصنع . وتلفت الناس ليجدوا حياتهم . واقبلوا على هذا الشيء وجلين اول الامر . فلما ذاقوه اساغوه ووجدوه طيباً . اما تلك الناشئة التي كانت تقلد « رمى القضاء بعيني جؤذر اسداً » فقد اخذت تقلد هذا النمط الجديد الصاعد . وسقط بعضهم في وهدة القالب ولكل فنٍّ عظيم صرعاه . وهؤلاء هم صرعى الشعر .

لقد اطلت في هذا واشباهه . ولكن الشفاعة ان هذا كلام امتلأ به الصدر وغمغم به اللسان . وما قلت كل ما كنت اريد . فليكن الباقي من عندك . ولننظر في شعر العدد .

في المغرب العربي – للشاعر بدر شاكر السياب

في هذه القصيدة محاولة شكلية طيبة ، وهي المراوحة بين وزنين . ولكن مما يعيب هذه المحاولة انها بلا منهج ملتزم . فقد كان الاوفق ان تثنى الاصوات في القصيدة . فصوت ذو نغم يحكي الحاضر . وصوت ذو نغم آخر يحكي التداعيات . وقد نتج عن التداخل بين الذكريات السالفة والكفاح المعاصر المغرب العربي ان ظن بعض من اعرفهم من القراء ان السيد السياب يهاجم الدين لبعض التعبيرات مثل :

وهذا قبرنا : انا ومحمد والله

ومبلغ فهمي للقصيدة انها اسلامية الاتجاه . بدليل تداعياتها الى الاحباش في مكة والتتار في بغداد والمسيحيين في الاندلس . كما ان المفارقة التي بنيت عليها القصيدة هي اننا نحن المسلمين مازلنا نؤمن بالله في حين ان البغايا الباريسيات يتخذن وسائدهن من لحم المسيح . ولهذا فان الغرب يحاربنا نافساً علينا ايماننا بالله .

اعاد اليوم كي يقتص من انا دحرناه ؟
وان الله باق في قراناما قتلناه
ولا من جوعنا يوما اكلناه
ولا بالمال بعناه
كما باعوا

وهذا الفهم للكفاح في المغرب خاطىء تماماً . فليست هي صليبية اخرى . يُنتصر فيها بان نبعث محمداً والله . فان الفهم الواقعي الحيوي اعمق من هذا بكثير ، واشد بعثاً على الحماس والقتال . ولي ملاحظة صغيرة وهي ان الذي اكل الآله هم العرب كما حدثنا السيد السياب في قصيدة سابقة له . وشيء اخير وهو اني لم استطع ان اعرف وزن هذه الابيات :

(ان يرى ظلاله على الرمال)
ثم فامسى تأكل النيران من معناه
(ويركله الغزاة بلا حذاء)
بلا قدم
وتنزف منه دون دم .. الخ
فيا قبر الآله على النهار
(ظل لالف حربة وفيل)
ولون ابرهة
(وما عكسته منه يد الدليل)
والكعبة المحزونة المشوهة

اللاجئون – للشاعر موسى النقدي

قصيدة متواضعة . اخشى ان تكون قد سقطت في وهدة (القالب الحديث) ولا ادري لماذا اجد فيها ارواح شعراء آخرين . وهذه التأثرات لم تصهر كلها في بوتقة واحدة بعد . فشاعرنا المكافح ذكر الحبيبة في السطر الثاني ، ثم لم يدخلها في بناء القصيدة كعنصر من عناصرها . وهذا الشاعر المكافح يجعل نفسه طفلا في خوف من الاشباح يبحث عن ضياءثم يريد بعد ذلك ان يصارع الليل ويعلن نقمته على الاغاني الباكيات التي هي كالمجامر في الجليد (لماذا ؟) وهل يكون الليل رمزاً للمحنة والقمر رمزاً للنور المرتقب ؟ لعل . ولكن اما كان يجدر بالشاعر ان ينتظر بالقصيدة حتى يتم استواؤها ؟

هي والحرية والاخرون – للشاعر كاظم جواد

هذه القصيدة هي احسن ما قرأت للشاعر كاظم جواد . ففيها نغمة عاطفية عذبة . وروح شاعرة منسابة . لم يفسدها التعقيل او اصطناع المواقف ، والالتفاتة الاخيرة الى الناس مشرقة حقاً . وموسيقية القصيدة ذات وقع عذب رقيق وإن كنت لم افهم بعض التعبيرات مثل :

وكان ان صادفتها (ترتدي غابات عينيها شذى قلبي)
و شمس نهار الليل في دربي
و مصرع همس الضوء

كما ان لي اعتراضاً صغيراً على العنوان فعناصره لم تمثل في القصيدة بالعدل، وإلا فاين الحرية؟

واخيراً ما وزن :

لم يعد يسمع اطفالنا (عن قصة الحمل مع الذئب)

حتى النفس الاخير – للشاعر سمير صنبر

لا ادري لم انصرف عن كثير من الشعر المقول في نكبة فلسطين اسفاً . اترى هذه النكبة لم تهزنا الى الحد الذي يفتق قرائحنا ؟ الا تستطيع هذه النكبة ان تجد تعبيرها الخاص ؟ لِمَ نلجأ الى التأوهات الصارخة ، والهتافات العنترية الجوفاء ؟ والتأوهات تلبس الفاظاً جديدة ولكنها لا تعدو ان تكون تأوهات .

ضاعت مرابعنا وضاع المجد والحلم العظيم

والهتافات العنترية تتخذ هي الاخرى الفاظاً جديدة . ولكنها ما زالت (عنتر بن شداد) في بذلة ومعطف بدلا من شملته البدوية

وغدا سنحفر قبرهم ... شيء جديد(لماذا) ؟
لا شيء غير السجن والتشريد والدم والقيود
وهتاف شعب لن نحيد

ثأر وحب – للشاعر القاسم عبدالله

هذا كفاح المغرب ثانية في تعبير مباشر يتخذ عناصره من الوطن والحبيبة والرفاق . وفيه مشاهد جميلة للارض التي يتوجه اليها الشاعر بشعره . كما ان ذكر الحبيبة اضاف الى القصيدة ملمحاً انفعالياً جديداً . وفي القصيدة حدة ونغم مندفع .

ولكن القصيدة – رغم ذلك – لم ترتفع الى ذروة ولم تحلق في سماء. فمعانيها سهلة المأخذ تكسوها القوافي والموسيقى بحلة فخامة شكلية .

وليصدقني الشاعر ان قوله :

فن اطل من عدونا
كناله من فورنا القدر

دفع الى ذهني مشاهد السينما الامريكية وشجاعها. وانت ادرى ان الخلاص من الاعداء ليس سهلا الى هذا الحد .. يا ليت .

. . . .

لم يبق من شعر العدد الا لحن لصلاح الدين عبد الصبور، وقد رأى كثير من الاصدقاء انها قصيدة طيبة ،بينما قال احدهم انها رديئة، والامر لكم وارجو المعذرة.

القاهرة صلاح الدين عبد الصبور

القصص

بقلم عائدة مطرجي ادريس

«ستنقدين انت القصص هذه المرة» . هذا ما قاله لي زوجي ، فضحكت ! وعرفت انه في مأزق. انه ما زال منذ أيام ينتظر لقصص العدد الماضي نقداً وعده الاستاذ يحيى حقي به ، ولم يرسله له بعد . واذ قطع الامل ، وقف حائراً يفكر ، ثم بادرني بلهجة رئيس التحرير: «ستنقدين انت القصص. اليس كذلك؟» فلم اجب . لقد احسست بارتباك شديد. ماذا يريد من وراء ذلك؟ انه قلما ينبئك بفكرة له قبل ان يعركها بعقله ، ويتمثل نتائجها واضحة بيّنة . ما هو بالمازح اذن . فلعله يبغي من وراء ذلك ان يحدد امكانياتي ويحصرها حتى تبدو ضئيلة ، صغيرة فيحطم عجرفة تقفز فيّ بين فينة واخرى كلما عرض عليّ شيئاً يود نشره سواء من انتاجه او مما يرده من مواد للمجلة ، كانت نظراته تعني : « افصحي الآن لنرى ! » افصحي عن « موهبتك » بالفاظ وجمل ستتحملين انت وحدك نتائجها . انه ما زال يحمل في نفسه لي بعض الضغينة . لقد آلمه منذ اول اجتماع تمّ بيننا ان انقد « حيه اللاتيني » المدلل شفهياً بشيء من الاذى من غير ان اتحمل بعد ذلك نتائج ما قلت . من يدري ! لعله اعتبر «هذه الصغيرة » مجرمة في دنيا النقد، فبات ينتظر فرصة مواتية ينتقم فيها لنفسه ! وها هي الفرصة تسنح . انه اكبر نصر يسجله علي . فهو يوقعني اليوم في حفرة تحرسها ألسنة قصاصي هذا العدد وقرائه ، وكلها مسنونة حادة. ولعل هذا الافتراض قد اقترن بآخر ، فلقد بلغ به مبدأ الاخذ بحقوق المرأة حداً جعله يتطلب منها ان تشركه في جميع نتائجها. فلتتحمل اذن هذه الحقوق ، ولتتحمل كشريكها الرجل كل ما يتحمله .

يجب ان يشركني في الثناء — ان كان هناك من يثني على « طفلة » ما تزال تحبو في دنيا الادب — وان آخذ نصيبي من الهجوم يوم يكال لي ، كما يأخذه هو. ولكن الصاعقة تظل على رأسي اثقل ، فسيجد اكثر مني فرصاً امامه يهزأ بي فيها ضاحكاً شامتاً . وما اخال نفسي الا في هذه الحالة يوم انشر على الناس نقدي الخافت فيضحك هو ، واحني رأسي انا .

ومع ذلك فسأمضي. ما يدريني انني خلقت لأخبّ في هذا الميدان ، وان كان لا بد لي من ان اتعثر . ولكن بيدي سلاحين يشدان في همتي ويدفعانني في نهاية الامر : صراحة وجرأة يجعلهما شرعيين بعض اطلاع وبضعة معلومات كونتها من نقد وقراءة القصص الاجنبية .

لا بد ان يكون اول حاقد، وربما سلط علي لسانه السيال ، هو الاستاذ مطاع صفدي. ولكنني سآمن شره ، اذ اعترف بأن قصته « دقت الساعة منتصف الليل » كانت موفقة ، وهذا شعور توحيه القصة للوهلة الاولى . وان كانت تعيد الينا — نحن قرّاء الآداب — خيال بطلة يدور حول وجودها بعض التباس ومبهما لنا قصاص بارع هو عبد السلام العجيلي في «سالي». هنا في هذه القصة وهناك ، يعيد وجود فتاة تعيش وتتحرك صورة لفتاة اخرى عاشها الكاتب من قبل او عاشت في مخيلته . ولعل جمال قصة الاستاذ « العجيلي» وتثبيتها في ذهننا هما اللذان جعلا الشبه يقفز اذ نرى تقليده هنا في هـذه القصة .

ولا بد لنا من النفاذ قليلاً لنوفي النقد حقه . واول ما يهمني في هذه القصة هو ان اسجل شيئاً كثيراً ما كنت احسه كلما طالعت قصة للاستاذ صفدي . ان التوفيق يحالفه ما دام صادقاً مع نفسه ، يسجل على الورق الفاظاً هي خميرة شعوره وافكاره واحساساته تلك الملتهبة ، احساسات هذا الجيل الذي يسحقه واقع الحياة المرير، المتربص له دوماً بعيون تقدح شرراً ، واقع حياته وبيئته وامته ، هذا الجيل الذي لا يسعه الا ان يهرب منه بعض الوقت ، يفرغ همومه في كؤوس من الخمر تحرق احشاءه وتصدع شعوره فيضيع عن نفسه ، ويفقد حس الزمن ، هذا الحس القتال للذين يتوقعون من حياتهم معنى ، فيظلون في مكانهم والارض من حولهم تدور ... والسنوات تكر . .

ان نفسية كاتبنا ، هي في الحقيقة نفسية هذا الجيل الممزق. انه يعني عذابه وعذاب الآخرين من بني امته ، اولئك الذين تعفّن فيهم الحرمان . وهو يمثل خير تمثيل هذا الشباب الذي يبحث عن نفسه وعن معنى حياته وسط هذا الجو من العبث الرهيب المحدق به من كل جهة « ماذا اتيت افعل هنا ؟ » ليت هذه الكؤوس وتلك الراقصة تشفيانه من جحيمه ، اذن لهان الامر . ان في نفسه توقاً الى الانطلاق ، الى الانفلات من هذه القيود التي تكبله « اود ان أكون تطلعاً » وان في نفسه لثورة تندلع ، فيحاول ان يقذفها خارجاً عنه علها تخفف من لهيبها . ولكن هيهات ان يفهمه مجتمعه ! انه فنان ، والفنان يلتقط ارقّ المشاعر ويضخمها . انه بتعبير آخر يستبق الزمن

وهو مع ذلك مضطر الى ان يعيش حياتهم هم ويشاركهم فيها وهذا هو مصدر آخر لعذابه « انا اعبر عن الثورة باداة الثورة وبعلمها وفنها . واما هم فلم يعرفوا بعد انهم يعدون لجيل الثورة، لتاريخ الثورة » .

هذا الجو الذي خلقه الاستاذ صفدي لنفسية البطل كان على غاية الصدق كما ان الابعاد الخارجية لهذا الجو كانت تتلاءم معه تلاؤماً قوياً ، آفاق مقهى معتم في مدينة كبلتها قيود التقاليد فسعى اليه اهلها يفرغون كؤوسهم على انغام خفيفة توقع ، وراقصة اجنبية تتهادى ، وخـادم يسرع في تلبية الطلب « تشده الى الارض دائماً كلمة حقيرة : امرك » .

لقد وفق الكاتب في خلق هذا الجو ، لانه كان صادقاً في التعبير عن هذه الاحساسات التي عاشها حتى اصبحت جزءاً من كيانه الحي ، فلما اراد ان يعبر عنها على الورق لم تخنه ، بل اندفعت سلسة لا تعوزها الصورة ولا تنقصها المفردات ولا نبضات الحياة الحارة .

وليس الامر كذلك في خلقه جو نفسية الراقصة ، انه جو مصطنع ونفسية لم يحتك بها الكاتب . ولكنها جاءت هنا بنت عقله ، جاءت ليحملها اقوالاً وآراء لا يتسع له المجال للتعبير عنها . انه يقر بكونها مجرد راقصة . ومع ذلك فهو ينصبها ضميراً للانسانية التي لا يسعها ان تغفل عن الحقيقة الكبرى ، وهي انه كان للعرب – في الاندلس – فن يحمل فيما يحمل طابعاً خاصاً بهم. ولكن هذه المهمة التي حمّلها للراقصة الاجنبية لاتتلاءم مطلقاً والواقع . اي شيء ياترى يربط هذه الاسبانية بالقضية العربية الكبرى ؟ وما الذي دفعها الى ان تغضب وتثور لاحتقار الاوروبيين العرب ؟ لقد احس الاستاذ صفدي نفسه بالمأزق يحدق به فجعلها تتساءل في نفسها عن سبب غضبها « ترى وما في ذلك لكي اغضب ؟ » الأن اجدادها ، بل اجداد اجدادها كانوا من اصل عربي ؟ لا اعتقد ان هذا الموقف معقول، مهما كان اعتراض البعض قوياً في ان بعض دم عربي ما زال يتسرب في عروقها وان ماضياً مجيداً مايزال حيـاً بآثاره لا يمكن ان يفنى ، بل سيظل يتغلغل وينتقل جيلا بعد جيل بالرغم من الانفعالات الكثيرة التي تطرأ على امته .

لا شك ان للوراثة اثرها الشديد في كيان امة ما. ولكن الوراثة ، لكي تظل لها فاعليتها يجب ان تنتقل من جيل الى جيل . والوراثة العربية ، ألم ينته اجلها منذ افول آخر عربي من ارض الاندلس ؟ واسبانيا اليوم ، الا تعيش حيـاة اوروبية – سياسياً واجتماعياً ونفسياً – وشعبها يعيش تلك الحياة واصبح يتميز بها ؟ ذلك انه بات من الضروري ان ينسكب في بوتقة بيئته وتاريخه، فكيف يعقل اذن ان تثور – راقصة اسبانية – فتهجر زوجها وبيتها وتتيه في الارض راقصة متشردة لتدافع عن مجد العرب التليد؟

ولعل ما يزيدنا في الاعتقاد بأن شخصية البطلة هنا جاءت مصطنعة ، مفسدة للجو القصصي الذي خلقه البطل، ان الكاتب لم يحس دورها احساساً قوياً تغدو معه قطعة من كيانه الفني، فهو يخاطب الراقصة الفرنسية « لماذا اخترتني من بين الحاضرين، انا بالذات؟» والواقع الظاهر من سياق القصة ان هذه الراقصة لم تختره ، بل لم تلحظ وجوده بين الحاضرين وانه هو الذي بعث يطلبها اليه . فما معنى قوله لها « لماذا اخترتني » ثم يتركها تجيب « انك لا تبدو مثلهم » . أتكون الراقصة قد سعت اليه في الوقت الذي بعث يستدعيها؟ قد يكون ذلك، ولكن تسلسل القصة لا يشي بهذا، بل يبلبل القارىء ويقطع عليه لذة المتابعة اذ يدفعه في غمرة القصة الى التساؤل والبحث والرجوع اكثر من مرة الى الوراء ليرغم نفسه على الانتباه، وهذا غير مستحب في سياق القصة ، والقصيرة منها بنوع خاص . ولئن كان من المستحب ان يخلق القصاص جواً من الغموض ، فهذا لا يعني ان يتجاوز الغموض حده ويفضي الى الطلسم، الذي هو اكبر عنصر معيب للقصة على ما اظن . .

هذا هو المأخذ الكبير الذي يعيب القصة . جـوان متناقضان يستوليان على القارىء : جو من الواقعية المحض – جو البطل – وجو من المثالية المتعالية – جو البطلة – لا يربط بينهما شيء . بل تبقى الحفرة فاغرة فاها .

ومع هذا تبقى القصة ممتعة تستولي على القارىء وتحرك فيه لذة العين والقلب والفكر ، فالصور فيها زاخرة حية ، والاحساس صادق ، حار ونبيل، يتمثل خاصة في تصور مأساة البطل وتعلقه بابناء امته ، والمعلومات – المستمدة من الفلسفة الوجودية بنوع خاص – وافرة عميقة .

الكلمة الاخيرة – بقلم م. الزعبي

نداء بقالب قصة يوجهها شاب الى «كل فتاة لا تنظر الى ابعد من صدرها» . وكان احرى به – اقصد بطل القصة – ان يوجهها الى كل شاب ينسى نفسه ويقذف بمبادئه ويضغط على ضميره فيحلل لنفسه كل شيء ساعة تلف ذراعاه عنق امرأة . اية امرأة كانت ! ما كان اجدره ان يتعظ هو قبل ان يعظ هذه «المومسة» كما يسميها ، وان يدرك معنى الشرف ويسير على هديه قبل ان يدعو اليه فتاة غمرها الفسق ولم تكن هي الوحيدة المسؤولة عنه ، وانما كان الرجل شريكها في الجريمة ايضاً . كيف ينكر عليها تلبيتها لنداء جسدها – هذه التي حرمها المجتمع ان تشعر بأية متعة سواها – ويبيحها هو لنفسه ، ومعها ، هو المتزوج المحب لزوجته كما يدعي ؟ لماذا لا يستطيع ان يتلفظ باسمها ، الأنها ارتدت بعد عامين من وعظ متواصل كان يجدر بها من بعده «ان تدرك انها لم تخلق عبثاً ، وان امة بكاملها ترزح تحت نير الفقر والجهل والمرض والاستعمار بحاجة اليها» . والواقع لو فطن البطل لادرك انها ارتدت منذ اللحظة التي شعرت بضعف الرجل فيه الرجل الواعظ ، الذي تنهار ارادته امام مفاتن جسدها . لقد احس هو بغلطته فاجابته «بأن هذا شيء طبيعي» . فكان «عزاء له» . والحقيقة انه لو كان مخلصاً صادقاً في ما كان يدعو الفتاة اليه لشعر بخطيئته الكبرى ، ولما سكت عنها واوجد لنفسه عذراً .

ولا بد لي من كلمة صغيرة اقولها في مغزى هذه القصة ، فلن تصل امتنا العربية الى ما يطمح اليه الشباب ان تكونه الا اذا تحمّل الرجل فيها مسؤوليات ذنوب يشارك هو نفسه المرأة في ارتكابها .

اللاجئون: لبيرل باك ، ترجمة سليمان موسى

ليس في استطاعتي ان احكم على الترجمة من حيث هي ترجمة ، ولا على دقتها وأمانتها في النقل ، لأنه لم يتح لي ان اطلع على الأصل . وسنفرض ان المترجم قد ادى جو القصة الحقيقي بما فيه من دقة شعور ورهافة حس . فهي قصة جميلة دون ريب . ويبعث هذا الجمال شيء من الرهافة البالغة لا يستطيع المرء احياناً كثيرة ان يعبر عنها ، يضاف اليها بساطة غريبة مستحبة . ومع هذا فالشعور الانساني يصرخ فيها . انها قصة قوم من اللاجئين اضطرتهم المجاعة الى ان يبتلعوا آخر ما تبقى عندهم من بذور للزرع فرحلوا عن اوطانهم بعد ان اجتاحت اراضيهم السيول . من هذا السرب الهائل من اللاجئين شيخ مسكين انثقل الجوع والحمل والتعب جسمه الهزيل فارتمى على حافة طريق . ومر به رجل قد استنفد اللاجئون كل ما تبقى في جيبه من النقود الا قطعة من الفضة ابى عليه شعوره الانساني ان يحتفظ بها حين مر بالشيخ . وبعد تردد قصير وضع في يده المرتجفة هذه القطعة الفضية واردفها باخرى نحاسية هي آخر ما تبقى في جيبه . ولكن هذا الشعور الانساني يتجلى اكثر من ذلك في نفسية الشيخ الذي ابى ، على جوعه ، ان يشتري بالقطعة النحاسية الاخرى شيئاً لنفسه . فهو يود ان يخبئها ليشتري فيها بذوراً لحفيده يزرع فيها ارض آبائه من بعده . وهذه الحركة تظهر لنا اعمق شعور بدائي عرفه البشر ، الا وهو التعلق بارض ورثت عن الاجداد ، وحب المحافظة عليها ونقلها من جيل الى جيل ، هذه المحافظة وهذا النقل يمنحان الانسان الشعور بانه لن يموت ، بل سيخلد في احفاده ..

ولقد ذكرتني هذه القصة القصيرة باخرى عرفها العرب ، تشبهها الى حد بعيد ، تتلخص بهذا القول الذي يردده كثيرون «غرسوا فأكلنا ونغرس فيأكلون» .

ولعل الذين فرضت عليهم الهجرة من ابناء فلسطين يشعرون اكثر من غيرهم بهذه المأساة التي تكمن في الحنين الى ارض درجوا عليها منذ الصغر واقتاتوا من نباتها . وهم اشد شعوراً من غيرهم بعزة اللاجىء التي تفرض عليه بالرغم من الجوع ان يحتفظ بكرامته كما فعل هذا الشيخ الهرم الذي ابى ان يستجدي ، وصرّح للمحسن اليه انه من قوم ما تعودوا الاستجداء يوماً ، بل اضطرتهم السيول ان يرحلوا عن ارضهم .

***

وبعد فلا اظن انني قد وفيت النقد حقه . ولا اعتقدني قد سددت فراغاً كان تخلف الأستاذ حقي سبباً له . انها محاولة ، وعسى ان تفلح فيما بعد .

عائدة مطرجي ادريس

الى القراء

ضاق نطاق هذا العدد عن استيعاب مواد كثيرة كان ينبغي ان تدرج فيه كعدد من «المناقشات» الهامة وسواها . وسنستدرك ذلك في العدد القادم.

النشاط الثقافي في الوطن العربي

لبنان

محاضرات اقتصادية وعلمية

ما يزال موسم المحاضرات زاخراً في الندوات البيروتية التي يقبل عليها المستمعون اقبالاً يتفاوت بالنسبة الى الموضوعات التي تعالج والمحاضرين الذين يعالجونها .

وتتناول هذه المحاضرات جميع الشؤون التي تمت الى الحياة والفكر بصلة . فقد اقيمت هذا الشهر عدة احتفالات لمناسبة الذكرى الخامسة والسبعين لوفاة دوستويفسكي، والقيت محاضرات ادبية مختلفة في موضوعات شتى . ولكن لوحظ ان المحاضرات العلمية والاقتصادية تزداد كل يوم ، مما ينم عن تنبه المفكرين والقادة الى ضرورة ادخال العنصر العلمي في تفكيرنا وحياتنا .

وكانت اهم المحاضرات الاقتصادية تلك التي اقامها النادي الثقافي العربي الذي اعيد افتتاحه منذ مطلع هذا العام ، وكان قد توقف عن العمل لتغيب اكثر مؤسسيه . ويضم هذا النادي نخبة من الاساتذة والطلاب والشباب القوميين العرب الذين يعملون على الصعيد الفكري الثقافي من اجل توضيح القضايا العربية الغامضة وخدمة الفكرة العربية الخالصة .

وقد القى الدكتور احمد السمان عميد الجامعة السورية ، بدعوة من النادي الثقافي العربي ، محاضرة عن «الاقتصاد الصهيوني» كان لها اعمق الوقع في الاوساط المطلعة . كذلك القى الاستاذ سعيد حمادة رئيس دائرة التجارة في الجامعة الاميركية ببيروت محاضرة قيمة عن اثر استغلال الاراضي في حيازتها في اقتصاد الشرق الاوسط .

والقى الاستاذ برهان الدجاني محاضرة مركزة عن توحيد الاقتصاد في البلاد العربية بدعوة من جمعية متخرجي كلية المقاصد عالج فيها العقبات التي تحول دون قيام الوحدة الاقتصادية العربية والمشكلات التي تدور حول هذا الموضوع .

هذا وقد اقامت هيئة الدراسات العربية في الجامعة الاميركية ببيروت مؤتمرها السادس في منتصف الشهر الماضي ، وكان موضوعه هذا العام « البحث العلمي في العالم العربي » .

وقد اشترك في القاء محاضرات هذا المؤتمر الدكتور شارل مالك في موضوع « البحث العلمي في العصر الحاضر » والاستاذ شبث نعمان في «حاجة العالم العربي الى البحث العلمي» والاستاذ فؤاد صروف في موضوع «مقومات البحث العلمي » والدكتور مصطفى نظيف في موضوع « تنظيم البحث العلمي في العالم العربي » .

نشاط المجلات الادبية

من اهم المظاهر التي تجعل لبنان مصدراً هاماً من مصادر الانتاج الادبي نشاط المجلات والصحف التي تصدر فيه . وبالرغم من ان استهلاك القارىء اللبناني للانتاج الادبي محدود نسبياً ، فان عدد الصحف التي تطلع على القراء يزداد يوماً بعد يوم ، وبالرغم من ان خطة هذه الصحف ليست دائماً واضحة مركزة ، فان ما تبذله من نشاط يثير الاهتمام ويضمن لها عدداً معيناً من القراء ، في لبنان وفي كل بلد عربي آخر .

وتهتم الصحف الشهرية الادبية باصدار اعداد خاصة في كل موسم او عند كل مناسبة ، فقد اصدرت مجلة « الرسالة » اخيراً عدداً خاصاً عن عمر فاخوري حافلاً بالمقالات والآراء حول ادب صاحب « الباب المرصود » . وتنوي « الثقافة الوطنية » ان تصدر عدداً خاصاً عن الاديب نفسه ، ولكن من وجهة نظر خاصة ، كما ان هذه المجلة ستصدر هذا الشهر عدداً خاصاً بالقصة. اما مجلة « الحكمة » التي تهتم في اعدادها الاخيرة اهتماماً ملحوظاً بالريبورتاج والتحقيق والاستفتاء ، فسوف تصدر قريباً عدداً خاصاً بميشال شيحا الكاتب اللبناني بالفرنسية ...

اشتات ادبية

● استعاد الاديب الكبير الاستاذ مارون عبود صحته الغالية بعد عدة شهور انقطع فيها عن القراء . وقد عاد الاستاذ عبود الى قرائه بروحه الادبية الظريفة وقلمه السيال .

● منعت جريدة « الرأي » نهائياً من دخول الاراضي اللبنانية ، لانها صريحة جريئة واضحة في اتجاهها القومي العربي .. بينما يسمح لمجلة « ماتش » الفرنسية التي تهاجم العرب في كل مكان بدخول لبنان .. فرحى لوعي وزارة الانباء اللبنانية !

● علق صاحب مجلة « الصياد » على الكلمة التي نشرتها « الآداب » في العدد الماضي حول دفاعه عن « اخبار اليوم » ، فهاجم صاحب « الآداب » وعائلته بما يشبه الشتائم الغوغائية التي ينضح إناء صاحبها بما فيه ..

● لا تزال جمعية « اهل القلم » تسير بخطوات قانونية هادئة نحو الاستقرار بعد ان بريء رئيسها الاستاذ ادوار حنين من التهم المفرضة التي وجهها اليه بعض الموتورين ممن ابعدتهم لجنة الانتساب عن صفوف الجمعية .

● احتفلت وزارة المعارف اللبنانية بذكرى مرور خمسة وسبعين عاماً على وفاة دستويفسكي ، فالقى عدد من كبار الادباء كلمات طيبة مجدوا فيها فن الروائي الروسي الكبير ونزعته الانسانية .

● تهتم الدوائر المسؤولة في الحكومة اللبنانية اهتماماً جدياً بالحركة التي نشطت اخيراً لاحلال اللغة العربية محل اللغات الاجنبية في مناهج التدريس الثانوي بالمدارس اللبنانية .

النشاط الثقافي في الوطن العربي

وقد صدرت منذ أشهر مجلة اسبوعية باسم « الشعلة » تثير بعض المشكلات الادبية التي تحاول حلها بواسطة الاستفتاء ، كما ان الاستاذ قدري قلعجي اصدر منذ مدة مجلة « الحرية » التي تهتم بالشؤون الادبية، الى جانب الشؤون الاخرى ، اهتماماً لا تعرفه المجلات الاخرى .

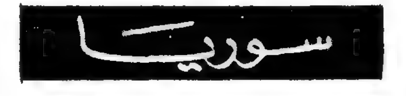
واصدرت دار العلم للملايين في الشهر الماضي مجلة « العلوم » التي لقيت في الاوساط العلمية كل ترحيب واقبال ، مما دل على حاجة القراء الى ثقافة علمية متينة الى جانب ثقافتهم الادبية .

على ان نشاط المجلات الادبية يظل محدوداً اذا قيس بنشاط المجلات الفنية التي يتزايد عددها كل شهر ، وتكرس كل صفحاتها لاخبار « الفن » بمفهومه الذي ينحدر الى اخبار الممثلين والممثلات وحوادث الزواج والطلاق والفضائح بينهم . وقد سمعنا ان بعض هذه المجلات تطبع مـا يزيد على العشرين الف نسخة كل اسبوع .. ولا شك ان هذه عملية من اضخم عمليات « إلهاء » الجمهور العربي وصرفه عن التفكير في قضاياه الهامة واوضاعه الخطيرة ...



محاضرات شهر نيسان ١٩٥٦

الخميس ٥ نيسان – الشيخ مصطفى الرافعي: الاسلام بين الامس واليوم.
الاثنين ٩ نيسان – الاستاذ ادوار حنين: خواطر في الادب اللبناني.
الاثنين ١٦ نيسان – الاستاذ فكتور لحود: «وانما الامم الاخلاق..»
الخميس ١٩ نيسان – الاستاذ عبدالله لحود. حقيقة الاديب .
الاثنين ٢٣ نيسان – الدكتور البرت بدر: «السياسة الاقتصادية اللبنانية» (يقدم للموضوع الاستاذ محيي الدين النصولي)
الاثنين ٣٠ نيسان – الدكتورة جمال كرم حرفوش : السيـاسة الاجتماعية اللبنانية .



لمراسل (الآداب) سعد صائب

في ظلال الوعي

لست احاول ان ارد التهمة عن (جودتنا الفكري) لانه غدا حقيقة واقعة مؤلمة لا سبيل الى نكرانها ، على انني حين احاول ان اجمع كل ما يلقى من محاضرات في شهر ، واتحرى كل ما يصدر من كتب في عام ، اجد ان في اتساقها جميعها – وان كان ضئيلا – ما يكون نشاطاً فكرياً يجلو صورة كاملة لحياتنا ، تشتد حيناً وتلين حتى تشف احياناً . ولشد مـا يرتاع المثقف ، حين يجد هذا الفيض الفائض من المحاضرات تلقى في شـهر واكاد اقول في كل يوم من ايام الشهر ، ولشد ما يذهب هـذا الروع ، حين تتعذر علينا المحاضرات في فصل الشتاء – وتتمنع في شهر بكامله مـن اشهر هذا الفصل .. ناهيك بفصل الصيف ، الذي يجوز بنا فلا نستشعر فيه اي نشاط ثقافي . واخال ان مرد ذلك كله ، يعود الى ان التنظيم لا يواتينا ، واننا لا نتفيأ ظلاله كما يتفيأها غيرنا ممن عرف الاستقـرار في حياته ، وكانت الاوضاع السياسية والاجتماعية رهن مراده !

ومن يحقق النظر في هذا الشهر ير انه – على خلاف الاشهر التي سبقته – خصب ، حافل بالعديد من المحاضرات القيمة ، زاخر بالكثير من الاحاديث الشيقة الممتعة ، وبحسبنا ان نختار منها محاضرتين ، كانتا من امتع المحاضرات التي القيت ، وهما (عبقرية فنية من القرن التاسع عشر) القاها في الجمعية السورية للفنون الدكتور سليم عادل عبد الحق ، و (فلسطين بين نكبتين) القاها في (نادي الطيران الشراعـي) الدكتـور شكري فيصل .

عبقرية فنية من القرن التاسع عشر

اما هذه العبقرية ، فهي الرسام الفرنسي (اوجين دولاكروا) زعيم المدرسة الرومانطيقية في القرن التاسع عشر، وقد جلاها لنا المحاضر الدكتور سليم عادل عبد الحق ، واصفاً المحيط الفني الذي عاش فيه (دولاكروا) خائضاً في حياته ونظرياته الفنية ، ملمعاً الى ميله الى الرسم ، ذاكراً ميله الى الادب واجادته فيما نشر من مقالات ورسائل ، مشيرا الى هوايتـه الموسيقى وتأثيرها المنيف في نفسه ، واصفا علاقاته الغرامية ، ثم انصرافه الى فنه . وينتقل بنا المحاضر الى لون آخر من حياة (دولاكـروا) فيستعرض لنا علاقاته بالصالونات الادبية ، وتعرفه فيها على (ستندال) و (جيرار) وشغفه بـ (والترسكوت) و (بيرون) الذي اوحت اليه اشعاره بعدد من مواضيع لوحاته ، ثم انكبابه على دراسة الجياد العربية والانكليزية ، وتفوقه في رسمها ، ثم عطفه على اليونان ومساندتهـا في حربها مع تركيا ، وقد اوحت اليه موضوع لوحته الشهيرة (مذابح شيو) وما اثارته هذه اللوحة حين عرضت في معرض عام ١٨٢٤ من ضجة وصخب بين الفنانين التقليديين ، وبين الرومانطيقيين الذين وجدوا فيها نـذير الحرب الذي غدا شعارهم ، واكتشفوا فيها التجسيد الحي للنزعات الثورية التي نادوا بها ، وتبينوا تجسيم التأثيرات الدراماتيكية العنيفة ، التي تبحث عنها روح عصرهم المعذبة .

ويختتم المحاضر حديثه عن (دولاكروا) بقوله : « في الواقـع ان روحه التي اخذ على عاتقه ان ينقل رسالتها الى الناس كانت عميقة القرار تحوي عالماً انسانيا واسعا بالافكار والرؤى ، وما اشبه في ذلـك برامبرانت في التصوير ، وبيتهوفن في الموسيقى .. لقد جسد فنه افكاراً ، وجعلها مرئية ، واستخدم في ذلك لغة شخصية عاطفية مؤثرة ، هي الالوان والخطوط الحزينة والمفرحة والمثيرة ، واقام انسجاماً بينها ، وانطاقهـا وصيرها موحية ومعبرة عن الحياة الداخلية ، فكان رسمه ايقاعا ، والوانه موسيقى ، وتأليفه نحتا حيا ».

النشاط الثقافي في الوطن العربي

فلسطين بين نكبتين

اما الدكتور شكري فيصل فقد وازن في محاضرته القيمة هذه ، بين وضع فلسطين حين غزاها فرنجة الصليبيين ، وبين وضعها في هذه الفترة ، واتجه الى ان الغرب جاهد دائما في ان يعوق حركة النهضة العربية كلما وجدت هذه النهضة بعض طريقها الى الحياة والتفتح ، وان مهمة الغرب تتجه في كل مرة ، الى ان يبعد العرب عن النطاق الحضاري ، وان يردوا الى الصحراء ، بعيداً عن البحار ، حتى لا يكون لهم في هذه الحضارة جهد ، ولا في الحياة الكريمة نصيب . وكانت المحاضرة تقوم على رصد نقاط الالتقاء ، بين النكبة الماضية ، وبين هذه النكبة الصهيونية الجديدة ، وتميزت بانها بعد هذا العرض التاريخي الوصفي ، اتجهت وجهة ايجابية ، فرسمت ما اسماه المحاضر الركائز العشر الاساسية لانقاذ فلسطين .

والمحاضرة نتيجة لجهد تاريخي شاق ، وشعور قومي عارم ، كشف فيه المحاضر دراسته وعقله وعاطفته ، فجاءت في ثوبها الاسلوبي ، الذي يعرفه قراء الدكتور فيصل ، اثرا معجبا ، اطال المستمعون التقدير له والحديث عنه .

« بدوي الجبل » والشعر العربي الحديث

طرح مندوب جريدة (الاخبار) الدمشقية ، على الشاعر الكبير (بدوي الجبل) بعض الاسئلة التي تتناول قضية الشعر العربي الحديث ، فاجاب عليها اجابات صريحة مركزة ، احببنا ان نثبتها هنا لصدقها ولصدورها عن شاعر فحل ، عانى التجربة الشعرية بعمق ، وشارك في ابداعه على احسن ما تكون المشاركة واروعها :

س : ما فعل الله بالشعر العربي ؟ ثم اين الشعر في البلاد العربية كلها ؟

ج : انها فترة عجفاء بدون شك .. الشعر يرتكز على العاطفة والخيال وعلى ترف الروح .. وهذا العصر عصر مادة شغل بها الناس عن الروح .. ولكنها فترة لن تطول ، اذ لا يمكن للعقل وحده ان يحكم الدنيا . الحضارات والنبوات والفنون ، كلها ابداع القلب ، ولا يمكن ان تنتهي المعركة الا بانتصار القلب !.

س : ما رأيك في هذا الشعر الحديث المسمى بالرمزية ؟

ج : انا افهم الشعر الذي نظمه شوقي وحافظ ومطران وبشارة الخوري وعلي الجارم ، وعلي محمود طه ، وامين نخله ، ومهدي الجواهري ، وعمر ابو ريشة وأمثالهم .. الشعر العربي كما افهمه ، هو الديباجة العربية الصحيحة التي تتسع لكل خيال وكل معنى ، باجمل زينة واروع حلة .. هذا هو الشعر الرفيع كما اراه . ولذلك فانا لست من انصار الشعر الجديد المتحرر من الوزن والقافية ، ولا ارى انه ينسجم مع طابع الشعر العربي ، اذ لكل ادب طابعه .. هذه موجة ستنتهي حتماً.. خذوا مثلاً شعر الموشحات الاندلسية ، فعلى الرغم من انه لم يتحرر من الوزن والقافية بل احتفظ بهما .. وعلى الرغم من انه احتفظ بالديباجة والاسلوب العربيين ، ومع ذلك لم تستطع هذه الموشحات ان تفرض نفسها على الشعر العربي ، وعاد الشعر الى اصله الاصيل .

س : هل الشعر في رأيك علم وصناعة ام موهبة ؟

ج : موهبة .. في استطاعة البيت والمدرسة والحضارة والزمان والمكان ان تبتدع فاتحاً او فيلسوفاً ، او عالماً ، ولكنها لا تستطيع مجتمعة ان تبتدع شاعراً .. فالشاعر ابداع الله وحده!

كتاب جديد

اثار اهتمام الاوساط الادبية والفكرية عندنا في مطلع هذا الشهر ، صدور الجزء الاول من كتاب (تاريخ الادب العربي – منذ نشوئه حتى اواخر القرن الخامس عشر للميلاد – التاسع للهجرة) تأليف المستشرق الفرنسي (ريجيس بلاشير) وتعريب الدكتور ابراهيم الكيلاني ، وهو محاولة مبتكرة في تاريخ ادبنا ، سلك فيها المؤلف نهجاً فريداً في التأليف ، حاول فيه ان يربط بين تطور المجتمعات والوقائع الادبية ، وغاير ما سبقه من تواريخ الادب بامور ذكرها المعرب في مقدمته منها :

١ – العناية باشعاعات المراكز العقلية والتيارات الفكرية في العالم العربي .

٢ – إكتشاف انواع من (الزمر العقلية Familles d'esprits) المكونة من عباقرة الادب العربي ، الذين اثروا في عصورهم ، فاصبحوا مثالاً يحتذى لمن عاصرهم وجاء بعدهم ، بما اوجدوه من مذاهب او نماذج ادبية جديدة .

٣ – إبعاد كثير من الآثار الفلسفية والتاريخية واللغوية والفقهية وغيرها، مما لا يدخل في نطاق الادب الصرف ، والاقتصار على الآثار التي الفت لغاية فنية ، والتي تثير عند القارىء ما يسميه (فاليري) بالحال الشعرية (Etat Poétique) .

الأزهر والثقافة الجديدة

لمراسل « الآداب » رجاء النقاش

على مسرح الثقافة في مصر تدور بعض المعارك الظاهرة ، كما تدور معارك اخرى تحت هذا المستوى الواضح الظاهر وكثيراً ما طمست المعارك الظاهرة وجود الثانية ولو تأملنا بعض الشيء كثيراً من هذه المعارك الظاهرة لوجدنا انها تحمل من الخصائص ما يمكنها من طمس المعارك الاولى والحيلولة بينها وبين الظهور. فمن هذه الخصائص : انها في الغالب معارك شخصية تدور حول الدفاع عن شخص او مهاجمة شخص ، ومن الممكن ان يكون هذا الشخص ممثلاً لفكرة ما ، غير ان هذه المعارك الهجومية الدفاعية لا تقوم على اساس من « الشخص بما هو فكرة » بل تقوم حول الشخص : بما هو مكانة وشهرة وغير ذلك . ومن طبيعة هذه المعارك الشخصية ان تكون حادة في ظاهرها وان تطول نسبياً ، ومن الخصائص الاخرى التي يتميز بها هذا الصراع الشخصي انه يوزع وسائل التعبير على الجهات المتصارعه ، والتي تسعى من نفسها الى الحصول على هذه الوسائل وامتلاكها وتجنيدها في الدعايه للقضيه المنشودة التي تبعد عن الفكر بمقدار ما تتركز في الشخص ، ولكنها تحاول دائماً ان تتستر بالفكر لتبرر نفسها امام اصحابها وامام الناس . ويساعد على ذلك مساعدة اساسية طبيعه وسائل التعبير السابقة نفسها ، فهي غالباً ما تكون قائمة على اساس من اثارة امثال هذه المشكلات التي تعفيها من مسؤوليه التعبير عن المشكله الحقيقيه بما يتطلبه هذا التعبير المسئول من التزامات . من هنا تتغلب بعض الوان الصراع الشخصي على كثير من الوان الصراع الاخير ولو الى حين . فهذا الصراع الحقيقي لا يمكن ان يكشف عن نفسه ما دام لا يجد الوسيلة الى ذلك وما دامت ثمة الوان من صراع زائف تريد ان تبقى طويلاً على السطح تمتص دم القاع وتعوقه وتحول بين مظاهره وبين النمو والامتداد .

فقد دارت في مصر في الفترة الاخيرة معركة حول بعض القضايا النقدية ، واشتبك فيها عدد كبير من الكتاب ، وكان على الراصد للحركة الفكرية في مصر ان يرى في هذه المعركة المظهر الفكري الرئيسي للحركة الثقافية في هذه الفترة . ولكن المعركة القائمة هي – دون مغالاة ولا تجن – معركة شخصية محضة ، فكثير من هؤلاء الكتاب كانوا يتحدثون عن اشخاصهم لا عن مواقفهم الفكريه ، ثم كانوا يصنعون من هذا الحديث الشخصي المحض « ملاحم » تملأ الدنيا بالضجيج دونما مبرر حقيقي لذلك .. حسبنا ان نشير بعد ذلك الى مقالين كتبهما الاستاذ محمد عبد الحليم عبد الله والاستاذ يوسف السباعي في العددين الاخيرين من « الرسالة الجديدة » يناقشان فيهما الدكتور عبد القادر القط فيما كتبه حول قصتين لهما في كتابه عن « الادب المصري المعاصر » ونشير كذلك الى المقالات التي كتبت عن ظهور مجموعة « الوان من القصه المصريه » والتي تركزت لا في الدفاع عن اصحابها ولكن في اتهام ناشر المجموعه ، وناقديها : الدكتور طه حسين والاستاذ محمود العالم .

ليست هذه هي ألوان الصراع التي تمثل الفكر المصري في مرحلته الراهنة ، فهي الوان تعكس خلافات شخصية محضة وتؤدي – عن قصد أو غير قصد – الى طمس كثير من ألوان الصراع الحقيقي الاخرى ، ولن ينتهي اثر هذا الصراع الشخصي حتى تنتهي ظروف ظهوره ، فتجد المشاكل الحقيقة وضعها الصحيح على مسرح الفكر والثقافة تلتمس الحلول وتسعى الى خلق وسائل المساهمة في التطور العام المجتمع الذي تعيش فيه .

فالاتجاه العام للتطور الجديد هو اتجاه التصنيع واخضاع الزراعة لوسائل حديثة حتى تعمق بذلك موارد الدخل القومي وتتاح فرصة أفضل للحياة في المجتمع المأزوم المضطرب . وهذا الاتجاه العام لدى الشعب يعكس نفسه على المشاريع الجديدة للدولة . وحسبنا ان نشير الى ان الشهر الماضي قد شهد في مصر مراحل اساسية في مفاوضات مشروع السد العالي بين الحكومة وبين البنك الدولي الاميركي ، وشهد ايضاً مفاوضات بين مصر وروسيا لانشاء معامل ذرية متقدمة ، كل هذه الخطوات هي انعكاس لاتجاه الشعب نحو التصنيع وتغيير وسائل الزراعة كما هي عليه اليوم ، والسؤال الاول الذي ينبغي ان نجيب عليه إزاء هذا الاتجاه العام هو : ما مدى التلاؤم بين وسائل الثقافة العامه وبين هذا الاتجاه الواضح المحدود ؟

وسرعان ما يكشف الواقع عن عقبة اساسية اولى تتمثل في ازدواج النظم التعليمية في مصر ، ومن هنا تبرز مشكلة الصراع بين الثقافة الدينية ممثلة في الازهر بمعاهده وكلياته والثقافة المدنية ممثلة في الجامعة ومدارس التعليم المدني الاخرى . وسوف نتحدث عن الازهر باعتباره أول وأبرز ظاهرة تواجه المتأمل في الواقع الثقافي ليرى مدى تلاؤمه مع الاتجاه الحضاري العام للمجتمع . وليس في معالجة مشكلة الازهر ما يعني ان التعليم المدني العام تعليم سليم كامل ، بل ان ذلك يعني ان هذا التعليم المدني هو نقطة الانطلاق الاساسية نحو مسايرة التطور والمساهمة في دفعه .

الاساس الاول للتطور كما قلنا هو تغيير الاطار المادي للحضارة المصرية وتحويله من الزراعة المتخلفة الى الصناعة والزراعة المعتمدة على تقدير عادل لجهود الفلاح الزارع ، وذلك بتحول اعتماد الزراعة على الوسائل الحديثة بدل الوسائل المتخلفة وتغيير الشكل الاجتماعي للحياة في المسكن والاسره وعلاقات العمل بما يساعد على زيادة الانتاج والاستقرار الانساني . فمصر بلد زراعي منذ امد طويل والانسان المصري يبذل الكثير من الجهد في الارض لكي يظفر بما يمكن ان يمنحه الهدوء والاستقرار على الارض ومنها في الوقت نفسه . وفي ظل هذا العالم الزراعي المستقر تكونت نفسية المصري كنفسية تحن الى الاستقرار مهما كان ثمنه ، فان اي شقاء يلقاه المصري في الارض لا يساوي الشقاء الذي ينتظره في صراعه مع اي مجهول آخر يمكن ان تؤدي اليه الهجرة والتنقل ، فلم يلجأ الانسان ابداً في مصر الى الهجرة والتنقل الا حينما كانت الارض ترفضه



النشاط الثقافي في الوطن العربي

وتضيق يده. وقد تمت هذه الهجرات والتنقلات في داخل المجتمع نفسه. ومن المألوف في حياة القاهرة والمدن الكبرى والصغرى في الدلتا ان يوجد بين اهلها فئة من العمال تقوم على اكتافها حركة البناء والتعمير التي تحتاج الى عمليات تكلف الانسان جهداً عنيفاً قاسياً، هذه الفئة من فئات العمال لا تستقر طيلة مواسم السنة في مكان واحد من العاصمة او شتى بقاع الدلتا، بل انها تقيم حيثما يكون هذا العمل الشاق أو غيره من الاعمال الموقتة، ويفد معظم افراد هذه الفئة من فئات العمال من الصعيد ، وذلك لان الظروف الزراعية هناك اكثر شدة وضيقاً، فالارض اقل كماً من ارض الدلتا، ووسائل الري اقل تقدماً هي الاخرى من وسائل الري في الدلتا. هذه الفئة الشقية المجهدة من فئات العمال هي وليدة الضيق الزراعي في الصعيد وضحيته ايضاً ، وليس هناك من فئة اخرى تدل على عدم استقرار الطبقات العامة من المصريين وارتباطهم ارتباطاً عميقاً بالارض سوى هذه الفئة العاملة التي ترحل فترة طويلة من ايام السنة عن الصعيد لتعمل في القاهرة او في مدن الدلتا ثم تعود لتقضي بين اهلها المزقين فترة قصيرة من ايام السنة . واذا ضممنا هذه الفئة المجهدة الى طبقة العمال الناشئة في مصر فاننا نجد ان المجموع لا يزيد عن مليون فرد ، بينما ما زال المرتبطون بالارض اكثر بكثير من نصف المجتمع المصري .. انهم الفلاحون على اختلاف فئاتهم من ملاك كبار وصغار ومستأجرين وعمال زراعيين .

في هذه البيئة التي تميزت بالاستقرار الطويل ولد الاحساس العميق بالدين ، فشروط هذا الاحساس كلها متوفرة : ارتباط حاسم بمصير ضيق فالعالم المادي محدود بالارض التي تحمل الناس نفسهم والخصائص نفسها كل لحظة ، وزراعة تعتمد على وسائل متأخرة لم تتجدد ابداً الا بعد غــو الاقطاع وفي مناطق محدودة .. ومن شأن مثل هذا العالم الطبيعــي الا يقدم تفسيراً موضوعياً للاشياء وان يكون هناك مكان كبير فيه للخرافات والنزعات القدرية الغامضه . ويتركز هذا كله في مفهوم منحرف لـلدين يظل مسيطراً على علاقة الانسان بالانسان وعلاقته بالعالم والظــواهر الطبيعية، وقد سيطر هذا المفهوم على الحياة وكثر استغلاله في تنظيم المجتمع تنظيماً يخدم بعض الطبقات التي لم تكن تحكم ضميرا انسانياً في سلوكهــا الاجتماعي بقدر ما كانت تحكم مصالحها التاريخية ومصالحها الجديدة .

ولنقف امام هذا المفهوم الديني الذي ظل يمد الازهر بعصب حياته حتى اليوم لنرى عناصره وخصائصه الرئيسية . لقد تكون هذا المفهوم كما رأينا في ظل عالم زراعي مستقر ، وهــو عالم متخلف يعتمد على وسائل بدائية في الزراعة ولا تقوم الزراعة فيه على دراسة عميقة لطبيعة التربة واقتصاد المجتمع . وان كان هناك انسان يعرف كل الحقائق عن الارض في مصر فهو كائن اخر غير الفلاح : لقد كان احياناً هو المستعمر الذي يغري بزراعة القطن كغلة اساسية في الارض المصرية بدل القمح والدخان وذلك لما سيترتب على هذا الوضع الزراعي من استمرار حاجة المجتمع لبعض واردات المستعمر التي يريد لها النمو والازدهار وكان احياناً اخرى هو الاقطاعي الذي يبيع القطن في الخارج بأرباح تزيد على ما يحصل عليه من بيعه للقمح في الداخل .. في مثل هــذا العالم يعيش الفلاح في تأخر وخوف وعدم فهم لحقائق الاشياء وهنا تولد القوى المجهولة لتجيب عما يمكن ان يثور في ذهنه ونفسه من اسئلة عــن العالم والمجتمع ، ويعمل الدين – بمفهومه الخاص المنحرف – على تنمية هـذه المشاعر كلها : انه ينمي خوفه وينمي استسلامه وينمي معرفته المغلوطة لحقائق الاشياء . ولا شك ان الدين يؤدي هذا الدور بعد ان تــتوفر شروط هذا الانحراف من الجهل والعمل البدائي والنظام الاجتماعي السائد الذي يساعد في بعض صوره على تنمية هذا المفهوم الديــني المنحرف وتأكيده .

وهكذا يؤدي الدين في البيئة الريفيــة بمصر وظائف عديدة، فهو يبرر للفلاح نظام الحياة الاجتماعية مهما وجد هو فيها من عدم العدالة نتيجة للظلم الواقع عليه من الاقطاعيين مثلاً ، وهو يجد فيه عزاء من حرمانه من الحياة في الوقت الذي يحتاج فيه الى تغيير اسباب حرمانه وتعديلها ما دامت هذه الاسباب موضوعية وواضحة، وهو يجد فيه ايضاً تفسيراً للعالم بظواهره الطبيعية مما يؤدي به الى تصور هذه الظواهر على انها ساكنة جــامدة تنتسب الى عالم خرافي غامض، فلا يدرك انها ظواهر تفيض بالامكانيات وان في استطاعة هذه الامكانيات لو تم استغلالها ان تغير له حتى عالمه الخاص الذي يعيش فيه فتزيد من قوة الارض على الانتاج وتمنحه مسكناً قادراً على خنق كل القوى الخفية التي يمكن تصورها في الحياة ، وتغير علاقاته بمن يعيش معهم فلا تكون علاقات مضطربة ظالمة في بعض الاحايين بل تصبح علاقات منتظمة تحرسها على الدوام قوانين عادلة .

واذا كانت هذه هي وظيفة الدين بالنسبة للفلاح الزارع المنتج ، فهي ليست نفس وظيفته لدى الفلاح المالك المستغل . فوظيفته احياناً هي الدعاية لوجوده ووضعه في مجتمعه ، وهي احياناً اخرى التغطية والتمويه حتى لا يتحرك الفلاح الحقيقي من نقطة الفهم الموضوعي وإدراك الحقائق . ولو نظرنا الى تاريخنا الحديث طيلة فترة النظام الملكي مثلاً لوجدنا ان هــذا الشعور الديني الامي من اكبر الدعامات التي يعتمد عليها كل انتكاس وطني واجتماعي خطير في حياة المصريين. ولـنــا نحب بالطبع ان نعرض بالتحليل لجماعة الاخوان المسلمين ، فهذه الجماعة كانت تعتمد على طبقة خاصة من شباب المثقفين ، ولم تكن تعتمد على قوى الفــلاحين الشعبية ... لقـد كان لهذه الجماعة وضعها الخاص ضمن التنظيمات الحزبية ولم تكن ذات علاقة اســاسية بالشعور الديني العام وإن كانت قد اعتمدت عليه واستفادت منه .

هذا هو الوضع الذي كان يدفع الفلاح المصري الى ان يربط تعليم ابنائه بالدراسة الدينية في الازهر ، وهذا الوضع هو جانب واحــد من جوانب القضيـة . اما الجــانب الثـاني فهو الدراسات الدينية في الازهر نفسه .

وأول ما يلاحظ في هــذه الدراسات انعزالها الكامل عن الحياة . فعلى سبيل المثال نرى انه منذ مطلع القرن الحالي حتى اليوم لم يدخل ضمن برامج الازهر من العلوم الحديثة الا القليل المتخلف الذي لا يذكر ، فحتى الدراسات النظرية من العلوم الحديثة كالاكتشافات الجغرافية ودلالاتها الرئيسية او تاريخ العالم الحديث او اللغات الاوروبية .. كل هذه الدراسات لا توجد إلا بصورة ضئيلة جداً ضمن برامج التعليم الازهري ، كل ذلك فضلاً عن العلوم التجريبية الحديثة كالطبيعة او الكيمياء . والحق ان هــذه الظواهر مترتبة على اتخاذ الدين مركزاً الدراسات في هذه الجامعة ومعاهدها

المختلفة ، فالعلوم الرئيسية في الدراسات الازهرية هي المتصلة بالشريعة والفقه الاسلاميين ثم اللغة العربية والفلسفة الاسلامية ، وهذه العلوم كلها مليئة بالاضافات اللاضرورية والتعقيدات التي لا قيمة لها والتي لا تدخل في الافكار الرئيسية للدين نفسه . فمن الممكن – على سبيل المثال – ان يفهم الرجل العادي احكام القرآن بعد مجهود بسيط يستغني فيه تماماً عن كل الخلافات الموجودة بين النحاة ، تلك الخلافات العديدة الكثيرة التي تدخل في تفاصيل مسرفة تسيء الى النصوص نفسها . ولو حاولنا ان ندرس ظروف نشأة هذه العلوم المعقدة لتبينا ان العلماء الذين عملوا على تعقيدها وتعميقها ، قد اتجهوا الى ذلك في فراغ واطمئنان كامل الى حد بعيد . مثل هذه الحالة التي كانوا يعيشون فيها كانت تعني انفصالهم عن مجرى الدين في حياة الناس ، فلم يكن تفكير هؤلاء العلماء ينصرف الى موضوع المجتمع وتنظيم علاقاته والاشراف على ادارته من وجهة نظر العدالة الدينية ، بل انصرفوا الى الدين بما هو سلوك فردي مرتبط بالعبادات والمشاعر وحسب ، بينما كانت حقيقة الحضارة الاسلامية في عهدها الاول هي انها تعتمد على دين يدعو الى نظام اجتماعي خاص وعدالة اجتماعية شاملة كانا يمثلان انقلاباً حاسماً بالنسبة للحياة السابقة على ظهور الاسلام وبالنسبة للنظم الموجودة في شتى بقاع العالم آنذاك . لم يكن الدين تنظيماً لعبادات ومشاعر فردية وحسب وانما كان يقوم أساساً على تحديد النظام الاجتماعي في صورة عادلة مستنيرة تعترف بالانسان وتحدد قيمها ومقاييسها على أساس من جهوده المستمرة في العالم ، وتسعى كذلك في مساواة عادلة الى تنظيم علاقات المجتمعات ببعض مع تحديد واضح لاعداء الانسان وهم هؤلاء الذين يشوهون فطرته او يستغلونه او يسيئون الى امنه وسلامه ، كما ان هناك ظاهرة واضحة في أشد البيئات تديناً ، تلك هي ان اقل الناس قدرة على اداء الفروض والعبادات هم هؤلاء الذين لم يجدوا الاستقرار والهدوء في رحاب المجتمع فخرجوا عن كل تقاليده واصبحوا طبقة مزدراة حقيرة. ففي الريف المصري نجد ان اقل فئات العمال قدرة على اداء فروض الدين هي فئة العمال الزراعيين ، فقد ظل هؤلاء العمال الى وقت قريب يعملون من شروق الشمس حتى غروبها فانصرفوا انصرافاً كاملاً عن الفروض الدينية ، وظلت هذه الفروض مقصورة على من يحصلون على استقرار نسبي او كامل في حياتهم الاجتماعية . فالدين من الاهتمامات الرئيسية للطبقات ذات المنزلة الاجتماعية المرتفعة في القرية بالاضافة الى طبقة الفلاحين من الملاك الصغار والمستأجرين . وفي هذا المثال دلالة واضحة على سبق الاستقرار الاجتماعي ولو في ادنى صوره على المسلك الديني ، مما كان يحتم ضرورة الاهتمام بالوضع الاجتماعي كما حدده الدين على اساس من العدالة الكاملة قبل اللجوء الى تفاصيل عديدة معقدة فيما يخص الجانب الشعوري الفردي في الدين وهو العبادات . ولكن العلماء الذين سيطروا على الفكر الاسلامي لم تشغلهم – في الغالب – شئون الحياة الاجتماعية ، بل استغلوا فراغهم الواسع في خلق فكر لا يمكن ان يؤثر تأثيراً سلبياً في حياة الناس ، وحسبه تأثيراً ان يبعد الفكر عن الحياة ويعمل على تعقيد قضاياه حتى يتمكن الحكام الذين صنعوا الفراغ لمن يسرفون في دراسة الوحي والعبادات ان يظلوا مسيطرين ولو بوسائل ظالمة ومن أجل أهداف ظالمة دون ان يرفع العلم صوت الدين الحقيقي ليعيد تنظيم الحياة والمجتمع ويقر العدالة في واقع الناس ونفوسهم ... لم يكن الذين ساعدوا على خلق هذه العلوم والاسراف في تعقيدها وتعميقها ثم تدريسها والسماح لها بفرصة السيطرة على الواقع الثقافي الى مدى طويل .. لم يكونوا يقصدون بذلك خدمة الدين بل خدمة اعراض اخرى ضد الحياة وضد الدين نفسه .

كان الطالب المصري الفلاح يدخل الازهر بحافز المشاعر الدينية المنحرفة القابضة على واقعه ليدرس هذه المواد المرهقة المعقدة ويمكث في الازهر مدة طويلة ثم يخرج دون ان يستطيع تأدية وظيفة متطورة في مجتمعه. وحسبه تلك المعرفة الدينية التي تزيده قيمة وكرامة لدى اهله ، في الوقت نفسه الذي كانت البيئة المصرية فيه – وما زالت – في حاجة الى كثير من الوان التطور الحقيقية الواضحة التي تغير مسكن الفلاح وتغير وسائل زراعته وتغير نظرته الى حقوقه واحساسه بها حتى يصبح هذا الريف القابع في قاع مصر مثقلاً بالتخلف والضياع والاسى – وطناً خصباً معطاء كما هو في حقيقته .

لا بد بعد ذلك من الاشارة الى حقيقتين ، اولاهما ان رجل الدين في مصر قبل القرن العشرين كان هو نفسه في كثير من الاحيان رجل الفكر ورجل القيادة الشعبية .ومن هنا فانه يمكننا ان نرد وجود امثال عمر مكرم – كواحد من اكبر قادة الشعب في القرن التاسع عشر – الى الازهر وثقافته الدينية ؛ فقد تدخلت عوامل عديدة في تكوين هذه الشخصية منها عمق علاقته بواقع مجتمعه ووعيه الذاتي ، والحقيقة الثانية هي ان رجال الفكر وقادة الحركة الوطنية الذين ارتبط اسمهم بتاريخ الازهر في القرن العشرين وقبله : كجمال الدين الافغاني ومحمد عبده وسعد زغلول وطه حسين وامين الخولي لم يكونوا ابداً من تلامذة الفكر الديني كما وصلنا في التراث العربي ، فقد كان معظمهم من المتمردين على هذا الفكر المساهمين في تطويره وتعديله ثم كانت لهم صفاتهم الخاصة الاخرى كدراسة واقعهم وتحديد مناهج مستنيرة لتغييره وتطويره ثم الكفاح من اجل تطبيقها .. وذلك هو كل ما ابقاهم مرتبطين في الاذهان بتاريخ التطور وليس هو ابداً ثقافتهم الازهرية ولا ارتباطهم بالفكر الديني عند العرب .

ان وجود التعليم الازهري منفصلاً عن التعليم المدني هو صورة منحرفة من صور استغلال الدين والاعتماد عليه كأداة لتعطيل التطور . ولا شك ان الاستعمار قد ساهم في وجود هذا الازدواج التعليمي ، واستمرار سيطرته خلال هذا القرن وقبله . ان الازهر كجامعة كبرى مجيدة في تاريخ الشرق العربي الاسلامي قد ادى دوره في الماضي بما كان يتيحه من فرص التجمع الحر والحديث في شؤون الحياة ودراستها ومحاولة وعي حركتها بين العوائق والحوافز . وقد تغير اليوم شكل الدراسة في الازهر فاصبحت خاضعة لنظم قريبة من نظم المدارس المدنية وكذلك تغيرت وسائل التعبير عن مشكلات الحياة ودراسة اتجاهات المجتمع واصبح شكل الدولة مختلفاً تماماً عما كان عليه ايام الفاطميين «الذين انشأوا الازهر» أو غيرهم ، ولم يعد هناك مبرر لبقاء الازهر سوى دراسة التراث الاسلامي

النشاط الثقافي في الوطن العربي

دراسة حديثة مستنيرة ، ولا يتم هذا بالطبع الا اذا بقي كجامعة مستقلة لها طابعها الخاص الذي لا ينفصل في نفس الوقت عن الوعي بالحياة الجديدة. وينبغي لهذا ان يتم الغاء التعلم الديني السابق على المرحلة الجامعية حتى تستمد الجامعة الازهرية حياتها من نفس المنبع الذي تستمدها منه الجامعات المصريه الاخرى ، وحتى ينتهي هذا الازدواج الضار في نظم التربيـــة والثقافة في المدرسة المصرية ، فنحن في حاجة الى ثقافة علمية واضحة وفي حاجة الى حضارة جديدة تغير النظام القائم في حياة القرية وتحيل مـــن عمرانها الى مدينة صغيرة خالية من ظروف المرض والخرافة والجهـــل ، وتكشف في انسانها عن تلك القوى المبدعة القادرة على العطاء والانتاج والغناء والحب. ولم يكن الدين الحقيقي في يوم من الايام ضد حياة الانسان ومستقبله ، فكل رؤوس الحركات الدينية في التاريخ كانوا يمثلون اعظـــم الانقلابات الانسانية في الادوار الحضارية التي انتسبوا اليها بما لها مـــن ظروف واوضاع خاصة ، وكان ميلاد كل الاديان تعبيراً عن استجابـــة الانسان البطولية لحاجته الى تغيير واقعه وتعديله الى صورة فاضلة عادلة ، وهي حقا استجابة بطولية لانها خرجت عن اعمق اغوار العقل والشعور الانسانيين في ذلك الحين، كما اعتمدت على كل القوى النضالية في حيـــاة الانسان لتساهم في بناء ذلك العالم الفاضل المنشود ، والدين الاسلامي ولد في لحظات كانت من امجد لحظات الميلاد في تاريخ الافكار التي ساهمـــت في تغيير العالم وتطويره ، كان يعتمد على الفكر الموضوعي الواضح البسيط لمقاومة عالم ظالم لا عدالة فيه ، ولا شك ان تلك القوى الظالمة قـــد عاودت ظهورها على مسرح التاريخ العربي بعد ذلك لتحـــول بين الدين الجديد كفكر موضوعي يهتم بالمجتمع والانسان – وبين التأثير في الحياة بل وقد استغلته استغلالا طويلا كريها .

فالحضارة الجديدة التي يحتاج اليها تطورنا ، هذه الحضاره الصناعية التي تعتمد على النظام المدني وعلى انتصارات العلم الانساني في تنظيم المسكن والعلاقات الانسانية في العمل والانتاج .. هذه الحضارة في غنى حقيقي عن ذلك العائق الذي يمثل طرفاً في صراع حاد يقوم اليوم على مسرح الثقافة في مصر : بين ثقافة المدينة والعلم والصناعة والنفس الانسانية المستنيره المتحضره وبين ثقافة التعقيد التي نمت بين احضان حكام لم يكونوا يبحثون عن مصالح شعوبهم ولا يدافعون عن الدين بقدرما كانوا يعملون على التقليل من قيمة كل سلاح يمكن ان يؤدي بالشعوب الى الحصول على حقوقها التي كثيراً ما حرمت منها..ولا نشك في ان الثقافة الاولى ستنتصر في النهاية، بل انها تسجل انتصاراتها كل يوم وتخوض معارك اخرى من اجل ان تتطور هي نفسها وتقاوم العقبات التي تحول بينها وبين تأدية وظيفتها الحقيقية الصحيحة .ولكن الحركة التلقائية للصراع تطول دون شك لو لم تتدخل عناصر واعية في ترجيح جانب من جوانب هذا الصراع هو الجانب الذي يتلاءم مع خطنا الحضاري الجديد .

العراق

كيف تبعث الحركة الادبية ؟

وجهت جريدة « الاخبار » سؤالاً هاماً الى عدد من الادباء العراقيين موضوعه : « ما الذي تقترحونه لبعث الحركة الادبية في العراق ، وانتشالها من الجمود الذي هي فيه ؟ »

وهذه اهم الاجوبة :

قال بدر شاكر السياب :

« المسألة ، قبل كل شيء ، مسألة ايمان . يجب ان يؤمن الاديب بعمله – الادب. ان ظروف الحياة الحاضرة في معظم انحاء العالم ، تتآمر على القيم الروحية . ونحن نعيش اليوم في عصر لا يؤمن بغير المال والقوة . فهل يستطيع الاديب ان يتحدى هذه المؤامرة الكبرى على القيم الروحية؟ هل يستطيع ان يصمد امام منطق المال ؟ ايستطيع ان يؤمن بان واجبه واجب مقدس وان قيمه هي القيم الصحيحة ، ايماناً يجعله يقبـــل التضحية في سبيل الادب ؟ هذا هو السؤال .

والحق ان اغلب الادباء العراقيين يعوزهم مثل هذا الايمان ، الذي لا حياة للادب بدونه .

لقد قلت – اغلب – الادباء العراقيين ولم اقل كلهم . فماذا عن هذا البعض ؟ هناك فئة من الشعراء والكتاب العراقيين لا تنقطع عن الانتاج . ولكن انتاجها لا يرى النور، لعدم وجود مجلة ادبية ينشر هذا الانتاج فيها. ومن المعلوم ان عملية الخلق الفني لا تتم الا بنشر النتاج. فنحن ، كما ترى، في – اجهاض – فني مستمر .. نكتب دون ان ننشر. ولا بد ان يؤدي استمرار مثل هذه الحال الى العقم والاجداب .

هات ايماناً لدى الادباء بالادب ، وهات مجالا للنشر ، يزدهر في العراق ادب . »

وقال حسين مردان :

« الحقيقة ان الحركة الادبية في العراق في فوران دائم ولكننا لا نسمع غير صوت الماء الخافت في القدر، ولو حدث انفراجما ورفع الغطاء القصديري لارتفع البخار عالياً ولتساقط المطر غزيراً . ان الادب العراقي الحديث ما زال طفلا في ابداعاته وانفجاراته الفنية ولكنه طفل نقي الدم يتأرجح حيوية وينمو باستمرار ولو انه لا يجد الحقل الواسع الذي يركض فيه بكل قدميه ولا يجد الكوة التي يتطلع منها الى قلب الشمس لذلك نرى في عينيه الذبول ونلمس في وجنتيه الصفرة .. وارى ان دور المرض لن يطول لأن قوة الحياة الدافعة في ادبنا تنتفخ من الداخل ولا بد ان يحدث الانفلاق وعندئذ فقط سيدرك النقاد البسطاء ان الفلين لا يقاوم ضغط النار . وما دامت الرئة سليمة فان اوجاع المفاصل مظهر من مظاهر الركود وعندما يسقط شعر الليل الاسود وتشرق شفة الصبح فسينتفض العليـــل نشط

النشاط الثقافي في الوطن العربي

الاعصاب . فاذا كانت الحركة الادبية تبدو اليوم في نظر بعض المتشائمين قزماً كسيحاً فاني ألمح تحت جلد هذا القزم المتغضن انتفاضة العملاق . ان الادب يتعرض احياناً للارتخاء ولكنه ارتخاء الوتر الذي يسبق انطلاق السهم ..

واذن ليس هناك اي نوع من الجمود في الادب العراقي وانما هناك تجمع ادبي لا يجد منفذاً الى الاندفاع . فالارض هنا صلبة في كل مكان فليس من العجب ان نرى ادبنا ينبثق في منخفضات سوريا ولبنان فتتغذى الاديب والاداب وغيرهما من المجلات والصحف العربية على شحمه ، فالشجرة قد تلوح يابسة القشر ولكن العصير يتموج في النسغ . ان ابار ادبنا كثيرة العمق ولكننا لا نملك الدلاء الكبيرة للاغتراف فالينابيع تتدفق بلا انقطاع والقاريء العراقي يشكو الظمأ ولا يجد في كوبه ما يرطب طرف اللسان . وكيف نستطيع ان نروي هذا العطش القتال اذا كانت المطابع عندنا تدور لطبع قوائم المطاعم وفواتير الاعلانات التجارية ! كيف نستطيع ان نشبع هذا الجوع اذا كنا لا نجد في العراق كله داراً للنشر في الوقت الذي نشاهد الذهب يتكدس على شكل عمارات واذا كان التجار ينفرون من الفن والادب فلماذا لا تتزحزح حكومتنا قليلاً ! لماذا لا تبسط قبضتها فتحل احدى العقد اللعينة بالسماح باصدار المجلات الادبية ؟

ان المبضع الذي يزيل هذا الورم الخبيث من الادب العراقي هو بين اصابع الدولة واني لاقف امامها بطولي كله مطالباً باعتباري احد الادباء الذين يهمهم تطوير الادب العراقي ان تعمل وبكل سرعة لنفض طبقات الجليد عن ربيع نهضتنا الادبية واعتقد انها ستعمل لو رفعت العصابة السوداء عن عيونها خاصة وان بامكانها ان تفعل ما تريد بان تخرج بالادب الى مجالات اخرى لا تريدها هي . »

وقال كاظم جواد :

« توحي صيغة هذا السؤال بأن الحركة الادبية في العراق ميتة ، وتتساءلون عن الوسائل التي اقترحها لبعث هذا الرفات الميت .

ما الحركة الادبية الا صدى فعال يرتفع من الاسس الارضية ؛ فالمراحل الاجتماعية اذن هي المسؤولة اولاً واخيرا عما يصيب الحركة الادبية ، او اي نشاط انساني آخر من ديمومة ونشاط ، او شلل وجمود .

واذا كانت الوسائل الآنية قاصرة عن حمل ما يتفتح في نفوس الادباء الحديثين من قيم ، وما يضطرم في عقولهم من افكار ، فلا يعني ذلك ان قصور الوسائل دلالة على قصور الادباء في عالم الانتاج الادبي القومي.

السماح بصدور مجلات ادبية محترمة في العراق وتسهيل دخول المجلات الادبية العربية التي تحمل نتاج ادباء العروبة في الوطن العربي الكبير ، وسائل آنية ملحة لبعث الحركة الأدبية في العراق بعد خمود طويل اتهم بسببه الادباء بالعقم والموت .

انا شخصياً كتبت خلال سنتين ما يقرب من تسع قصائد حول فلسطين وتونس والجزائر ومراكش وكتبت خلال ذلك ما يقرب من اربع مقالات فضلت ان انشرها خارج العراق لعدم وجود مجلة ادبية عندنا .

وبعد ، فالادب طابع حضاري يرفع من قيمة الامم التي تحتضنه وقد دل تاريخ الشعب العربي على ميول هذا الشعب للتعبير عن نزعاته الانسانية الفذة بصيغ فنية، فالحرية الادبية اذن شرط لكل تقدم حضاري .

وقال بلند الحيدري :

من يسمع هذا السؤال يخال الادب العراقي في آخر حالات مرضه وليس ذلك صحيحاً بلا شك ، فهذه – ليلى المريضة في العراق – ليست مريضة ، وقد تكون سيئة السلوك ولكنها ليست مريضة وان اصفرارها جزء من محيطها وتأكيد على واقعها تأكيداً قاسياً لحد الاشمئزاز . فهي اذن ليست بحاجة الى من ينشط دقات قلبها ، واذا كنا نريد لها غير ذلك فسيبقى الامر محصوراً بين عدة محاولات فردية تنجح وتفشل ضمن امكانيات فردية محدودة وقراء محدودين عدداً ايضاً وهذه المحاولات قد ترفض وقد تخنق بين عدة جدران من القلة بحيث لا تشكل مستوى ..

هنا وهناك اشلاء قصائد وقصص ومسرحيات يندفع وراءها جمهور من قراء اغبياء لا يريد من الادب اكثر من تسلية عابرة ولا يريد غير كتاب لا ادري من اية درجة هم والا فانت مجنون أو مشعوذ وهناك فملأ من يصطنع هذا الجنون والشعوذة حباً بالشهرة .

نحن بحاجة الى اشياء كثيرة . نحن بحاجة الى قراء ممتازين يدركون ان الادب الحديث جهد موزع بين القاريء والكاتب وانه ليس مجرد عاطفة عرجاء مقصورة على الحديث عن علاقة رجل وامرأة .

نحن بحاجة الى ادباء مخلصين لانفسهم وقرائهم يريدون من الادب شيئاً اكثر من شهرة رخيصة كما يفعل بعض المتياسرين والملحدين والماجنين .

نحن بحاجة الى ادب لا الى صحافة ادبية توقف الادباء عند مستوى معين مخجل وقد تنحدر بهم حسب الطلب كما هو الحال في الكثير من الادباء المصريين فهم مستعدون للكتابة والتحدث عن أي موضوع تختاره الصحيفة لهم ، عن السياسة، عن الخبز والوان الحنطة،عن فساطين النساء وموديلاتها الاخيره وعن السهرات العابره . الخ .

نحن بحاجة الى اكثر من تنشيط، فالحمدلله لدى ادبنا من النشاط ما يقتل عدة اجيال مقبلة ، لسنا بحاجة الى ابر نطول بها عمر مملول. نحن بحاجة الى اشياء كثيرة ، كثيرة جداً لحد اليأس ..

ولعل أكثرها جدية شعورنا بالحاجة الى ادب جديد وهذا ما لم اجده فالادباء راضون والصحافة راضية والقراء راضون ايضاً وذلك ما يجعل من هذا الادب العراقي عملاقاً ينتقل من جريدة الى اخرى ومن دار الى دار وفي كل شفة حديث عنه وفي كل مجلة فصول عنه.

ان المشكلة يا اخي انه قوي جداً وانه ينظر الينا من عليائه قوته كأقزام نحاول ان نزحزحه فتضحكه محاولاتنا الفاشلة واذا كنت تريد ان تجعل من هذه المحاولات سؤالا فليكن « ما هي الوسائل التي تقتل هذا الادب العراقي ؟» .